أبحاث المؤتمر السنوي الثاني

للجمعية السورية لتاريخ العلوم

الذي عقد بجامعة حلب

٦ - ٧ نيسان (أبريل) ١٩٧٧

معهد التراث العلمي العربي
جامعة حلب

ابحاث
المؤتمر السنوي الثاني
للجمعية السورية لتاريخ العلوم



١٩٧٩



al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

أبحاث
المؤتمر السنوي الثاني
للجمعية السورية لتاريخ العلوم



★ الطبعة الاولى ★
١٩٧٩

★ معهد التراث العلمي العربي ـ جامعة حلب ★

أبحاث المؤتمر السنوي الثاني

للجمعية السورية لتاريخ العلوم

الذي عقد بجامعة حلب

٦ - ٧ نيسان (أبريل) ١٩٧٧

تقـــديم

يحتضن معهد التّراث العلمي العربي في جنباته الجمعية السورية لتاريخ العلوم ، ويشرف على ادارة أعمالها ويقدم كل الدعم اللازم لها .

وينظم المعهد المؤتمرات السنوية للجمعية ، وينشر أبحاثها ويأتي ذلك تحقيقاً للاهداف التّي انشىء المعهد من أجلها .

ولذلك عقد في جامعة حلب – معهد التّراث العلمي العربي خلال يومي ٦ و ٧ نيسان (ابريل) ١٩٧٧ المؤتمر السنوي الثاني للجمعية السورية لتاريخ العلوم . وقد صدرت عن هذا المؤتمر توصيات هامة يعكف الآن معهد التّراث العلمي العربي والجمعية السورية لتاريخ العلوم على تنفيذها .

ويسرني ان اقدم للباحثين والمهتمين بالتّراث العلمي العربي الأبحاث والدراسات المنشورة التّي القيت خلال المؤتمر ، وطبيعي بان تكون مستويات الابحاث والدراسات المنشوره متفاوتة فيما بينها من حيث العمق والاصالة ولكنها تعتبر بمجملها مساهمة قيمة في ميدان تاريخ العلوم العربية .

ولسوف تصدر عن المعهد الابحاث السنوية لمؤتمرات الجمعية السورية لتاريخ العلوم بصورة منتظمة بالاضافة الى ابحاث الندوة العالمية لتاريخ العلوم عند العرب . ويكون معهد التّراث العلمي العربي قد حقق بذلك جزءاً من رسالته في توحيد جهود الباحثين المهتمين بتاريخ العلوم العربية على المستويين العربي والدولي .

معلومات عامة
عن المؤتمر السنوي الثاني
للجمعية السورية لتاريخ العلوم

انعقد في جامعة حلب تحت رعاية السيد اللواء عبد الرحمن خليفاوي رئيس مجلس الوزراء ، المؤتمر السنوي الثاني للجمعية السورية لتاريخ العلوم خلال يومي ٦ و ٧ نيسان « أبريل » ١٩٧٧ .

وقد مثل السيد الدكتور محمد علي هاشم وزير التعليم العالي ، السيد رئيس مجلس الوزراء في حفل الافتتاح .

كان الهدف الاساسي لانعقاد المؤتمر ، التعريف بالاسهام الذي قدمه العرب للحضارة الانسانية في مختلف فروع العلوم وبأهمية هذا الاسهام وتم تسليط الأضواء على الموضوعات التالية :

- تاريخ العلوم الاساسية .
- تاريخ الطب بما فيه علم الادوية والبيطرة .
- تاريخ التكنولوجيا .

وقد شكلت لجنة للاشراف العام على تنظيم المؤتمر ، وتحقيق أهدافه من كل من :

ـ السيدة الدكتورة جيداء غادري أمينة فرع جامعة حلب لحزب البعث العربي الاشتراكي

ـ الاستاذ الدكتور احمد يوسف الحسن رئيس جامعة حلب رئيس الجمعية السورية لتاريخ العلوم

كما شكلت اللجنة العلمية من كل من :

الاستاذ الدكتور احمد يوسف الحسن رئيس جامعة حلب

الاستاذ الدكتور خالد ماغوط وكيل جامعة حلب للشؤون العلمية

الاستاذ الدكتور محمد علي حورية وكيل جامعة حلب للشؤون الادارية

هذا وقد شكلت لجان عديدة من أسرة جامعة حلب أنيط بها تنفيذ المهام التنظيمية والعلمية تحقيقاً لبرنامج المؤتمر .

اشترك في المؤتمر (٢٠) باحثاً من القطر العربي السوري .

وتمت مناقشة البحوث خلال (٥) جلسات علمية .

وقد ألقى البحاثه الكبير الدكتور فؤاد سيزكين محاضرة عامة بعنوان :

« دور العلماء العرب في تطوير علم الفلك » .

رافق انعقاد المؤتمر تنظيم عدد من المعارض تنسجم وأهدافه أقيمت في قاعات معهد التراث العلمي العربي ، وهذه المعارض هي :

معرض لمنشورات المعهد ، معرض الأدوات الطبية العربية ، معرض لمختلف مشاريع المعهد .

هذه المعارض استطاعت أن تبرز الخطوات الهامة التي قطعها المعهد في مختلف الميادين .

وقد عقد المؤتمر تحقيقاً لاهداف الجمعية في :

١ ـ النهوض بالابحاث المتعلقة بتاريخ العلوم .

٢ ـ القيام بالدراسات والبحوث الاساسية الرامية الى ابراز إسهام العرب في العلوم .

٣ ـ توثيق الروابط بين جميع المهتمين بتاريخ العلوم .

٤ ـ اقامة العلاقات مع المنظمات العربية والدولية العاملة في حقل تاريخ العلوم .

● ● ●

المشاركون في المؤتمر

ـ الدكتور سعد أبو دان	جامعة حلب
ـ الأستاذ محمد امام	جامعة حلب
ـ الدكتور محمد زهير البابا	جامعة دمشق
ـ الدكتور طه الجاسر	جامعة حلب
ـ الاستاذ فريد جحا	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
ـ الاستاذ محمود حريتاني	مديرية الآثار والمتاحف
ـ الدكتور أحمد يوسف الحسن	رئيس جامعة حلب
ـ الدكتور سامح الحسن	جامعة حلب
ـ الأستاذ محمد الحكيم	مفتي حلب
ـ الأستاذ عبد الله يوركي حلاق	مجلة الضاد
ـ الدكتور نشأت حمارنه	جامعة دمشق
ـ الدكتور محمد علي حورية	جامعة حلب
ـ الاستاذ صلاح الدين الخالدي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
ـ الاستاذ قاسم الخطاط	مدير معهد المخطوطات العربية
ـ الاستاذ محمد علي خياطة	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
ـ الآنسة امل رفاعي	جامعة حلب
ـ الدكتور عمر الدقاق	جامعة حلب
ـ الدكتور عبد الرزاق السمير	جامعة حلب
ـ الدكتور محمد نذير سنكري	جامعة حلب
ـ السيد منذر سواحة	جامعة حلب
ـ الدكتور فؤاد سيزكين	جامعة فرانكفورت

ـ الدكتور عبد الكريم شحادة	جامعة حلب
ـ الاستاذ كمال شحادة	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
ـ الدكتور احمد شوكت الشطي	جامعة دمشق
ـ الدكتور مظفر شعبان	جامعة حلب
ـ الدكتور تاج الدين ضياء	جامعة حلب
ـ الأستاذ فؤاد عنتابي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
ـ الدكتورة جيداء غادري	جامعة حلب
ـ الدكتور عماد غانم	معهد التراث
ـ الأستاذ رضوان فاخوري	جريدة الجماهير
ـ الدكتور فرج الله فتحي	جامعة حلب
ـ الدكتور عبد الرزاق قدور	جامعة حلب
ـ الدكتور سلمان قطاية	جامعة حلب
ـ الدكتور بشير الكاتب	جامعة حلب
ـ الاستاذ سعد زغلول كواكبي	رئيس جمعية العاديات
ـ الدكتور طه اسحق الكيالي	جامعة حلب
ـ الدكتور خالد ماغوط	جامعة حلب
ـ السيد مظهر المصري	جريدة الثورة
ـ السيد بهيج مفتي	وكالة سانا
ـ الدكتور محمد بشير مكي	جامعة حلب
ـ الدكتور ناظم النسيمي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
ـ الدكتور يحيى الهاشمي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم
ـ الدكتور محمود احسان هندي	الجمعية السورية لتاريخ العلوم

الكلمات الافتتاحية

كلمة ممثل السيد رئيس مجلس الوزراء

وزير التعليم العالي الدكتور محمد علي هاشم

السادة العلماء

يسعدني ان انقل اليكم تحيات . السيد اللواء عبد الرحمن خليفاوي رئيس مجلس الوزراء الذي شمل هذا المؤتمر الثاني للجمعية السورية لتاريخ العلوم برعايته واسبغ عليه من دعمه الشيء الكثير .

لقد تم في العام الماضي بفضل قائد مسيرتنا الرئيس المناضل حافظ الأسد رئيس الجمهورية افتتاح الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب في عاصمة الشمال حلب الشهباء وضمت هذه الندوة خيرة علماء العرب والأجانب وأحدثت صدى قوياً في جميع الأوساط الثقافية العربية والعالمية ورسخ الرئيس القائد كيان التراث العلمي العربي بالمرسوم الخاص الذي احدث بموجبه معهد التراث العلمي العربي . ٤ - ١١ - ١٩٧٧ - وخص به جامعة حلب عربون وفاء لهذا البلد ولهذه الجامعة الفتية متجاوباً مع الجهود التي بذلتها جامعة حلب وكثير من مواطنيها الذين قدموا بعضاً من مما لديهم من مخطوطات وجهود من اجل انجاح هذا المعهد وتحقيق أهدافه .

واليوم تحتضن الجامعة الجمعية السورية لتاريخ العلوم وتربط بينها بين معهد التراث العلمي العربي ربطاً وثيقاً يوحد الجهد ويشحذ الهمم ويستقطب جهود الباحثين العرب داخل القطر وخارجه من اجل تحقيق اهداف معهد التراث وكشف التراث العلمي الأصيل وتصنيفه

وتحقيقه ونشره بنصوصه الاصلية ليصبح في متناول جميع الباحثين في العالم . كما سيعمد هذا المعهد على إعداد المؤلفات والدوريات ونشر الدراسات والبحوث المختلفه التي جهد بها اجدادنا العرب الأوائل .

إن دراسة تاريخ العلوم عند العرب أصبحت أمراً ضرورياً في مرحلة التحول التي تمر بها أمتنا العربية ، وليست دراسة هذا التراث عودة الى الماضي للوقوف عنده بل هي تعريف بالعبقريات العربية وما قدمته للانسانيه منذ أقدم عصور العلم والتكنولوجيا وحافز يدعو أجيالنا الصاعدة الى استئناف مسيرة الاجداد وتتبع خطواتهم بغية ارساء قواعد البحث العلمي .

ايها السادة .

إن الجهد الذي تقدمونه في هذا المؤتمر هو من ضرورات بداية تأريخ البحث العلمي العربي الحقيقي ونحن نعتقد ان الوقت قد حان لنقل تكنولوجيا الاجداد وفلسفة علومهم لنبدأ ولنتعلم منهم نقل العلوم الحاضرة ، ولنرسي اللبنة الأولى في ابداع البحث العلمي التطبيقي والأكاديمي ليخدم تطلعاتنا المستقبلية . ونحقق طموحاتنا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فلا ابداع بدون أساس نستمد منه جذور اصالتنا في العلم والمعرفة .

إن تربية اي جيل لا يعى تراثه العلمي بكل ابعاده ودقائقه ويفخر به ويعتز باجداده لا يمكن أن توكل إليه مهمة البحث العلمي فالتاريخ ماض وحاضر والصلة بينهما وثيقة متشابكة مستمرة .

إن سورية الثورة وهي تواجه معركة البناء والتحرير لتعتقد جازمة بأن دعم البحث العلمي والباحثين أمر لا يقل أهمية عن مجابهة العدو ، وذلك لأن السلاح الأجدى في التصدي للعدوان هو العلم

المدعم بإيمـان المواطن بتّراب الوطن وحقنا في الحياة . ولقـد سعينا جاهدين الى ابراز معهد التّراث العلمي العربي في كل المنظمات الثقافية العربية منهـا والأجنبية ونأكـد وجود هذا المعهـد في المنظمة العربية للتّربية والثقافة والعلوم واليكم علي لسان رئيسها الدكتور محي الدين صابر الذي اعلن ضرورة تبني ودعم هذا المركز من من قبل جميع الدول الاعضاء في الجامعة العربية وتكثيف الجهد حوله ليبقى وحيداً .

كما ابدى المدير العام لليونسكو الدكتور احمد مختار أمبو حين زار القطر أهمية هذا المعهد واعتبره تجربة رائدة لكل شعوب العالم الثالث لابراز دورها الحضاري في خضم الانسانية المعاصرة المتناصره ، كما وعد بتقديم الدعم الضروري من خبراء ومحاضرين والتعريف به في دول العالم الأخرى واستطاعت الجهود المكثفة التّي بذلها القائمون علي هذا المعهد خلال هذه الفتّرة الوجيزة من اصدار منشورات وكتب متّرجمة الى اللغات الأساسية التّي ساعدت كثيراً في تنشيط واثبات وجوده : وسيمثل معهد التّراث العلمي العربي في المؤتمر الدولي لتاريخ العلوم الذي سيعقد برعاية اليونسكو في احدى العواصم الاوربية .

السادة الضيوف ايها الاخوه .

نشكركم على جهودكم من اجل خدمة التراث العلمي العربي الذي يعتبر بحق معهد تراث الانسانية المجيد كما نشكر جميع الجهود الخيرة التّي اسهمت لتحضير هذا المؤتمر وانجاحه ولا سيما جمعية العاديات لما تقدمه من دعم صامت ولجميع الاخوة من أبناء حلب واتمنى لكم النجاح والتوفيق والتعرف على حلب الشهباء لخدم مدينة التاريخ . والسلام عليكم

والهند والمملكة العربية السعودية وسورية ولبنان والقدس ، ومصر وتونس وايران وايطاليا ، كما استفاد بجهود الدارسين المبعوثين الى الحواضر الاوربية في استجلاب كثير من المخطوطات العربية فيها ، وتجمع لديه تراث حافل من مصورات المخطوطات العربية حظيت العلوم بقسط وافر منها ، وحرصا من المعهد على سرعة افادة الباحثين أصدر الفهارس الوصفية التفصيلية التالية لها :

١ ـ فهرست المخطوطات المصورة ، الجزء الثالث :

أ ـ صدر القسم الاول منه سنة ١٩٥٨ م عن الفلك والتنجيم والميقات ويتضمن ٢١١ كتاب .

ب ـ وصدر القسم الثاني منه سنة ١٩٥٩ م عن الطب ، ويتضمن ٢٧١ كتاب .

جـ ـ وصدر القسم الثالث منه سنة ١٩٦٠ م عن الرياضيات : (الحساب ، والجبر والمقابلة والهندسة) ، ويتضمن ١٤٤ كتاب .

د ـ وصدر القسم الرابع منه سنة ١٩٦٣ م عن الكيمياء والطبيعيات ويتضمن ١١٦ كتاب .

هـ ـ وسيصدر المعهد هذا العام القسم الخامس منه عن الطب ، ويتضمن نحو ستمائة كتاب .

٢ ـ فهرست المخطوطات المصورة ، الجزء الرابع عن المعارف العامة والفنون المتنوعة ، صدر سنة ١٩٦٤ م ، ويحوي وصفا تفصيليا للمصورات التي اقتناها المعهد في : الفنون الحربية والفروسية ، الموسيقى والغناء ، المعارف العامة ، تعبير الرؤيا ، الفراسة ، الحروف والأوفاق الشطرنج ، الصناعة والاطعمة ، الزراعة والاعشاب ، الخط وآلاته . ويتضمن الفهرست ٢١٩ كتاب .

وقد عاود المعهد نشاطه في ايفاد البعثات مرة أخرى ، ونشط لذلك منذ سنة ١٩٧٠ م فأوفد بعثة الى تركيا سنة ١٩٧٠ م ، ثم الي اسبانيا سنة ١٩٧١ م ، والى المغرب سنة ١٩٧٢ م والي المملكة العربية السعودية في اوائل عام ١٩٧٣ م ، والى ايران في اواخر العام نفسه ، ثم اوفد بعثة الى الجمهورية العربية اليمنية سنة ١٩٧٤ م ، وبعثة ثانية الى المغرب سنة ١٩٧٥ م والي جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية سنة ١٩٧٦ م ، وهو الآن يعد العدة لايفاد بعثته الي الاتحاد السوفيّي خلال هذا الشهر .

ورغبة من المعهد في اطلاع الباحثين على ما جلبته بعثاته الاخيرة آثر ان يصدر قوائم بما صورته كل بعثة ، حتى يتسنى له اصدار الفهارس التفصيلية في الفنون المختلفة ، وتتضمن هذه القوائم مجموعة كبيرة من مصورات المخطوطات في العلوم ، ويتضح هذا بجلاء في قائمة بعثة اسبانيا ، وقائمة بعثة ايران .

وقد رأى المعهد من واجبه ان يقوم على نشر كتب التراث العلمي العربي ، واحتفل بهذا منذ وقت مبكر ، فأوسع من صدر مجلته لنشر نصوص من هذا التراث بعد تحقيقها ، فتضمن المجلد السابع من المجلة في الجزء الاول منه (مايو ١٩٦١ م) كتاب المرشد او الفصول مع نصوص طبية مختارة ، لابي بكر محمد بن زكريا الرازي ، بتحقيق الدكتور البير زكي اسكندر ، وخصص المجلد الثامن منها (سنة ١٩٦٢ م) لكتاب تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن لابي الريحان البيروني ، بتحقيق الدكتور ب . بولجاكوف ، وتضمن المجلد التاسع ، في الجزء الثاني منه (نوفمبر ١٩٦٣ م) تحرير كتاب المناظر لأوقليدس ، لنصير الدين الطوسي بتحقيق الاستاذ احمد سعيد الدمرداش ، وكتاب طرائف الحساب ، لابي كامل شجاع بن اسلم

كلمة مدير معهد المخطوطات العربية
الأستاذ قاسم الخطاط

سيدي ممثل السيد رئيس مجلس الوزراء

سيدي رئيس جامعة حلب ورئيس هذا المؤتمر

سيداتي سادتي

باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وباسم مديرها العام الاستاذ الدكتور محي الدين صابر ، وباسم معهد المخطوطات العربية ، وباسمي ، احييكم اجمل تحية واتمنى لمؤتمركم هذا كل التوفيق في خدمة التراث العربي العظيم ، والجانب العلمي منه بصفة خاصة .

ويسر معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية ان يقدم بين يدي المؤتمر السنوي الثاني للجمعية السورية لتاريخ العلوم عند العرب التي تنظمها جامعة حلب ، يسره ان يقدم نبذة عن جهده المتواضع خلال اكثر من ثلاثين عاما قضاها في البحث عن التراث العربي وفهرسته وتصويره وتيسيره للباحثين ونشره ، ولا يتسع المجال هنا لعرض جهوده في هذه الميادين ، ويكفيه اتصالا بموضوع الحلقة ان يوضح جهوده في جمع التراث العلمي العربي وفهرسته ونشره .

ومنذ انشاء المعهد سنة ١٩٤٦ م بدأ الاعداد لايفاد البعثات الى مكتبات العالم التي تضم في مقتنياتها مخطوطات عربية ، وتوالت بعثاته الى تركيا

المصري بتحقيق الاستاذ احمد سعيد الدمرداش ايضا ، وتضمن المجلد الثالث عشر ، في الجزء الاول منه (مايو سنة ١٩٦٧ م) - كتاب اصول حساب الهند ، لكوشيار بن لبان الجيلي ، والكفاية (في الحساب) لاحمد بن علي الاربلي ، كلاهما تحقيق الدكتور احمد سليم سعيدان . وتضمن المجلد السابع عشر ، في الجزء الاول (مايو ١٩٧١ م) كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الالباب ، (في صناعة الاقلام ، والمداد والكتابة بالذهب ، والغراء ، والكاغد ، والتجليد) وهو منسوب للمعز ابن باديس ، بتحقيق الدكتور عبد الستار الحلوجي والاستاذ علي عبد المحسن زكي .

كما اوسعت مجلة معهد المخطوطات العربية من صدرها لبحث مطول ، في المجلد الخامس (مايو ١٩٥٩ م) عنوانه « مصادر جديدة عن تاريخ الطب عند العرب » ، جمعها الدكتور صلاح المنجد .

وتهتم نشرة اخبار التراث العربي التي يصدرها المعهد شهريا برصد انباء مايحقق وينشر من كتب التراث العربي مولية اهتماما خاصاً لكتب العلوم .

ويقيم معهد المخطوطات العربية دورة تدريبية كل سنتين لطلاب البلاد العربية ممن يحملون درجة الليسانس او ما يعادلها ، ولهم عناية بالمخطوطات العربية ، يتلقون فيها لمدة ثلاثة شهور محاضرات عن المعارف العربية ، والفهرسة والتصوير ، وصيانة المخطوطات ، والتحقيق كما يتلقون تدريبات عملية على ذلك ، ولم يغفل المعهد الاهتمام بالعلوم ، فأولاها عناية ملحوظة في هذه الدورات .

ومنذ تولي الدكتور محيي الدين صابر منصب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهو يولي اهتماما خاصا للجانب العلمي

من التراث العربي ، ولهذا فان المعهد في سبيل اعداد دراسة لاختيار عدد من كتب العلوم الهامة يقوم بتحقيقها ونشرها وذلك في برامجه المقبلة بأذن الله .

هذا عرض سريع لجهود المعهد في خدمة التّراث العلمي ، ويأمل المعهد بالتعاون مع معهد التّراث العلمي العربي في هذه الجامعة العتيدة ، جامعة حلب ، والجمعية السورية لتاريخ العلوم ومع الهيئات العلمية في العالم العربي ، ومع مراكز الاستشراق في العالم ، ان يبعث التّراث العلمي العربي ، وان يجد سبيله الى عناية الباحثين .

ويسعدني في ختام كلمتّي هذه ان اوجه تحية التقدير والاعجاب الي الاخ الكريم الاستاذ الدكتور احمد يوسف الحسن ، رئيس جامعة حلب ومدير معهد التّراث العلمي العربي فيها ، على مبادرته الرائدة في انشاء هذا المعهد ، وان احيي جهوده الموفقة في خدمة التّراث العلمي العربي .

كما يسعدني ان اتوجه بالتحية والتقدير لجميع المشتركين في هذا المؤتمر العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة رئيس جامعة حلب

الدكتور أحمد يوسف الحسن

السيد ممثل رئيس مجلس الوزراء
أيها السيدات والسادة :

في مثل هذا اليوم من العام الماضي كنا نستمع الى محاضرات الندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب ، وهاهو مؤتمرنا الثاني ينعقد في نفس الموعد ونفس المكان لكي نرسي بذلك تقليدا جديدا في الحياة الفكرية والعلمية في قطرنا العربي السوري . .

ان قيام الجمعيات العلمية المتخصصة وممارستها لنشاطاتها انما هو مظهر هام من مظاهر التقدم . ولست أقصد بذلك الجمعيات والاندية الثقافية التي يتمثل نشاطها في مواسم المحاضرات الثقافية والنشاطات الاجتماعية ، وانما أقصد نوعا جديدا من جمعيات الابحاث يلتقي أعضاؤها مرة في العام في مؤتمر سنوي يعرضون فيه نتائج أبحاثهم ودراساتهم طيلة عام كامل في الاختصاص الذي قامت جمعيتهم من أجله .

وتجمع هذه الابحاث والدراسات بعد ذلك في كتاب سنوي يصبح مرجعا للباحثين والدارسين وسجلا خالدا لتقدم الجمعية . وتمر الاعوام ويتوالى انعقاد المؤتمرات ويتوالى صدور الحوليات التي تسجل هذا النتاج الفكري .

وينمو هذا البناء عاما بعد عام لكي يصبح بالتالي صرحا شامخا وثروة لا تقدر بثمن . والجمعية السورية لتاريخ العلوم جمعية أبحاث متخصصة تعمل على نطاق القطر العربي السوري بأكمله ولها أعضاء مراسلون من مختلف أنحاء العالم . وهذا المؤتمر العلمي الذي نحتفل اليوم بافتتاحه يمثل بعضا من النشاط العلمي لاعضاء الجمعية خلال العام الذي انقضى منذ انعقاد الندوة العالمية الاولى .

قد يتساءل المرء عن علاقة الجامعة بالجمعية . والجواب على ذلك أن هذا هو شأن كافة جمعيات الابحاث العلمية في البلدان المتقدمة ، فهذا النوع من الجمعيات لا يمكن أن يعيش الا في كنف مؤسسة علمية قوية . وأمامنا أمثلة كثيرة على ذلك . فجمعيات تاريخ العلوم والطب والتكنولوجيا في بريطانيا اتخذت من الجامعات ومن متاحف العلوم مقراً لها . وجمعية تاريخ العلوم الامريكية جعلت معهد سمشونيان مركزا لنشاطها وأصبح هذا المعهد مسؤولا عن اصدار مجلتّها - بل ان الاتحاد الدولي لتاريخ وفلسفة العلوم جعل من أحد معاهد تاريخ العلوم الجامعية في باريس مقراً له .

وما ان قام معهد الترّاث العلمي العربي في جامعة حلب حتّى قامت الى جانبه الجمعية السورية لتاريخ العلوم . فالجمعية هي السبيل لتنسيق وتوحيد جهود كافة المهتمين بتاريخ العلوم والطب والتكنولوجيا داخل القطر ، ويستطيع المعهد عن طريقها أن يحقق الكثير من الاهداف التي أنشىء من أجلها .

سوف نستمع في هذا المؤتمر الى عشرين بحثا يلقيها سبعة من من أساتذة الجامعات وسبعة من الباحثين من خارج الجامعات وستة من طلبة الجامعة .

وهذا التنوع في مصادر الابحاث دليل واضح على دور الجمعية في توحيد جهود الباحثين المهتمين بتاريخ العلوم عند العرب .

لا بد لي في هذه المناسبة من اعطاء تقرير موجز قدر الامكان عن معهد التراث العلمي العربي منذ الندوة العالمية الأولى حتى الآن :

كان أهم حدث هو صدور المرسوم رقم (١٩٠٥) تاريخ ٤ - ١١ - ١٩٧٦ الذي توج الجهود المبذولة لاقامة المعهد واقامة الندوة العالمية الاولى وأصبح معهد التراث العلمي العربي أول معهد عال للبحوث في جامعات القطر .

وانه أمر له دلالته الكبيرة أن يكون أول معهد عال للبحوث في هذا القطر خاصا باحياء التراث العلمي العربي ونشره . إن الفضل الأول في ذلك (أيها الاخوة) يعود للسيد الرئيس حافظ الأسد فلولاه لما كان هذا المعهد . لقد كان الرئيس كعهدنا به دائما حكيما وبعيد النظر عندما اتخذ قراره باقامة معهد التراث العلمي العربي وأصدر المرسوم القاضي بانشائه .

ولا بد من الاشارة أيضا الى أن ميزانية انمائية خاصة بالمعهد قدرها اربعة ملايين ليرة سورية قد رصدت لبناء مقر جديد ومستقل له . وقد انتهت التصميمات الاولية للبناء الجديد وسوف تتم اشادته خلال هذا العام والعام القادم .

وبالاضافة الى الميزانية الانمائية فان الجامعة تنفق على المعهد وعلى نشاطاته في النشر العلمي من ميزانيتها . ولسوف يلحظ لأول مرة عند وضع ميزانية العام القادم للجامعة رصد الاموال اللازمة لتمكين المعهد من تحقيق غاياته .

وبالاضافة الى هذه الميزانية الانمائية والميزانية العادية السنوية تفضل السيد محافظ حلب الاستاذ احمد اسماعيل بتشكيل لجنة احياء التراث العلمي العربي ونشره . ولم يبخل أهل مدينة حلب على معهدهم بالبذل ، وافتتح حساب خاص في المصرف باسم تبرعات معهد التراث وسوف يغذي هذا الحساب بتبرعات سنوية ثابتة . وأشير بهذه المناسبة الى ان الاستاذ سليمان النسر مدير الاوقاف أعلن عن تبرع مديريته بمائة ألف ليرة سورية سنويا لهذا الصندوق .

ومكتبة المعهد هي أهم ما يعتز به . وقد بلغ عدد الكتب في المكتبة (٧٠٠٠) سبعة آلاف مجلد . ويمكننا القول دون مبالغة إن مكتبة المعهد تعتبر الآن أحسن مكتبة متخصصة في تاريخ العلوم في الوطن العربي .

وبدأ المعهد في تكوين مكتبة المخطوطات . وقد حصلنا حتى الآن على مائة وخمسة وعشرين ميكروفيلما للمخطوطات العلمية العربية في الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والميكانيك وكافة أنواع العلوم والفنون . وتوجد الان طلبات قيد التنفيذ لحوالي(١٢٠٠) ميكروفيلماً . ونأمل أن تصبح مكتبة المعهد في المخطوطات من الشمول بحيث تضم صورا عن كافة المخطوطات العلمية العربية الموزعة في مكتبات العالم .

ان الفضل الاول في تمكين المعهد من تحقيق هذا الهدف يعود الى معهد المخطوطات العربية الذي يشاركنا مديره الاستاذ قاسم الخطاط في مؤتمرنا هذا ، كما يعود أيضا الى التعاون الذي لقيه المعهد حتى الان من مكتبات استانبول والفاتيكان وكمبردج وبرلين وباريس ودلهي وغيرها من المكتبات العالمية .

وتنفيذا لتوصيات الندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب أصدر المعهد رسالة معهد التراث ووزع منها ثلاثة اعداد وسوف يوزع العددان الرابع والخامس قريبا . وسوف يتوالى صدور هذه الرسالة مرة في كل شهرين . . ويوزع المعهد رسالته هذه مجانا الي كافة الباحثين داخل القطر وخارجه .

وأصدر المعهد منذ أيام العدد الثاني من مجلة عاديات حلب وهي كتاب سنوي أو حولية تبحث في تاريخ العلوم والحضارة والاثار ، وتصدر عن المعهد بالتعاون مع جمعية العاديات وقد أحيا المعهد هذه المجلة بعد توقفها سنين طويلة .

وعمل المعهد طيلة العام المنصرم علي اصدار مجلة تاريخ العلوم العربية . وهي مجلة عالمية تصدر عن معهد التراث العلمي العربي تنفيذا لمقررات الندوة العالمية . وللمجلة هيئة تحرير من سبعة علماء وباحثين معروفين ومن هيئة محررين استشاريين من ـ ١٥ ـ عالما وباحثا . وهؤلاء العلماء والباحثون الاثنان والعشرون المسؤولون عن المجلة يقيمون في سورية ومصر والاردن وايران وتركيا والاتحاد السوفيتي والمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا واسبانيا والولايات المتحدة . وبينهم من لهم مكانة عالمية حقة وهم ممن اشتهروا بأبحاثهم ومؤلفاتهم على المستوى العالمي . ويسرني أن اعلن بأن العدد الاول من المجلة أصبح الان في المطبعة وهو وشيك الصدور ويحتوى على أبحاث باللغة الانكليزية واخرى باللغة العربية وقد أحدث الاعلان عن المجلة في المجلات العلمية الغربية صدى كبيراً وانهالت طلبات ـ الاشتراك بها من الاوساط العلمية الأجنبية المعنية بدراسة تاريخ العلوم العربية .

ونشر المعهد بالانكليزية كتاب « افراد المقال في امر الظلال » للبيروني في جزءين الجزء الاول وهو الترجمة الانكليزية والجزء الثاني

التعليق والشرح . وقد قام بالترجمة والتعليق المستشرق الامريكي الدكتور ادوارد كندي ، وهو أشهر مؤرخ للفلك العربي وأحد محرري مجلة تاريخ العلوم العربية .

ومن المشاريع التي قطع المعهد شوطا في سبيل انجازها وضع دليل لمؤرخي العلوم العربية ولسوف يصدر هذا الدليل في العام الحالي .

كذلك يقوم المعهد بتحقيق كتاب « الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل » لبديع الزمان الجزري ، وسوف نستمع الى شرح عن هذا المشروع في محاضرات المؤتمر .

ويقوم المعهد بتهيئة موسوعة عن الحرف والصناعات التقليدية السورية . وقد جند لذلك فرقة من الباحثين كما أنه يجند جهود المثقفين والطلاب في سبيل انجازها . وقد قطعت الموسوعة شوطا لا بأس به .

ويقوم المعهد كذلك بعمل مسح شامل للمنشآت العربية المائية في القطر العربي السوري ، وتقوم بذلك بعثة ميدانية . وأوشكت هذه البعثة على انجاز مسح محافظتي حلب وادلب ، وسوف تنتقل بعد ذلك الى محافظتي حماه وحمص وحوض العاصي من أجل مسح النواعير ودواليب وطواحين الماء .

ويقوم المعهد الآن بالاتصال مع مؤرخي الطب والصيدلة من أجل اصدار مرجع علمي هام عن تاريخ الطب والصيدلة عند العرب في مجلدين كبيرين ، باللغتين العربية والانكليزية ويتضمن العدد الرابع من رسالة المعهد وصفا مفصلا للمشروع . وقد أعلن السيد وزير التعليم العالي الدكتور محمد علي هاشم أنه خصص لهذا المشروع مبلغ خمسين ألف ليرة سورية من موازنة المجلس الاعلى للعلوم . كما أعلنت نقابه

الاطباء عن إسهامها أيضاً بمبلغ خمسين ألف ليرة . كما أيّد اتحاد الاطباء العرب المشروع وأوصى نقابات الاطباء في الاقطار العربية بتوزيع هذا المرجع على أعضائها .

ويقوم المعهد أيضا بالاتصال مع مؤرخي العلوم والتكنولوجيا من أجل اصدار مرجع علمي هام عن تاريخ العلوم والتكنولوجيا عند العرب في ستة مجلدات ، وتجدون أيضا وصفا لهذا المشروع في العدد الرابع من رسالة المعهد . وبالاضافة الى ما ذكرت فان بعض باحثي المعهد يقومون الان بتحقيق بعض المخطوطات العلمية والطبية .

أيها السادة :

ان بعضا ممـــا ذكرته لكم ليس بالامراهين اليسير . فكتابة تاريخ الطب العربي وتاريخ العلوم والتكنولوجيا تحتاجان الى سنين من العمل الجاد الشاق ، ولكن الامر ممكن وقابل للتنفيذ ، وهو يحتاج الى تنظيم والى تمويل والى صبر ومثابرة . وان معهد التراث العلمي العربي هو وحده المؤهل لتجنيد الباحثين من كافة انحاء العالم من اجل انجاز هذين العملين الكبيرين .

ايها السادة :

لقد أصبحت مكانة سورية كبيرة في الاوساط الدولية المهتمة بتاريخ العلوم ، وكان من جراء ذلك أن دعيت سورية للاشتراك في الاتحاد الدولي لتاريخ وفلسفة العلوم . أقول دعيت قبل أن تتقدم بطلب . وهو أمر نادر الحدوث في تاريخ الاتحاد وكما أعلمني رئيسه . وسوف يتم الاحتفال بقبول سورية ومصر عضوين في الاتحاد الدولي لأول مرة في آب القادم في أدنبرة باسكتلندا اثناء انعقاد المؤتمر الدولي الخامس عشر لتاريخ العلوم . وبذلك تكون سورية ومصر أول بلدين من بين البلدان العربية والاسلامية تدخلان في الاتحاد .

وسوف يتخذ الاتحاد الدولي قرارا في أدنبرة في آب القادم .
يعتبر فيه الندوة العالمية لتاريخ العلوم عند العرب احدى الندوات الدولية التي يرعاها الاتحاد ، وقد عبر الاتحاد عن ذلك بالاعلان في رسالته عن الندوة العالمية الثانية التي سوف تنعقد في حلب عام ١٩٧٩ . وأصبحت للمعهد علاقات دولية طيبة مع العديد من معاهد الابحاث المماثلة مثل معهد تاريخ العلوم والتكنولوجيا التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي ومع جامعة هارفارد في الولايات المتحدة ومع المركز الوطني للبحث العلمي في باريس وأبدت هذه المؤسسات والمعاهد استعدادها للتعاون في سبيل قيام أبحاث مشتركة ومن أجل النشر العلمي المشترك ، وكان من نتائج السمعة الدولية الحسنة التي أصبح معهدنا يتمتع بها أن مرصد كاندللي في استانبول ارسل كتابا يقول انه وضع اسم مدير المعهد في عداد لجنة الشرف المسؤولة عن اقامة ندوة عالمية في تركيا موضوعها (المراصد في الاسلام) ، وذلك بمناسبة مرور اربعمائة عام على انشاء اخر مرصد في الاسلام في استانبول ، ذلك المرصد الذي أنشأه تقي الدين بن معروف الراصد الدمشقي والذي نعتبره آخر الفلكيين والمهندسين العرب المرموقين.

ايها السادة :

ان معهدكم وان جمعيتكم لا يزالان في بداية الشوط . وان سلوك طريق البحث العلمي الجاد والشاق هو سبيلنا الى خدمة التراث العلمي العربي ووضع هذا التراث في مكانه الصحيح في تاريخ الانسانية .

اني واثق بان دعم السيد الرئيس حافظ الاسد لما تقومون به سوف يبقى دائما من دون حدود فلتكن طموحاتكم كبيرة وحماسكم لهذا الدرب التي سلكتموه عظيما ولسوف تلقون دائما الدعم والتأييد .

اني أشكر باسمكم السيد رئيس مجلس الوزراء اللواء عبد الرحمن خليفاوي على رعايته لهذا المؤتمر وعلى تأييده ودعمه لما يقوم به معهد التراث العلمي العربي .

كما أشكر السيد وزير التعليم العالي (الدكتور محمد علي هاشم) ممثل السيد رئيس مجلس الوزراء على تفضله بتجسم عناء السفر لافتتاح هذا المؤتمر ورعايته .

واني لاشيد بالدعم الكبير الذي قدمه السيد الوزير ولا يزال يقدمه لمعهد التراث العلمي العربي على النطاقين المحلي والدولي .

كما أشكر ايضا الاستاذ احمد اسماعيل محافظ حلب ورئيس لجنة احياء التراث العلمي العربي ونشره وصحبه الكرام اعضاء اللجنة .

وأشكر باسمكم أيضا سائر العاملين في معهد التراث العلمي العربي وفي الجامعة على الجهود الكبيرة التي بذلوهـا لخدمة جمعيتكم ومؤتمركم . وأرحب باسمكم بضيفي هذا المؤتمر الدكتور فؤاد سيزكين أستاذ تاريخ العلوم من جامعة فرانكفورت والاستاذ قاسم الخطاط مدير معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة .

والسلام عليكم

كلمة اللجنة التحضيرية

الدكتور خالد ماغوط

السيد الدكتور وزير التعليم العالي

ممثل السيد رئيس مجلس الوزراء ،

السادة الحضور ،

يسرني باسمي وباسم اللجنة التحضيرية أن أرحب بكم في حفل افتتاح المؤتمر السنوي الثاني للجمعية السورية لتاريخ العلوم .

قبل عامين كانت هذه الجمعية فكرة تراود أذهان بعض رجال الفكر في القطر ، من الذين آمنوا بواجبنا القومي تجاه تراثنا العلمي الذي لم يكن يلقى الاهتمام الكافي من الباحثين العرب بينما كان موضع اهتمام كبير من قبل الباحثين العالميين ، و كان منهم الكثير من المنصفين . فقد نشرت مجلة الطبيعه Nature في عددها الصادر في الشهر الماضي مقالا تذكر فيه أن نفس المجلة ، منذ مئة عام . . تماماً في شباط من عام ١٨٧٧ نشرت الخبر التالي :

القى الأستاذ البرليني ديتيريتشي Diederici محاضرة عامة بين فيها أن نظريات داروين ليست جديدة لأن العلماء العرب كانوا قد نشروا هذه النظريات في القرن العاشر . . أي قبل تسعة قرون .

إن مقالا كهذا يجعلنا حتماً فخورين بتاريخنا العلمي ، لكن . . . اليس من واجبنا متابعة هــذه الفكرة للوصول إلى الحقيقة حــول

هذا الموضوع بالذات ، وحول غيره من المواضيع المشابهة ؟ . . . ومن أجدر بدراسة تاريخنا العلمي منا نحن ؟ . . أليس من الواجب أن نسهم بنصيب وافر في هذه الدراسات ؟ . . . ألا يستحق تاريخنا العلمي ، الذي لا يقل مجداً عن تاريخ فتوحاتنا ، بل يزيد عنه بكثير ، ألا يستحق منا كبير الاهتمام لننقب عن كنوزه ونبحث في خفاياه ؟ . . .

نعم ، إن في تاريخنا العلمي الكثير ما يثير الفخر والاعتزاز ويملأ النفس ثقة وايمانا بقدرتنا على البذل والعطاء والانتاج الفكري والعلمي ، فما اعطاه اجدادنا يمكن لأحفادهم اعطاؤه وما قدمه اجدادنا من إسهام وإغناء للحضارة الانسانية يمكن لأحفادهم الاسهام بمثله بل بأكثر منه . وفي هـــذه المرحلة بالذات من تاريخ امتنا العربية نجد أن واجباً ملحاً يقع على عاتقنا في ابراز هذه الامكانيات . فنحن مقبلون على معالم الحضارة الحديثة بعد أن تخلصت امتنا من براثن الاستعمار ، وتخوض الآن مع الاستعمار الامبريالي الصهيوني معركة حضارة يحاول فيها هذا الاستعمار استخدام كافة الاسلحة ، بما فيها التقليل من شأن امتنا ، والانتقاص من امكانياتها . . فأصبح واجباً ملحاً علينا أن نخرس أكاذيبه وادعاءاته ، وأن نوضح حقيقة ناصعة وهي أننا أمة استطاعت ان تقود الفكر العلمي في العالم وأن تغنيه ، وتستطيع أن تسهم في إغنائه عندما تتخلص من رواسب الاستعمار السابق وما خلفه من أمراض لا تزال تمزق صفوفنا .

انطلاقاً من هذا الادراك للواجب ، تداعى بعض المفكرون إلى انشاء هذه الجمعية ، ودعمهم المسؤولون في الدولة فبرزت الى الوجود الجمعية السورية لتاريخ العلوم التي عاشت في كنف جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي ورعايتهما . وخطت هذه الجمعية خلال هذه الفترة القصيرة من وجودها خطوات كبيرة يحق لنا أن نفخر بها . .

فها هي تستقطب نشاطات الكثيرين من رجالات الفكر ومن شباب الجيل الذين اندفعوا بحماس يبحثون وينقبون في التاريخ العلمي لأمتهم وسترون خلال يومي هذا المؤتمر بعض نتائج هذا الحماس . فهناك أساتذة وهناك طلاب وهناك مفكرون في مختلف الميادين ، كل منهم أسهم ببحثه . . وما هذه البحوث التي سوف يعرضونها عليكم سوى لبنات أولية للصرح الكبير الذي نأمل أن تسهم جمعيتنا الفتيه في بنائه . وها هي الجمعية تضم الآن حوالي مئة وخمسين عضواً ، وها هي تراسل الجمعيات العالمية لتاريخ العلوم وتتبادل معها الافكار والمعلومات . . وتصبح عضواً في الاتحاد الدولي لجمعيات تاريخ العلوم والفاسفة . . . وها هم رجالات حلب يشكلون برئاسة السيد محافظ حلب لجنة خاصة لاحياء التراث العلمي العربي ونشره . . وكان دعم هذه اللجنة ومؤازرتها كبيراً وكريماً من الناحيتين المادية والمعنوية . . إن كل هـــذه الخطوات لم تكن لتتم لولا إيمان العاملين في هـــذا المضمار بواجبهم ولولا دعم المسؤولين لهذا العمل القومي . . وإن في رعاية السيد اللواء عبد الرحمن خليفاوي رئيس مجلس الوزراء لهذا المؤتمر لأكبر دليل على هذا الدعم .

وأخيراً آمل للجمعية السورية لتاريخ العلوم كل نجاح في تأدية رسالتها . . وآمل للمؤتمر الذي نحتفل اليوم بافتتاحه كل توفيق .

كلمة الباحثين المشاركين

الدكتور سلمان قطاية

السيد الوزير ، السيد رئيس الجامعة ، السادة العمداء والوكلاء والاساتذة العلماء ، طلابنا الاعزاء .

سادتي سيداتي

إنه لمن دواعي الفخر والسعادة أن أرحب بكم باسم السادة الباحثين .

هنا في هذا المكان الذي جمعنا منذ عام ويجمعنا اليوم .

الفخر : اذما ان اعلنت الجامعة عن فكرة العمل لأحياء التراث العلمي العربي ، حتى هُرعتم جميعاً ، انتم وآخرون ، جاؤوا من اطراف المعمورة مدفوعين بمحبتهم لذلك التراث المجيد ، وتلك الحضارة التليدة ، ليلقي كل منا نتاج بحثه ، وليناقش زملاءه حصاد علمه .

والسعادة : أن يكون قطرنا الرائد في هذا المجال ، وجامعتنا الناشئه المبادرة لهذا العمل الجليل .

السعادة أيضاً أن تكون لنا مناسبات ، يستطيع خلالها علماؤنا الاجتماع للتعارف ، ولتبادل وجهات النظر ، وللعمل في سبيل هدف سام .

أيها الحفل الكريم .

إن مهمة اعادة النظر في تراثنا وتقـديمه للعالم أجمع في شكله الحقيقي لمهمة شاقة صعبة ، يعجز عنها الانسان لوحده مهما اوتي من العلم ، ومهما بلغ من علو الهمة .

لأن دراسة الحضارة العربية من كل جوانبها العلمية ، لم تحظ حتى الآن من قبل ابنائها ، إلا بدراسات سطحية عامة عدا قلة نادرة لا تغني ولا تسمن من جوع .

ترك العرب أمر تجميع تراثهم للغربيين الذين اخـذوا معظم ما في المكتبات من ثمين المخطوطات . وراحوا يكتبون وينشرون حسبما تدفعهم اهواؤهـم المبنية على عقلية تتميز في معظم الأحيان بالتحيز التام . وزاد الأمر تعقيداً ونكبة ، ان بدأ علماء العرب أنفسهم يعتبرون هذا الانتاج الغربي ، علماً حقيقياً لامراء فيه وراحوا يترجمونه ويدافعون عن نظرياته !

لذا : والحال هذه ، كان لا بد ان تقوم مؤسسة ما تتبنى وتتخصص في دراسة تراث العرب العلمي ، على يد العرب انفسهم وان لا يقتصر عمل هذه المؤسسة على اقناع العرب ، بأن حضارتهم حضارة انسانية حقيقيه ، بل على اقناع العالم كله بهذه الحقيقة ، وكشف الادعاءات المغرضه التي لحقت بتراثنا من جراء تجني الغربيين المغرضين عليها .

من هنا جاءت فكرة انشاء معهد التراث العلمي العربي الذي اخذ على عاتقه هذه المهمة الشاقه الصعبة . وجعل من اهدافه :

تحقيق ونشر المخطوطات العلمية العربية ، وترجمة أمهات الكتب العلمية إلى اللغات الاجنبية ، ونشر مجلة علمية عالمية لتكون منبراً عالمياً نطرح عن طريقه وجهات نظرتنا ، كذلك اقامة مؤتمرات دولية ، والاشتّراك بالمؤتمرات الدولية .

وعلى اعتبار انها مهمة صعبة وشاقة ، طريقها وعر شائك فقد أسست الجمعية السورية لتاريخ العلوم ، لتضم بين جنبيها كل عالم محب لأمته مؤمن بتّراثها وعبقريتها . لكي تتكاتف الجهود وتجتمع القلوب حول موضوع هام الا وهو موضوع التّراث العلمي .

وهكذا : نرى ان واجبنا نحن المجتمعين هنا جميعاً ، واجب كبير ، ومسؤوليتنا مسؤولية خطرة ، يسرني ويسعدني ويشرفني انني طرحتها عليكم جميعاً باسم اخواني اعضاء الجمعية ، واسم السادة العلماء الباحثين . وانني اشكر باسمهم أيضاً كل من أسس وأسهم في كل هذه المشاريع الهامة ، ودمتم .

توصيات المؤتمر

بعد أن توجه المشاركون في المؤتمر ببرقيات شكر للسيد الرئيس حافظ الاسد رئيس الجمهورية على دعمه الكبير للعلم والعلماء وللسيد اللواء عبد الرحمن خيلفاوي رئيس مجلس الوزراء على رعايته للمؤتمر وللسيد الدكتور محمد علي هاشم وزير التعليم العالي على حضوره المؤتمر ، اتخذ لدى اختتام اعماله التوصيات التالية :

١ ـ دراسة احداث فرع للجمعية في دمشق واتخاذ المجلس الاعلى للعلوم أو احدى النقابات العلمية مقرا له .

٢ ـ الاسراع باحداث أقسام متخصصة بمثابة لجان وطنية تابعة للجمعية بدءا بقسم لتاريخ الطب والصيدلة .

٢ ـ العمل على اشراك الجمعية ولجانها الوطنية المتخصصة في كل حقل من تاريخ العلوم بالاتحادات الدولية المتخصصة في تاريخ الطب أو التكنولوجيا او الرياضيات أو غيرها من الاختصاصات. وحث اعضاء الجمعية على ممارسة نشاطاتهم الدولية بشكل كامل من حيث الاشتراك بالمؤتمرات والاسهام بالبحوث والاشتراط فيمن يرشح لحضور أي مؤتمر باسم الجمعية أن يتقدم اليه ببحث اصيل غير منشور سابقا توافق عليه هيئة القسم المختص .

٤ ـ حث الباحثين الذين سيشتركون في المؤتمر القادم للجمعية الذي تقرر عقده في شهر نيسان ١٩٧٨ على توجيه دراساتهم بالدرجة الاولى عن مخطوطات عربية علمية لم يسبق نشرها بعد .

٥ ـ توسيع تجربة اشراك طلاب الجامعات السورية بدراسة التراث العلمي العربي على أن يتم باشراف أستاذ أو باحث مسؤول يتبنى البحث ويقترن البحث باسمي الطالب والمشرف .

٦ ـ الاقتراح على اتحاد الجامعات العربية بوضع خطة مدروسة لتعريب الدراسة في الكليات العلمية في الجامعات العربية على مراحل .

٧ ـ وضع خطة مدروسة لتحقيق التعاون التام بين معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ومعهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للثقافة والعلوم في جميع الميادين ، وتنسيق العمل بين المعهدين لخدمة التراث العلمي العربي في مختلف المجالات .

٨ ـ مضاعفة الجهود المبذولة من أجل الاسراع بتنفيذ الخطة العلمية لمعهد التراث العلمي العربي التي عرضت على المؤتمر .

٩ ـ العمل على تنظيم رحلة الى اسبانيا وغيرها من مراكز التراث العربي .


الأبحاث العامة

العلم عند العرب

للمستعرب الإيطالي الدوميلي (1)

الأستاذ فريد جحا

موجه اللغة العربية - حلب

تمهيد :

نعرف في هذا البحث بكتاب من أهم الكتب التي درست العلم العربي ، وأبرزت مكانته في تاريخ العلوم ، ودوره في تطور العلم العالمي .

يحقق الكتاب غرضين :

اولهما : قومي ، وذلك بالتأكيد على تسمية تراثنا العلمي (بالعلم العربي) ، مع بيان وجهة نظر المؤلف في ذلك .

وثانيهما : علمي حضاري ، وذلك بعرض ممتاز لمنجزات العلم العربي ودوره في تطور العلم الانساني ، مع التعريف بأشهر علمائه وأهم مؤلفاتهم .

يزيد من قيمة الكتاب أن مؤلفه مستعرب ابطالي ، وعالم كبير من علماء تاريخ العلوم .

---

١ – العنوان الأصلي للكتاب : **A. Mieli**
La science arabe, et son rôle dans l'évolution scientifique mondiale; Leiden,1939
العلم العربي ، ودوره في التطور العلمي العالمي ، ليدن ١٩٣٩ .

العلم أحد الانجازات الكبرى التي قدمتها الانسانية خلال مسيرتها الطويلة ، منذ كانت تعيش في العصر الحجري ، حتى وصلت الى هذا العصر الذي يلقب (بعصر العلم ، أو عصر الذرة ، أو عصر الفضاء) وذلك بعد أن مرت بعصر البرونز ، فعصر الحديد ، فعصر البخار ، فعصر الكهرباء .

وتاريخ العلم الذي يؤرخ تطور هذا الانجاز الكبير ، جزء هام من تاريخ الحضارة العام ، بدأ العلماء يعنون به منذ قرون ، ولكنه لم يدرس دراسة علمية دقيقة الا منذ أخريات القرن الماضي ، حين رسم منهجه ، وحددت معالمه ، وحققت مسائله . وقد ألفت من أجل تأريخ العلوم المختلفة جمعيات ومؤسسات ، من أشهرها جمعية تاريخ العلم في كمبردج ومجلتها (ايزيس ISIS) ولا تزال تصدر منذ عـــام ١٩١٣ (١) ، والمجمع العالمي لتاريخ العلوم ومجلته الرسمية (اركيون ARCHION) (٢) . وقد أنشىء في جامعة حلب عام ١٩٧٦ معهد التراث العلمي العربي والجمعية السورية لتاريخ العلوم والآمال معقودة عليهما في اسهام عربي في هذا الموضوع الهام جدا من موضوعات تاريخ الحضارة .

---

١ – أسس المجلة جورج سارتون سنة ١٩١٣ ، وتوقفت في أثناء الحرب العالمية الأولى ، ثم عادت الى الظهور سنة ١٩٢٠ . وهي منذ سنة ١٩٢٤ ، المجلة الرسمية لجمعية تاريخ العلم في كبردج ، ومنذ سنة ١٩٣٥ ظهرت مجلة مكملة لها بعنوان اوزيريس Osoris ينظر كتاب الدوميلي موضوع هذا البحث ص ٦٠٧ .

٢ – أسسها الدوميلي في روما سنة ١٩١٩ ، ثم قام بادارة تحريرها وهي منذ عام ١٩٢٨ ، المجلة الرسمية للمجمع العالمي لتاريخ العلوم . وقد ظهر منها حتى عام ١٩٣٨ واحد وعشرون جزءا . ونعتقد أنها توقفت عن الصدور منذ بدء الحرب العالمية الثانية .

اما العلماء الذين اشتغلوا بتاريخ العلم بصورة عامة فكثيرون جدا ، يكفي أن نشير منهم الى العالم (جورج سارتون) البلجيكي الأصل والذي هاجر إلى أمريكا بعد ذلك ، والذي وقف حياته طوال نصف قرن على دراسة هذا الفرع من فروع تاريخ الحضارة ، حتّى غدت كتبه المؤلفة فيه مصادر أساسية في هذا المضمار تعتمدها الجامعات ومراكز البحث العلمي (١) .

ونذكر الى جانب هذا العالم عالماً كبيراً آخر ، اهتّم أولا بتاريخ العلوم عامة ، ثم قصر دراساته وأبحاثه على (العلم العربي) هذا العالم هو (ألدوميلي Aldo Mieli) الذي لم يتح لنا أن نتعرف من تفاصيل حياته ، وأعماله ، سوى أنه كان وكيل (المجمع الدولي لتاريخ العلوم) ومؤسس مجلة (أركيون) التي تسجل نشاط هذا المجمع. وله أبحاث كثيرة تتصل كلها بالعلوم عند العرب ، وقد نشرت بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٤٣ (٢) .

---

١ – ترك جورج سارتون مؤلفات كثيرة تتعلق كلها بتاريخ العلم أهمها كتابان هما :
مقدمة لتاريخ العلم Introduction to the History of Science وقد صدر بين سني ١٩٢٩ و ١٩٤٨ ، – وتاريخ العلم History of Science وقد صدر منه مجلد وحيد في عام ١٩٥٢ ويتناول العلم القديم والعلم الاغريقي وقد ترجم الى اللغة العربية بعناية من الجامعة العربية . تنظر قائمة الكتب التي سجلها المؤلف في صـ ٢٠ من الكتاب ، وفي صـ ٢٢ وفي صـ ٢٣ .

٢ – عرف نجيب العقيقي به في كتابه (المستشرقون) في أسطر قليلة اكتفى فيها بالحديث عن عمله ومن مجلته ، ثم ذكر عناوين بعض من آثاره وسنوات نشرها وذلك في الجزء الأول من (المستشرقون) صـ ٣٩٨ .

- ٣ -

وتاريخ العلم ضروري ، على الرغم من التطور الهائل الذي يسير فيه ولا سيما في السنوات الخمسين الأخيرة . . . ان التاريخ وحده هو الذي يساعدنا في فهم العلم حق الفهم ، وفي معرفة كونه وحدة متماسكة في ماضيه وحاضره ومستقبله ، ثم في ادراك قيمه السامية ، واجتلاء نواته الأساسية الخالدة التي هي العقل الانساني .

ان العلم الذي هو في المرتبة الأولى من صنع العقل الانساني ، لا يجد سببه العميق ، ولا يبدو جلياً الا بتلك السبيل التي سلكها فعلا . والماضي وحده هو الذي يشرح الصورة التي يأخذها العلم الآن ، والتي يأخذها غداً (١) .

- ٤ -

ولقد كان للعرب حضارة رائدة في القرون الوسطى ، وكان العلم العربي أبرز منجزات هذه الحضارة . وقد عكف العلماء في المشرق والمغرب على دراسة هذه الحضارة وعلى دراسة الجانب العلمي فيها ، وقلما خلا كتاب – من كتب تاريخ الحضارة العامة ، أو الحضارة العربية ، او الاسلامية – من حديث مختصر أو مطول عن العلم العربي وعن العلماء العرب . . كما أن هناك كتبا فصلت القول في هذا المضمار (٢) .

---

١ – ألدوميلي ، العلم عند العرب ، الترجمة العربية ص ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ .

٢ – نذكر على سبيل المثال ابحاث سارتون عن العلم العربي في الجزء الثاني من (مقدمة تاريخ العلم) ، حيث خصص للعلم العربي حوالي اربعمائة صفحة أرخت لجوانب العلوم العربية المختلفة بشكل جيد ، نالت معه ثناء جميع الذين قرأوها باللغة الانكليزية لما بدا فيها من عمق وموضوعية .

— ٥ —

أما الكتاب الذي اختص بالعلم العربي ، فهو الذي ألفه العالم والمستعرب الايطالي (ألدوميلي) ، ثم نشره في عام ١٩٣٨ وأعيد طبعه في العام التالي ١٩٣٩ بعنوان (العلم العربي ودوره في التطور العلمي العالمي) . وقد تبنت الجامعة العربية ترجمة هذا الكتاب ، فنقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور محمد يوسف موسى ، وطبعت ترجمته بالقاهرة سنة (١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م) مع تغيير طفيف في العنوان ، لسنا ندرى سببه ، اذ جاء عنوان الترجمة العربية كما يلي (العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي) (١) .

لم يتح لنا الاطلاع على النص الأصلي للكتاب الذي هو باللغة الفرنسية لأنه غــدا من الكتب النادرة (٢) ، أما الترجمة العربية فتقع في (٦١٤) ص مع تقديم وفهرس مفصل في ثلاث عشرة صفحة من جهة ، وفهرس مفصل للأعلام في أربع وعشرين صفحة .

— ٦ —

والكتاب ثلاثة أقسام كبرى :

القسم الأول : مدخل يتناول خطوات العلم السابقة للعلم العربي بعد بيان أهمية هذا العلم بخاصة وتاريخ العلوم بعامة . وفيه حديث واف عن العلوم : العلم الصيني والهندي ، وعلوم شعوب البحر الأبيض المتوسط : مصر ، وما بين النهرين ، والعلم البابلي ، والعلم الاغريقي بأنواعه المختلفة (٣) .

---

١ — نشرته دار القلم بالقاهرة في عام ١٣٨١ / ١٩٦٢ وحبذا لو اعيد طبعه لأنه نفد من الأسواق ، ولم يعد موجودا .

٢ — من تقديم الدكتور حسين فوزي للترجمة العربية ص (ى) .

٣ — المدخل من ص ٩ ، الى ص ٦٦ من الترجمة العربية .

القسم الثاني : وهو أهم اقسام الكتاب لأنه يتناول بالبحث (العلم العربي من القرن الثامن الى القرن الثالث عشر للميلاد) ، ويشغل منه أكثر من أربعمائة وخمسين صفحة (١) . ويمكن توزيعه الى خمسة أقسام فرعية :

آ ـ مقدمة تبحث في انهيار العلم القديم السابق للعلم العربي ، وفي نشأة الاسلام ونموه ، وفي أصول العلم العربي وطابعه .

ب ـ أوج العلم العربي في المشرق ثم انحطاطه في القرنين الثاني عشر والثالث عشر .

ج ـ العرب في الأندلس ، وازدهار علومهم الأول ، ثم عصر العلم الذهبي في الأندلس ، ثم تناقص هذا العلم في هذا القطر

د ـ في انتقال العلم العربي الى الغرب المسيحي وأشهر مواطن هذا الانتقال في سالرنو ، وخلال الحروب الصليبية ، وفي صقلية ، ثم في شبه جزيرة الأندلس . . . وما ترتب على ذلك من نشـأة علم جديد في البلدان المسيحية .

هـ ـ في معارفنا الحالية عن العلم العربي ، وفي السبيل الى معرفة مثلى به .

أما القسم الثالث من الكتاب فخمسة ملاحق هامة : (٢)

أولها : استعراض سريع لبعض العلماء العرب وبعض كتبهم منذ القرن الرابع عشر الميلادي .

وثانيها : نصوص اقترحت لنشرها ضمن (مجموعة المخطوطات العربية في العلم الطبيعي والفن الطبي) ، مع بيان بالكتب الرياضية والفلكية والكيميائية التي تستحق البدء بالنشر .

---

١ ـ من صـ ٦٧ ، الى صـ ٥٠٢ .

٢ ـ الملحق من صـ ٥١٣ ، الى صـ ٦١٤ .

وثالثها : قائمة بأسماء أعضاء اللجنة التي ألفت لنشر (مجموعة المخطوطات العربية في العلم الطبيعي والفن الطبي) .

ورابعها : موافقات بين السنين الميلادية والهجرية .

وخامسها : ثبت المراجع لدراسة العلم العربي .

— ٧ —

والكتاب هام ، و كل صفحة من صفحاته تستحق قراءة جدية ، وتلخيص افكاره كلها يتطلب كتابا آخر ، لذلك سنقتصر على بضعة موضوعات تبدو لنا أهم ما قدم لنا الكتاب .

آ — يطلق المؤلف لفظ « عربي » على مدلول بعيد الاتساع . ويدخل في مدلوله « العلم العربي » ذلك العلم الذي نما وازدهر في العصور الوسطى ، وفي تلك البلدان التي كانت تنتظم في رقعة الامبراطورية العربية للخلفاء ، مهما كانت اللغة التي استعملها العلماء (وهي العربية طبعا على وجه العموم) ومهما كانت ديانة هؤلاء العلماء (١) .

وننقل هنا — نظرا لأهمية الموضوع — التفسير الكامل للعنوان الذي أعطاه للكتاب : التسمية بالعـــلم العربي ، أحسن العناوين التي يمكن اطلاقها على العلم الذي ازدهر من القرن الثامن الى القرن الثالث عشر في البلاد التي سادها الاسلام ، والذي ظهر في الآثار العملية ، وأنواع الانتاج العلمي والأدبي . وتسمية ذلك بالعلم الاسلامي أقل دقة ، اذ قام بقسط في انضاج ذلك العلم وتنميته كثير من المسيحيين واليهود والزرداشتيين والوثنيين . ومن جانب آخر ، لن يكون من العدالة بحال أن نفصل الكتب المؤلفة بالعربية عن الكتب التي الفت في نفس المحيط بالسريانية أو الفارسية أو العبرية . فهي جميعا تؤلف

---

١ — من مقدمة المؤلف ص ٣ .

وحدة من حيث روحها ومن حيث التأثير المتبادل بينها (١) . ويوجد – بوجه عام – هذا التقسيم الصناعي المحض في كتب تاريخ الآداب العربية والفارسية والعبرية الخ . . . ويريد بعضهم أن يفهم هذا التقسيم بمعنى أن مؤلفي تلك التواريخ يعنون بقوالب الكتب التي يدرسونها في اللغات المختلفة أكثر من عنايتهم بالروح والجو الحقيقيين لهذه الكتب . بيد أنه – حتى في هذه الحال – يجد القارىء الحصيف مثل هذا التقسيم متعنتاً وغير طبيعي . . .

ومع ذلك نستطيع أن نقرر أن القسم الأعظم من الآثار المتعلقة بالعلم العربي مكتوب باللغة العربية . والايرانيون – بعد سقوط الدولة الساسانية اتخذوا العربية لغة لهم – دون استثناء تقريباً – في جميع كتاباتهم العلمية والأدبية . وكان المسيحيون السريان من جانب آخر – مع كثرة استعمالهم اللغة العربية – يستخدمون اللغة السريانية في كتبهم أيضا في جميع الأزمنة . ولكن من الواضح الجلي أننا لا نستطيع أن ننظر في شخص واحد كابن العبري ، الى شخصين اثنين ، بأن نبحث كتبه العربية في مكان ، وكتبه السريانية في مكان آخر .

ومثـــل ذلك يمكن أن يقـــال عن اليهود الذين كتبوا بالعبرية . فان العلماء العظام منهم ، كتبوا جميع كتبهم تقريبا بالعربية ، ولكن كتبهم هذه سرعان ما ترجمت الى العبرية . وهناك آخرون كتبوا باللغتين على التناوب . وفي نهاية العصر الذي نحن بصدده نشاهد عندهم ميلاً الى تعريف شعوب غربي اوربا بالكتب العلمية العظيمة المؤلفة باللغة العربية ، وذلك بوســـاطة ترجماتهم العبرية (٢) . فمن الجلي أن جميع هذه الكتب – التي كتبت بالعبرية – لا يمكن عدها منفصلة عن جملة العلم العربي ، في دراسة تاريخية (٣) . »

---

١ – ص ١٤٤ من الكتاب .

٢ – ص ١٤٥ من الكتاب .

٣ – ص ١٤٦ من الكتاب .

ب ـ ومقام العلم العربي ـ في رأي المؤلف ـ هو بالمكانة الأولى من الأهمية في تاريخ العلوم ، لأن هذا العلم العربي يكون حلقة الاتصال والاستمرار بين الحضارة القديمة وبين العالم الجديد . واذا نحن لم نواجهه ولم نتفهمه فسنجد فراغا يتعذر تفسيره بين الحضارات القديمة وبين حضارتنا الحديثة . . واذاً ينبغي أن نجتهد في دراسته بعناية (١) .

ومما يزيد في مقام العلم العربي ، ويرفع من أهميته أن العلم القديم كان قد سقط الى هوة سحيقة اعتبارا من القرن السادس . وعلى الرغم من أنه لمع في أوائل هذا القرن لمعاناً قويا ، « فان سقوطه بعد ذلك بقليل كان كاملا غير منقوص » (٢)

العلم العربي يعتبر بعثا للعلم القديم ، ودفعا له نحو الامام ، واسهاما في تطويره واغنائه ، تمّ ذلك نتيجة رغبة عميقة في العلم ، وتطلع قويّ الى المعرفة غذّتهما دراسة الآداب القديمة : اليونانية والسريانية الفارسية والهندية ، فكانت تلك الظاهرة ، ظاهرة عشق العلم وتشجيعه لا عند الخلفاء العظام المنصور والرشيد والمأمون والمعتصم فحسب ، بل عند القسم الأعظم من رعايا الدولة كذلك (٣) . وبدأت في العصر العباسي حركة ترجمة واسعة . واذا كانت الترجمات السريانية تشتمل على اخطاء فاحشة ، واذا كان الذين ترجموا من العربية الى اللاتينية في العصور الوسطى يسيرون على هذا الخط تماما ، فان الترجمات العربية ـ على النقيض من ذلك ـ لا تشتمل على هذه العيوب ، وينبغي عدها آثارا تدل على عناية واخلاص (٤) . هذه الترجمات التي

---

١ ـ ص ١١ من الكتاب .

٢ ـ ص ٧٢ من الكتاب .

٣ ـ ص ٩٤ من الكتاب .

٤ ـ ص ١٢٦٩ من الكتاب .

تمت على أيدي شخصيات لمع نجمها في القرن التاسع الميلادي . وبحماية صدرت عن الخلفاء ووزرائهم ، وعن الأمراء والملوك في الدول العديدة التي انشئت في الأندلس والمغرب وتونس ومصر وحلب ودمشق . . .

على أن الذي كان مدهشا حقا هـو أن مرحلة الترجمة العربية قد تم اجتيازها بسرعة ، وانتقل العرب بخطى سراع الى مرحلة العلماء الأصلاء وبدأ ظهور هؤلاء العلماء عند العرب منذ القرن التاسع الميلادي (١) . فتسلق هؤلاء القمة خلال القرن التاسع ليصلوا الى الأوج ، والى العصر الذهبي للعلم العربي في المشرق خلال القرنين العاشر والحـادي عشر (٢) ، معطين العالم ذلك النتاج الهائل من الكتب في الجغرافية والفلسفة والرياضيات والفلك والطبيعة والطب والكيمياء والتاريخ . . . ذلك العصر الذهبي الذي لم يستمر طويلا ، والذي بدأ فيه العلم بعد ذلك بالانحطاط في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بالمشرق نتيجة غزوات الترك والمغول ، وان كان حكم المماليك المضطرب ، قد ضمن أمانا لمصر ، وساعد نسبيا على ازدهار نسبي للعلوم والفنون (٣) .

– ٨ –

ثم يفرد المؤلف للعلم العربي في الأنـدلس قسما خـاصا من الكتاب . فانتشار الاسلام في اسبانيا اتسم بطابع لا يسمح بالمساواة بينه وبين انتشار الاسلام في المشرق ، كما ان الانفصال السياسي التام قد أخذ صفة الاستقرار منذ أسس عبد الرحمن الداخل امارته المستقلة . . .

---

١ – صـ ١٣٢ من الكتاب و صـ ١٤٣ ، كذلك .

٢ – صـ ١٤٨ و صـ ١٧٩ من الكتاب .

٣ – صـ ٢٩٣ من الكتاب .

مع تأكيد المؤلف على عدم المغالاة في تقرير الانفصال والانعزال بين العلاقات الثقافية ، ذلك أن الصلات العقلية بين الأقاليم الشرقية والغربية في المحيط الاسلامي بقيت وثيقة جدا على الدوام ، كما أن ما يقام من حدود الزمان والمكان لتسهيل العرض وتيسير فهم الأحداث لا يطابق واقع الأمور الا مطابقة جزئية (١) .

ثم يقـدم ألدوميلي في كتابه صورة زاهية عن ازدهار العلوم في الأندلس وعن العصر الذهبي للعلم العربي فيه ، مع ترجمات للعلماء وعرض لآثارهم في الرياضيات والفلك والفلسفة والطب والجغرافيا والصيدلة وعلم النبات والتاريخ (٢) . حتى اذا ما انتهى من ذلك انتقل فحدثنا عن تناقص العلم العربي في الأندلس بدءا من القرن الثالث عشر الميلادي (٣) .

— ٩ —

وينتقل المؤلف بعد هذا إلى القسم الرابع والهام من كتابه ، وهو ذلك القسم الذي خصصه لانتقال العلم العربي الى الغرب المسيحي . وهو بعد أن بين الأهمية العالمية للعلم العربي التي ترجع الى نقله كنوز العلوم القديمة من المغرب والمشرق الى الشعوب المسيحية في غربي أوربا ، إثر اخضاع هذه العلوم لتنمية وانضاج هامين كثيرا أو قليلا — انتقل الى وصف حالة الجهل والهمجية التي تردت اليها أوربا بعد الغزوات التيوتونية ، ثم بدأ ببيان حركات النقـل الأولى للعلم العربي الى الغرب (٤) ، في مدرسة سالرنو ، وفي صقلية ، وفي أثناء الحروب

---

١ — ص ٣٣٩ من الكتاب .

٢ — من ص ٣٣٩ ، الى ص ٤٠٤ .

٣ — من ص ٤٠٥ ، الى ص ٤٢٢ .

٤ — ص ٤٢٣ وما بعد .

الصليبية (١) ، ثم يفصل البحث في النقل العلمي الذي تم في شبه جزيرة الأندلس ، عن طريق الترجمة من العربية الى العبرية واللاتينية ، ذلك النقل الذي مهد لأوربا السبيل للاطلاع على علوم العرب أولا ، ثم على علوم الاغريق ثانيا ، ثم دفعها الى انشاء علم جديد (٢) .

— ١٠ —

القسم الأخير من الكتاب قسم هام مخصص للبحث في (معارفنا عن العلم العربي) وعن العمل الذي قام به المجمع العالمي لتاريخ العلوم (٣) ، مبينا عدم كفاية ترجمات القرون الوسطى لدراسة موضوعية ، وأن العمل يجب أن يبدأ من نشر مجموعات المصنفات العربية المختلفة . وأن المجمع قد ألف لجنة لنشر الكتب الطبية والطبيعية من كبار المستشرقين ومؤرخي العلوم ، كما عقدت عدة مؤتمرات من أجل ذلك بين عامي ١٩٢٩ — و ١٩٣٨ — واتخذت مقررات ، ونشرت أبحاث ، ويسرت نقل اسماء الأعلام في اللغات التي لا تستعمل حروف الهجاء اللاتيني . والذي يؤسف له أن قيام الحرب العالمية الثانية لم يسمح لأعمال (المجمع العالمي لتاريخ العلوم) أن تستمر ، وأن تؤتي أكلها ، ولسنا نعرف ما تم بها بعد انتهاء هذه الحروب ، وهل عادت الى العمل وإلى انجاز ما كانت قد بدأت به من قبل .

— ١١ —

ولسنا نجد — من أجل تقويم هذا الكتاب الهام — أحسن من أن نلخص التقديم الذي افتتح به الدكتور حسين فوزي الترجمة

---

١ — ص ٤٢٧ وما بعد .

٢ — ص ٤٥٣ وما بعد .

٣ — من ص ٤٨٥ ، الى ص ٥٠٢ .

العربية حين وصفها بأنها « كتاب جامع لتاريخ العلوم العربية ، وسرد مستفيض لما ألف فيها بالعربية والفارسية والسريانية والعبرية مما يدخل فعلا في تلك العلوم . » ذلك الكتاب الذي لا يتردد مؤلفه في وصفه بأنه « مصدر عميق التبحر والاحاطة ، ومرجع ضرورته ملحة مالم يظهر مرجع أكمل وأشمل » (١) .

والكتاب قبل هذا سجل كامل لكل ما يمس العلوم العربية من قريب أو بعيد : نشأتها ، وأعلامها ، والأصول التي ترتد اليها ، ورجال الدول الذين شجعوا عليها ، وحركة الترجمة في عصر النهضة العربية الكبرى ، بل وحركة نقل العلوم العربية الى اللغات الأوربية من اول فجر (الرينسانس) حتى العصر الحاضر . . . (١) انه سفر نادر في مادته واحاطته ، يؤرخ للعلوم العربية تأريخا علميا دقيقا لا يهمل شاردة ولا واردة ، مما يجعلنا حيال موسوعة جذرية لعلوم العرب العاربة والمستعربة (٢) .. .

فاذا ما ذكرنا أن الكتاب لا يزال الوحيد في موضوعه الشامل ، وان له هذه المكانة في تاريخ العلوم ، سعدنا كل سعادة لأنه نقل الى اللغة العربية في ترجمة ممتازة جاءت « مثالا يحتذى في التزام الأصل شكلا وموضوعا » (٢) .

---

١ — ص هـ من التقديم .

٢ — ص ط من التقديم .

الطبيب الرحالة وصديق الآثار

عبد اللطيف البغدادي

الدكتور عبد الكريم شحادة
كلية الطب – جامعة حلب

يقدم الدكتور شحادة ، في هذا المقال ، بحثا عن الطبيب العربي عبد اللطيف البغدادي المولود في بغداد عام ٥٥٧ ﻫ (١١٦٢ م) ، فيتكلم عن نشأته في هذه المدينة ، وعن انتقاله الى الموصل فدمشق عاصمة صلاح الدين الايوبي آنذاك .

ثم يسرد لنا الدكتور شحادة أسفار البغدادي العديدة ، وتنقلاته المتكررة ما بين دمشق والقدس والقاهرة وحلب وبلاد الروم وأرمينية ، واستقراره في حلب ، في آواخر أيامه ، وتعاطيه مهنة الطب فيها .

وحين بلغ البغدادي الثانية والسبعين من العمر ، خطر له أن يحج ، ويجعل طريقه على بغداد ، فغادر حلب تسوقه منيته الى مسقط رأسه ، فمر بحران وحدث فيها ، ثم دخل بغداد مريضا ، وتوفي فيها سنة ٦٢٩ ﻫ (١٢٣١ م) ، بعد أن بقي غائبا عنها خمسة وأربعين عاما ، فكأن الله تعالى ساقه اليها ليقضي منيته فيها .

نشر هذا المقال في العدد الثالث من مجلة « عاديات حلب » التي تصدرها جامعة حلب ، تحت عنوان « البغدادي الاثري العربي الرائد » ونكتفي هنا بنشر ملخص له .

ولقد تحدث الدكتور شحادة بالتفصيل ، في مقاله هذا عن اهتمام البغدادي بالآثار ، وولعه الشديد بها ، وغيرته عليها ، ومناداته بوجوب الحفاظ عليها والرعاية لها ، ووصفه الممتع الدقيق للآثار المصرية في الجيزة ومنف وعين شمس والاسكندرية ، في كتابه الشهير « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » .

ولقد أطلعنا الدكتور شحادة على الخصائص التي ينفرد بها البغدادي ، دون سواه من المؤلفين العرب ، فتكلم عن وصف البغدادي الرائع للآثار ، وعن ملكاته الفنية في إبراز مواضع الفتنة والجمال في النقوش والتماثيل ، واعجابه بها ، وتذوقه للنسب الجمالية في النحت والتصوير . ثم تكلم عن دقته المتناهية وأمانته الكاملة في نقل صور المعالم التي يتحدث عنها ، وعن نزعته العلمية الخالصة التي تتطلب التحقق والتأكد من كل شيء . كما تكلم عن أسلوبه الجذاب في التشويق لرؤية الآثار وزيارتها والتمتع بمفاتنها .

وخلص الدكتور شحادة الى القول بأن هذا الاعجاب والتقدير للآثار والنقوش والتماثيل ، وهذه الأفكار الفنية في النحت والتصوير ، لم نألفها ولم نعهدها عند أحد من العلماء العرب الذين سبقوا البغدادي أو عاصروه أو أتوا من بعده .

وأخيرا ، تحدث الدكتور شحادة عن تألم البغدادي ، ذلك الانسان المرهف الحس ، السوي التفكير ، لعبث العابثين في تلك النقوش والتماثيل ، ولتخريب المخربين لتلك الصروح والآثار ، فراح يعنف الحكام والأمراء الذين سولت لهم عقولهم القاصرة هدم الآثار

للاستفادة من حجارتها ، ويعتبر عملهم هذا عبثا وفسادا ، كما راح يشكو من تقصيرهم في الحفاظ على الآثار ، وفي العناية بها والرعاية لها ، وحمايتها من لصوص الآثار الذين ينعتهم بالنذالة والخسة ، كما ينعتهم بذوى النفوس الخبيثة والاخلاق الدنيئة لتخريبهم تلك الصروح ، وسرقتهم محتوياتها ، وعبثهم بتلك النقوش والتماثيل وافسادهم لهـا .

مدرسة طليطلة العربية
وأثرها في النهضة الأوربية

الأستاذ محمد فؤاد عنتابي
باحث

كنت اطالع قبل ايام مضت كتابا لكاتبة انكليزية هي سيسيليا هيل (١) الفته منذ نصف قرن تقريبا حين زارت اسبانيا ودونت مشاهداتها في كتاب عنوانه « المدن العربية في اسبانيا » (صدر في العام ١٩٣١) ، وعما رأته هناك مما تبقى من روائع الحضارة العربية وآثارها التي ما زالت شاهدة على دور العرب الكبير في الحضارة الانسانية وما قدموا للعالم من علوم وفنون ومثل سامية بقيت خالدة على مر الزمن ، وقد انقضى على نزوح العرب عن اسبانيا قرابة خمسمائة سنة بعد ان بقوا فيها ٩٠٠ سنة منذ نزولهم عدوة الاندلس الى آخر من نزح منهم بعد ان منوا بالكوارث المتعاقبة والاضطهاد والظلم والطغيان .

يبحث الكتاب عن المدن العربية في اسبانيا : طليطلة ، غرناطة ، قرطبة ، اشبيلية وغيرها من المدن . يتناول الفصل الاول منه مدينة طليطلة ، ولكن من الوجهة السياحية والاثرية ، وهذا ما حدا بي للبحث في هذه الندوة من المؤتمر الثاني للجمعية السورية لتاريخ العلوم عن « مدرسة طليطلة العربية واثرها في النهضة الاوروبية » وان كانت

---

(١) „Cecilia Hill: Moorish Towns in Spain"

الكاتبة لم تذكر مدرسة طليطلة الا في سطور قلائل ، وقبل القائي بحثي عن هذه المدرسة العربية التي كانت المشعل الذي انار رحاب المحافل العلمية وجامعاتها في العصـــور المظلمة The Dark Ages . كما يقول الاوربيون ، اود ان اذكر بايجاز - تمهيدا للبحث - مقتطفات موجزة عن مدينة طليطلة وآثارها كما وردت في كتاب سيسيليا هيل .

ان التأثير العربي في طليطلة لا يمكن ان يمحي وان كان العرب لم يبقوا فيها الا ثلاثمائة وثلاثا وسبعين سنة (٧١٢ - ١٠٨٥ م) حين استولى عليها الفونسو السادس . كما وانها كانت من معاقل العرب امام المسيحيين في شمالي اسبانيا وكانوا يطلقون عليها « درع الاندلس » فلما استولى عليها الاسبان اضحت موقعا اماميا لهم ضد المسلمين في الجنوب . . وكانت في اول الأمر القلب المقاتل للاسبان اذ كانت تعتبر « روميه » الثانية في غربي اوروبا وتتمتع بالتجلة والاحترام .

مدينة طليطلة ذات شكل مثلث وتقع في اواسط اسبانيا على نشـــز من الارض ويحيط بها نهر التاج Tagus من جهاتها الثلاث فهي قوية منيعة ، ذات اسوار عالية ، تصلح للمقاومة والدفاع ، واهم ما يشاهد بها مما تبقى من آثار الماضي جسرها العربي الذي رمم وجدد فيما بعد الا وهو جسر القنطرة Alcantara . وهناك على اعلى مرتفع فيها نجد Alcazar القصر الذي كان حصنا وقلعة عربية ثم اصبح قصرا لملوك اسبانيا المسيحيين ، ومن ثم مدرسة عسكرية ذات شأن ، ولا تزال آثار السور العربي قائمة على يمين المدينة .

كانت طليطلة - كما تحدثنا المؤلفة - الملتقى العظيم للشمال والجنوب وللشرق والغرب ، وظلت الحضارة العربية تقاوم بعناد

امدا طويلا ، حتى بعد ان اعاد فتحها المسيحيون ، وبقيت الحضارة العربية تشع منها الى امد ابعد مما تسنى لاشبيلية وقرطبه .

كان طلبة العلم يفدون الى طليطلة من مختلف انحاء اوروبا : من فرنسا وايطاليا والمانيا وانكلتره ، يأتون اليها بعد ان اجتذبتهم العلوم العربية وترجمات مؤلفات ارسطو .

ان طليطلة لا تغرى ولا تفتن ، ان لها شخصية قوية ، انها تتحدى وتسيطر وتهيمن !

"Toledo does not allure. It has overpowering personality. It defies and dominates."

ومما تبقى من آثارها : السوق ويسمى في لغة الاسبان Zocodover ولكن اهم مما ذكر كاتدرائيتها العظيمة التي كانت فيما مضى جامعا اسلاميا ، وتسمى الكاتدرائية الآن بلغتهم ,,El Cristo de la Luz" وتقع عند باب المردون وهي قريبة من اسوار المدينة ، وكان الجامع قد بناه المهندس العربي المعماري موسى بن علي في عام ٩٨٠ م والجامع مبني بالاجر ويزدان بالتيجان العجيبة والاعمدة الرخامية والاقواس العربية (طراز حدوة الفرس) . ان هذه الكنيسة هي في الحقيقة من آثار الفن الاسلامي التي لا تقدر بثمن ، وعلى كل فانها من اروع الآثار الهندسية المعمارية العربية .

ان الانسان حيثما سار في طليطلة وفي شوارعها فانه يجد المناظر والآثار المسيحية الآن وهي في اغلبها عربية اسلامية ، ومنها :

San Bartolomé , Santa Isabel, San Tomé: Santa Levadia, San Roman

وجميعها من بقايا الآثار العربية او المدجنة . وقد ظل ملوك اسبانيا امدا طويلا يبنون الكنائس على الطراز العربي حتى بعد جلاء العرب عن اسبانيا ، وهذا ما يسبغ على طليطلة حتى الآن مسحة عربية ،

وان كانت طليطلة تعتبر العاصمة الدينية الاسمى للكنيسة ، وهي حتى الآن مقر لكبار الاساقفة وزعماء الدين المسيحي لجميع اسبانيا .

ان البرج العظيم الذي يرتفع شامخا في الزاوية الشمالية يذكرنا بالمآذن العربية ، ومن مشاهدة هذا البرج يتبادر للذهن التلاؤم الوثيق والتداخل بين الروح العربية وروح الهندسة القوطية اذ يبدو ان الفنانين والمعماريين في طليطلة كانوا لا يزالون تحت تأثير الاسلام ، ولهذا لا يمكننا ابدا ان ننسى العرب ، فنحن لا نزال فوق ارض عربية ، لأن هنا في هذه البقعة بالذات كان الجامع العربي .

وفي هذه الكاتدرائية ، وهي الوحيدة في العالم ، حيث يقام القداس كل يوم حسب الطقوس المستعربة Mozarabic اي العربية ، وذلك ان العرب حين فتحوا طليطلة سمحوا للمسيحيين باقامة صلواتهم فيها ولهذا فانها الاثر التاريخي الوحيد الباقي في العالم . وفي الكاتدرائية ايضا مدافن واضرحة كلها ذات صبغة اسلامية من حيث الهندسة المعمارية ، ولهذا يستحيل على المرء وهو في طليطلة ، وحتى في الكاتدرائية نفسها ، ان يتهرب من الروح العربية وذكرى العرب وابهة فتوحاتهم !

هذه طليطلة التي اشتهرت بصناعة سيوفها منذ كان العرب في اوج مجدهم والتي كان للصناعات الدمشقية المختلفة اثر بين في حضارتها .

ولننظر الآن الى يميننا فنرى الشمس على وشك الغروب وراء الجبال ، والسماء كأنها لوحة من نار ، وطليطلة تتألق من طرف الى آخر ونهرها الصاخب كأنه سيل من دم يتدفق . . . . . !

● ● ●

كلمة طليطلة تعني ، كما يقول ابو الفداء ، « انت فارح » ، وكانت طليطلة في الاصل مدينة فينيقية ، ويقال بأن اول من اسسها هم الفينيقيون ، ثم استولى عليها الرومان وجعلوها عاصمة ملكهم في اسبانيا في العام ١٩٢ ق . م . واستخرجوا منها معدن الذهب ، وفي سنة ٥٥٤ م اصبحت طليطلة عاصمة لقبائل القوط القادمين من فرنسا .

وفي العام ٧١١ م فتحها العرب بقيادة موسى بن نصير ، وبعد استيلاء العرب تقلبت عليها ظروف شتى ووقعت فيها معارك دامية ، ولقي فيها العرب مقاومة شديدة من سكانها الاسبان ، كما نستدل على ذلك مما وقع فيها من اضطرابات عام ٧٩٧ م .

وفي عصر بني امية في الاندلس اكتسبت مكانة رفيعة لما بلغته من روعة في البناء والحضارة والعمران وكان لحكامها الامويين فضل كبير في تقدمها الاقتصادي والثقافي ، ولكن في زمن انحطاط الدولة الاموية في الاندلس في القرن العاشر اصبحت طليطلة حكومة شبه مستقلة ، وكانت احدى دول ملوك الطوائف التي كانت عرضة لمطامع الاسبان وهجماتهم المركزة المتكررة .

وفي العام ١٠٨٥ م استولى عليها الفونسو السادس (الاذفونش) ملك امارتي ليون وقشتالة Castille وذلك بمساعدة القائد الاسباني الشهير « السيد » Cid Campeador احد نبلاء قشتالة واسمه Rodrigo Diaz de Bivar وجعلها الفونسو عاصمة لمملكته ولكن باستيلاء الاسبان عليها لم تنحسر عنها المؤثرات الحضارية ، بل اتسعت وانتشرت انتشارا واسعا في جميع البلاد الاوروبية ، وما كانت النكبات والكوارث التي احاقت بقرطبة في القرن العاشر حين

دهمتها جموع البربر القادمين من افريقية وقضت على معالمهاالحضارية ، ما كانت لتوقف نشاطها ، فأن طليطلة حينئذ اصبحت موئلا للعلوم الاسلامية في اسبانيا باجمعها (١) .

وبعد استيلاء الاسبان على طليطلة اصبح بلاط الملك الفونسو السادس عربيا في الحقيقة والواقع ، وان كان بلاطا مسيحيا بالاسم اذ ان الفونسو كان حر الفكر متسامحا ، وكان بلاطه مشربا بصبغة الحضارة العربية ، اذ كانت هي السائدة ، كما كانت الطابع الذي يمتاز به على غرار ما كان عليه بلاط الامبرطور فردريك الثاني في بالرمو عاصمة صقلية بعد ذلك بما يقارب المائتي سنة ، وكان الفونسو هذا قد اعلن عن نفسه انه « امبراطور الديانتين »

(٢) Emperor of the two religions

ان المدة التي استغرقها استيلاء الاسبان على المدن العربية في اسبانيا لم تكن كلها قتالا عنيفا لا هوادة فيه ، بل كان العربي في اوج مجده متمدنا ومتسامحا وكان المسيحي في الوقت نفسه سهل الانقياد للصداقة والحضارة ، وكانت هناك فترات للسلام والتزاوج بين النبلاء والملوك ، فكانت هناك حروب يقف فيها المسلمون والمسيحيون جنبا الى جنب في قتال خصومهم ، فالبطل الاسطوري السيد قمبادور كان قبل فتوحه مدينة بلنسية في خدمة احد الامراء المسلمين . وقد اتبع العرب سياسة حكيمة هي التسامح وقلما ابتعدوا عنها ، وقد اعطى هذا التسامح الفرصة للمسيحيين للعيش بسلام في البلاد التي كانت تحت ظل خلفاء الاندلس ، بل كان المسيحيون يعملون في خدمة الجيوش الاسلامية ويشغلون مراكز عالية في ادارة البلاد ، (٣)

---

١ – تراث الاسلام ص ٠ / ٢٨ / .

٢ – تراث الاسلام ص ٠ / ٢٩ / .

٣ – ص / ٣٦٧ / H. A. L Fisher: A History of Europe

بقيت طليطلة زهاء اربعمائة سنة بعد جلاء العرب عنها مركزا دينيا وثقافيا لشبه الجزيرة الايبرية برمتّها ، وكانت تبدو للقادم اليها وكأنها مدينة اسلامية : باللباس والاخلاق والعادات والفنون (١) .

ولكن حين تضاءلت اهمية طليطلة بعد نزوح العرب الكامل عن اسبانيا والاندلس فقد هجرها الملك فيليب الاسباني في العام ـ ١٥٦١ م ـ ، واتخذ مدريد عاصمة له .

وطليطلة في الحقيقة متحف غني زاخر بالآثار العمرانية الرائعة مما خلفته عصور المدنيه والحضارة من روائع الفن والآثار التاريخية ، وهي تحتوى على أمثلة رائعة من الهندسة العربية ـ الاسبانية ، عدا موقعها الجغرافي الممتاز . وفي الوقت ذاته كانت اهم المراكز الثقافية للعلوم العربية في اوروبا ، « كما كانت المركز الرئيسي للمسيحيين الوافدين اليها من جميع بلاد الغرب للاغتراف من المؤلفات العربية في علوم شتّى (٢) . »

وكما يقول هسكنس في كتابه « دراسات في حضارة القرون الوسطى » (٣) : « ان علوم العرب دخلت اوروبا عن طريق طليطلة » . والعرب في رأى مفكر غربي آخر : « كانوا حملة اعلام المعرفة العلمية » . The Arabs were the standard bearers of Scientific Learning

ومن بقايا آثار العرب في طليطلة الجامع الذي شيد في القرن العاشر ، ولا تزال الواجهة العربية ـ الاسبانية قائمة وتعود الى القرن الثاني عشر ، وقد اصبحت مكتبة الجامع حين استيلاء الاسبان عليها

---

١ ـ ص / ٧٢ / Rafael Altamira: A History of Spanish Civilzation in Spain

٢ ـ تراث الاسلام / ص / ٩٣ / .

٣ ـ ص / ١٠٤ / .

ملجأ للعلماء ، يرجعون اليها للدراسة والبحث ، واصبحت مؤلفات ارسطو في حلتها العربية من مصادر الفلسفة السكولاستية (المدرسية) في القرن الثالث عشر (١) .

وهناك في طليطلة الحمامات العربيـــة وكنيسة Santa Eulalia العربية - المسيحية (المدجنة) Mudéjar كما اشتهـــرت طليطلة قديما بصناعة الاسلحة ولا سيما السيوف فهي مشهورة في جميع أنحاء العالم لمتانتها وانثنائيتها منذ ان بدىء بصنعها في عهد الجمهورية الرومانية ، ولكنها تطورت اثناء حكم العرب واصبحت في ازدهار عظيم (٢) .
(l'armurie de Tolède prit, sous la domination arabe, un développement considérable).

كما انها اشتهرت ايضا بصناعة المنسوجات الحريرية والقطنية ، وثمة اسطرلاب صنع في طليطلة في العام ١٠٦٦ - ١٠٦٧ تحت اشراف ابراهيم بن سعيد (٣) .

● ● ●

وما دمنا في مجال البحث عن اسبانيا العربية ، فاننا نلاحظ ان كثيرا من الكلمات العربية ولا سيما اسماء الامكنة ما زالت مستعملة في اسبانيا حتى اليوم ، ويدلنا ذلك على الاثر العميق للغة العربية في لغة البلاد الاسبانية ، وعلى ان الحياة الاجتماعية في جميع انحاء اسبانيا كانت ترتدي رداء عربيا صرفا متأثرة بما جاء به الاسلام من تعاليم ومناهج دينية وثقافية وعلمية (٤) . فقد دخلت كثير من الكلمات

---

١ - انظر تاريخ الفلسفة في الاسلام ، لدى بور ، وتراث الاسلام ص / ٥٥ / .
٢ - Grand Larousse Encyclopédique, vol. 10, p. 368.
٣ - تراث الاسلام ص / ١١٥ / .
٤ - تراث الاسلام ص / ٢٨ / .

العربية اللغات الاوروبية وظلت تتربع حتى الآن في حلتها العربية الانيقة ، وهي تشع متألقة لتدل على اصلها العريق ، ومنها : Alcohol الكحل ، Douane الديوان ، Suda, الصداع ، nucha, النخاع ، al - Ishq, العشق ، House الحوش،وغيرها كثير كما هو الحال في علم الفلك واسماء الكواكب والنجوم وفي غير ذلك من العلوم والفنون .

● ● ●

في اوائـــل القرون الوسطـــى كان الاســـلام هو الوارث الحقيقي للفلسفة ، وكانت الجامعـــات العربية في اسبانيا هي المراكز الرئيسية للتعلم والثقافة ، وقد انتشرت المدارس العربية في اسبانيا في العصور التي قضاها العرب في الاندلس انتشارا واسعا ، وكانت هي المصدر الاساسي الذي انبثقت منه شعلة العلم والحضارة التي عمت اوروبا ، فكانت هذه المدارس والجامعات العربية منتشرة في جميع ارجاء البلاد الاسبانية ، نجدها في طليطلة واشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية ومرسيه وشلمنكة ، وبلد الوليد وطرطوشه وغيرها ، وسواء كانت هذه المدارس في اسبانيا او في المشرق فانها كانت ذات تأثير عظيم بالنسبة لما كانت عليه بيزنطية (القسطنطينية) ، وهذه المدارس والجامعات كانت العامل الفعال في بزوغ النهضة في الغرب في القرن الحادي عشر (١) .

تعتبر بداية القرن الثاني عشر بدء التطلع الى إكتساب علوم الاقدمين مما كان لدى اليونان وما بقي منها بالاسكندرية ، وما ظل في بلاد الشرق واوروبا اللاتينية ، وكان من اهمها مؤلفات فلاسفة اليونان ولا سيما ارسطو وافلاطون وكتب اقليدس وجالينوس والتاريخ

---

١ – ص / ١٦٩ / . Jacques Pirenne: Tides of History.

الطبيعي Historia Naturalis للعالم الروماني بليني الاكبر (٢٣ ـ ٧٩م) Pliny's Natural History ويتضمن ابحاثا في الفلك والجغرافيا وعلم الحيوان والمعادن وعلم الاجناس البشرية والاجتماع والنبات وحتّى الفنون الجميلة وغيرها من الموضوعات .

وكانت هذه المؤلفات من امهات الكتب التي كان لها الاثر العظيم في فتح العيون على ا لحضارات القديمة وعلوم الاقدمين ودراستها بالنقل والترجمة من العربية مع الشروح والتعليق عليها ، وكانت هذه العلوم تعتبر في الغرب بانها (المعرفة المفقودة) Lost Learning وذلك لصعوبة العثور عليها ، والمشقات الكثيرة في سبيل امتلاكها والحصول عليها ، وكانت بلاد الاندلس مصادر هذه المؤلفات .

هذه المعاهد والمدارس كانت حينئذ في بدء نشوئها ومن اهمها مدرسة شارتر في فرنسا ، ولقد اهتّم الاوروبيون اهتماما بالغا بالعلوم الاسلامية ـ العربية ولا سيما الطب والفلك والكيمياء ، وكان لهذه المؤلفات عندهم شأن واي شأن ، فقد سار على منوالها علماء اوروبا ، وكانت هذه العلوم تعتبر بنظر رجال الدين في اوربا حينئذ ، على صلة وثيقة بالسحر والدجل والشعوذة ، وكانوا يسمونها الفنون او العلوم السوداء The Black Arts

ولما كان الاوروبيون يجهلون الشيء الكثير عما لدى العرب من علوم رياضية وفنون شتى ولا يعرفون الا القليل عن الفلسفة الاسلامية ومعلوماتهم عنها ضئيلة ، تتخللها ثغرات كثيرة ، فقد سعى رئيس اساقفة طليطلة المسمى ريمون Raymond لانشاء مدرسة خاصة بالعلوم العربية ، تضطلع بترجمة الكتب العربية ، فقد عهد بالاشراف عليها الى رئيس الشمامسة دومينيكو غونديسالفي Dominico Gundisalvi وذلك في العام ١١٣٠ م بساعده في الترجمة

يوحنا بن داوود الاسباني Johannes ben David (Hispalensis) وكان هذا من ابرع المترجمين المحترفين المعروفين آنذاك ، وفي خلال عشرين سنة اضطلعت مدرسة طليطلة بترجمة ما تمكنت من الحصول عليه من المؤلفات العربية المترجمة الى اللغة اللاتينية .

ويطلق شمس الدين سامي مؤلف كتاب قاموس الاعـلام (باللغة التركية) على مدرسة طليطلة عبارة (دار الفنون) وتعني جامعة ، او كلية جامعة University College ويضيف بأن مدرسة طليطلة ظلت قائمة حتى العام (١٨٤٥) حين اغلقت سنتئذ (١) .

قامت مدرسة طليطلة بدور هام جدا في نقل العلوم العربية الى الغرب وكانت الغاية من تأسيسها في اول الامر لتكون مدرسة لترجمة المؤلفات العربية وما لدى العرب من علوم وفنون وآداب الى اللغة اللاتينية ، وهي في الحقيقة لا تعدو كونها مدرسة للترجمة ، وان كانت تعتبر في حينها اول جامعة « عربية » في اوروبا ، لانها في الحقيقة والواقع كانت مركزا هاما للعلوم العربية ، وكانت تجتذب اليها طلاب العلم من جميع انحاء اوروبا ، يتهافتون عليها لتعلم اللغة العربية ، وكثيرا ما كانوا ينقلون بمساعدة المترجمين المؤلفات العربية الى اللغة اللاتينية ، وبذلك يعملون علي نشر الثقافة ويمهدون لعصر النهضة . وكان النشاط العلمي الذي ساد طليطلة في القرن الثالث عشر يشبه الى حد كبير الحركة العلمية التي سبقتها اليها بغداد قبل ذلك بثلاثة قرون ، حيث بدأ عصر الترجمة من السريانية واليونانية عندما اسس المأمون « بيت الحكمة » في بغداد في العام ٨٣٠ م .

---

١ – المجلد / ٣ / ص . / ١٦٩٥ / ش . سامي : قاموس الاعلام .

كانت مدرسة طليطلة تعتبر القاعدة الامامية للعلوم في اسبانيا ، ولذلك كانت مصدرا غزيرا للدراسات العربية ـ الاسلامية ، اذ انها كانت تمثل المنبع الرئيسي لعلوم اليونان والعالم القديم ، فمنها استقى وارتوى نقلة الحضارة العربية ، اذ ان العرب والمسلمين في اسبانيا هم الذين كشفوا الغطاء عن الطب والفلسفة اليونانية واظهروا للملأ مؤلفات ارسطو ـ المعلم الاول ـ في حللها السندسية .

على انه ليس بامكاننا ان نحدد الفترة التي بدأت فيها الترجمات من العربية الي اللاتينية ، بل ان ذلك امتد عصورا متعاقبة ، ولكن يمكن القول بأن ترجمة المؤلفات العربية بدأت في مدرسة سالرنو بايطاليا ثم طليطلة ، وظلت قرونا عديدة ، وازدهرت بين العصرين لحادي عشر والثالث عشر للميلاد ، كما ان العرب اقتبسوا كثيرا من علوم الهند والسريان واليونان وترجموها الى لغتهم كما ان هذه العلوم والمؤلفات العربية انتقلت بدورها فيما بعد عن طريق الترجمة الى الغرب ، ونلاحظ ان قسطنطين الافريقي ، في القرن الحادي عشر ، امضى ثلاثين سنة متنقلا بين بلاد افريقية والشرق ثم قدم الى سالرنو لتدريس الطب العربي فيها ، وقد ترجم كثيرا من . المؤلفات العربية الى اللاتينية اثناء وجوده في مونت كاسينو بايطاليا

ولقد كان لترجمة المؤلفات العربية الى اللاتينية اثر عظيم جدا في تأسيس الجامعات الاوروبية ونشوئها في الغرب ، فلما دخلت هذه الترجمات اوروبا في بدء القرن الثالث عشر كانت سببا قويا في بعث حركة ثقافية جادة كان لها رجة مدوية ، وكان من اسبابها الحركة الفكرية التي سادت الجامعات الاوروبية ، وكان لهذه الترجمات دور هام في نشر الثقافة العربية وقد اثرت في الحياة الجامعية في اوروبا ولا سيما من الوجهة العلمية والطبية منها بوجه خاص .

ولقد نمت كليات الطب وترعرت قبل غيرها لشدة الحاجة اليها ، وان كانت الدراسة فيها في اول الامر مرجعها للكتب اليونانية القديمة ، اما التجارب العلمية حسب الطرق الحديثة التي نعرفها فقد كانت ضئيلة لا يعبأ بها .

ولم يقتصر الامر على مدرسة طليطلة هذه بل انشئت في العام ١٢٥٠ مدرسة ثانية كانت اول مدرسة من نوعها في اوروبا خصصت للدراسات الشرقية التي نرى لها مثيلات الآن في اكثر الدول الاوروبية الغاية منها اعداد رجال من الغرب للتبشير بين المسلمين في الشرق العربي (١) ! .

وكان العامل الاول في انشاء هذه المدرسة التي خصصت للترجمة الملك الفونسو العاشر (١٢٢١ - ١٢٨٤) الملقب بالحكيم العالم El Sabio فهو الذي حث الاسقف ريموندلال Raymond Lull على انشائها وادارتها ، وكان الفونسو العاشر هو العامل الفعال في نشر العلوم العربية في البلاد المسيحية ، ولا سيما علم الفلك ، فقد اقترن اسمه بالجداول الفلكية التي عرفت فيما بعد بـ « الجداول الالفونسية » والتي حسبت بموجبها حركات النجوم ومسارها بالنسبة لخط الطول المار بمدينة طليطلة . وقد اعتمدت هذه الجداول على الارصاد الفلكية التي اجراها العرب في المشرق .

وفي طليطلة احاط الملك الفونسو بلاطه بكثير من العلماء العرب . وكان قد استقدم خصيصا لمدرسة طليطلة ، ابا بكر الرقوطي وهو من ابرز علماء المسلمين في الاندلس ومن معاصري الفيلسوف العربي ابن سبعين (المتوفى في سنة ١٢٦٩ م) . وكانت مدرسة مرسية الاسلامية بعد سقوطها بيد الاسبان بادارة ابي بكر محمد الرقوطي قبل مجيئه الى

---

١ - تراث الاسلام : ص . / ٢٧٢ / .

طليطلة . ونجد في العصر الذي سبقه ، في مدرسة طرطوشه ، الفقيه العالم المسلم ابن ابي الرندقة الطرطوشي ، مؤلف كتاب « سراج الملوك » (٤٥١ – ٥٢٠ هـ / ١٠٦٠ – ١١٢٧ م) (١) – .

واما في الفلسفة الاسلامية والآراء المتشعبة عنها فقد كان لابن رشد والغزالي وابن حزم وابن عربي اكبر الاثر في الحياة العقلية والدينية في الاندلس والغرب (٢) .

اما القرن الثالث عشر – وكان حافلا بمؤثرات ودلائل تشير الى نهضة فكرية زاهرة ، الا وهي الثقافة العربية التي اضطلع بها علماء اوروبا اللاتينية – فقد كان عصر تجدد للسكولاستية العربية ، ويعتبر من اهم العهود الثقافية في تاريخ الحضارة الانسانية ، ويعود ذلك الى النشاط الفكري الذي كان مصدره الرئيسي مؤلفات ابن سينا وابن زهر وابن رشد وابي القاسم الزهراوي وغيرهم .

فالعرب هم الذين ادخلوا مذهب الافلاطونية الحديثة الى اوروبا اذ كان هو الاتصال الوثيق بين الحضارتين اللاتينية – المسيحية والعربية – الاسلامية في اسبانيا – وهي الارض الخصبة التي انبتت كثيرا مما انتجه علماء اوروبا قبيل عصر النهضة وكان لهذه الدراسات نشاط كبير في الترجمات العلمية للمؤلفات العربية في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات .

واما من العلماء العرب الذين اشتغلوا آنئذ بالعلوم في اسبانيا العربية ، فيذكر ابن صاعد الاندلسي في كتابه « طبقات الامم » بعض من عرفهم من علماء طليطلة ، وهم :

---

١ – هو ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن ايوب القرشي الفهرى المالكي المعروف بابن ابي الرندقة المتوفي بالاسكندرية ، انظر ترجمته بالتركية " اندلس تاريخي " م ٢ ص ٤١٨.

٢ – Rafael Altamira: A History of Spanish Civilization, p. 72-74

– ابو الوليد هشام بن احمد بن خالد الكناني المعروف بأبن الوقشي .

– ابو جعفر احمد بن حميس بن عامر بن منيح .

– ابو اسحق ابراهيم بن لب بن ادريس التجيبي المعروف بالقويدس .

– ابو الحسن علي بن خلف بن الاحمر .

– ابو اسحاق ابراهيم بن يحي النقاش المعروف بالزرقيالي Arzarchel وهو الذي اشتهر بالارصاد والفلك واستنباط الآلات النجوميه .

– ابراهيم بن سعيد السهلي الاسطرلابي .

– ابو عثمان سعيد بن محمد البغونش .

● ● ●

وبدخول الحضارة العربية الى جنوبي فرنسا في القرن الحادي عشر نجد في مدينة مونبيليه كثيرا من الاطباء العرب الذين كانوا يمارسون مهنة الطب هناك .

ولنعد الآن الى الذين اشتغلوا بالترجمة فكان من اوائلهم ادلارد الباثي Adelard of Bath الــذي زار طليطلة قبل انشــاء مــدرسة الترجمة فيها وكان قد وفد اليها حوالي العام ١١٠٠ م وهو العالم الرياضي والفيلسوف الانكليزي وهو اول عالم اوروبي من العلماء البارزين الذين جاؤا الى طليطلة للاستفادة من معينها الزاخر ، وكان قبل ذلك قد زار صقلية وبلاد الشرق ونقل الى اللاتينية الترجمة العربية لمؤلفات اقليدس ونشر خلال ذلك ملخصا للعلوم العربية (Compendium) وادلارد هذا هو مؤلف كتاب « المتغير والذي لا يتغير » de Eodem et Diverso Philocosmy وذلك حوالي العام ١١٠٦ م وكتاب المسائل الطبيعية Quaestiones naturalis وقد اقتبس نظريته عن علم

النفس من الترجمات اللاتينية عن العربية لقسطنطين الافريقي (المتوفى ١٠٨٧) وترجم ادلارد ايضا الجداول الفلكية للخوارزمي حوالي العام ١١٢٦ م وترجم ايضا مقدمة الخوارزمي في علم الفلك ، ثم تلتها ترجمته عن العربية لكتاب « الاصول » The Elements لاقليدس .

ومن اوائل من اشتغل في ترجمة علوم العرب روبرت اوف تشستر Robert of Chester عاش حوالي (١١١٠ – ١١٦٠) ، وهو الذي ادخل الى اوروبا الكيمياء القديمة كما عرفها العرب ، وكان قد تثقف في مدارس العرب في اسبانيا . وكان روبرت قد ترجم في العام ١١٤٣ الى اللاتينية القرآن الكريم وتعتبر ترجمته اول ترجمة الى اللاتينية للقرآن . وقد بلغ من اهتمامه بالرياضيات انه اتم في العام ١١٤٥ ترجمة كتاب الجبر للخوارزمي ، وفي العام ١١٤٧ الف رسالة في الاسطرلاب ونظم في العام (١١٤٩ – ١١٥٠) جداول فلكية لخط طول لندن معتمدا بذلك على البتاني ، ومما استنبطه في الرياضيات استعماله كلمة Sinus للجيب في علم المثلثات .

ونأتي الآن الى ما يسمى بأبي الترجمات العربية الى جيرار القرموني (الكريموني) (١١١٤ – ١١٨٧) Gerard of Cremona ويعتبره علماء اوروبا الأب الحقيقي للعلوم العربية في اوروبا .

He is the Real Father of Arabism in Europe

وهو ذو شخصية بارزة في مجالات الترجمة والتعريب ، امتاز بموهبة فائقة لتعلم اللغات ، وقد اجتاز ما صادفه من عقبات في صعوبة أداء اللغة العربية ولكنه تعلمها واتقنها على يدي استاذ مسيحي يدعى ابن غالب وبعد ان اتقن اللغة العربية واصبح لديه هذا المصدر الغزير في طليطلة ، فقد تفتحت امامه ابواب المعرفة والعلوم عند العرب ، وكان اول اوروبي فتحت له ابواب الطب العربي على مصراعيها ،

ويقال بانه ترجم الى اللاتينية سبعين مؤلفا عربيا ، ولكن ينبغي لنا هنا ان نلاحظ بأن اغلب ترجماته كانت بين عامي ١١٧٠ ، و ١١٨٧ اي سبعة عشر عاما فقط ، وقد يتبادر الى الذهن ان سبعة عشر عاما ليست كافية لترجمة سبعين مؤلفا في الطب والفلسفه والفلك وغير ذلك من العلوم وهذا ما يدعو الى الشك فيما نسب اليه من المؤلفات المترجمة .

كان جيرار اثناء اقامته في طليطلة قد ترجم الى اللاتينية بالاضافة الى المجسطي وقانون ابن سينا الكتب التالية : كتاب الاصول لاقليدس ، معتمدا بذلك على نسخة ثابت بن قرة العربية التي ترجمها من اليونانية مع التعليق والشروح على الكتب العشرة الاولى منها للنيريزي Anaritius التي اضيفت اليها ، وكانت اول نسخة عربية لاصول اقليدس طبعت في رومية سنة ١٥٩٤ .

ونقل جيرار بعض مؤلفات ارسطو وبقراطوجالينوس والاسكندر الافروديسي ومنلاوس الاسكندري وتمستيوس ، وترجم ايضا كتاب « الكرة » لـ ثيو دوسيوس ويسميه العرب « ثاوذوسيوس » وهو احد الحكماء الرياضيين والمهندسين المشهورين في بلاد اليونان . وترجم من العربية ايضا كتاب « تربيع الدائرة » لارشيميدس المعروف باسمه اللاتيني De Mensura Circuli وترجم كتاب المخروطات لابولونيوس وكتابا آخر في البصريات لابولونيوس ايضا ، واصلاح المجسطي لجابر ابن افلح الاندلسي وكتابا لديوكلس .

اما من المؤلفين العرب فقد ترجم للرازي ولابي القاسم الزهراوي وبعض مؤلفات جابر بن حيان في الكيمياء القديمة ، وترجم مؤلفات اخرى في الرياضيات والفلك للكندي والفارابي وماشاء الله ، وترجم للحسن بن الهيثم رسالة في ارتفاع الشفق فوق الافق ، وترجم ايضا

كتاب الجبر للخوارزمي ، وجوامع علم النجوم للفرغاني والجداول الفلكية للزرقالي Arzarchel وهو ابو اسحق بن يحيى من مشاهير علماء الهيئة في قرطبة بالاندلس وقد اشتهر في القرن الثاني عشر باختراعه الآت فلكية عديدة وبعمل الازياج (الجداول الفلكية) . والزرقالي هو مخترع « الصفيحة » وهي نوع من الاسطرلاب المحسّن ، وقد دخلت هذه الكلمة اللغات الاوروبية باسمها العربي وما زالت تسمى « الصفيحة » Safiha :

ذكر جوزيف ماكيب في كتابه « روائع اسبانيا العربية » (ص ١٢٧) نقلا عن المؤلفات العربية ان طليطلة في عهد الامير المأمون كانت من اهم مراكز الثقافة العربية في اسبانيا ، وانه ابتنى له قصورا فخمة عديدة وكان ثمة في حديقة احد هذه القصور ، يقع على ضفة النهر في ضاحية طليطلة – اختراع فني مما يدل على رقي العرب العلمي ، وكان الزرقالي ممن حظي بعطف ورضى الامير المأمون الذي عهد اليه بالاشراف على انشاء خزانين كبيرين للمياه ، وبواسطة اجهزة والآت دقيقة (اوتوماتيكية) كان الخزانان يملآن بالمياه في اربعة عشر يوماً ، وتفرغ منهما المياه آليا في اربعة عشر يوما ايضا وذلك بما يتلاءم وعدد ايام الشهر القمري ، واذا ازدادت كمية المياه عن القدر المطلوب فانها كانت تفرغ آليا ! .

وهناك كثيرون من هؤلاء المترجمين لا يسمح الوقت بذكرهم ، ولكن لا بد لنا من ان نذكر فرج بن سالم المعروف في الغرب باسم Farragut او Farrachius وهو من مدينة جرجنتي في صقلية ومن تلامذة مدرسة سالرنو الشهيرة بايطاليا ، ومن اهم اعماله انه ترجم الى اللاتينية كتاب الحاوي Liber Continens للرازي وذلك بناء على طلب الدوق شارل انجو ملك صقلية وقد بقي كتاب الحاوي يدرس في

اوروبا حتى عصر الطباعة ، وترجم ايضا كتاب التشريح المنسوب الى ابن ماسويه ، وترجم لابن جزلة كتاب « تقويم الابدان في تدبير الانسان » وما الى ذلك من تآليف كثيرة .

كان القرن الثالث عشر في اوروبا عصر قلق واضطراب ونقد لاذع للسلطة الموروثة ، ولكننا نرى في الوقت ذاته اثر التطعيم للتقاليد العربية بارزا واضحا في الغرب ، واما في القرن الرابع عشر فقد اصبح الغرب اللاتيني مستعربا تام التعريب ، وفي القرن الخامس عشر تتألق امامنا اسماء كبار قادة الفكر في النهضة الاوربية ، ومنهم
Nicholas of Cusa, Leonardo da Bertapaglia, Leonardo da Vinci

وفي القرن السادس عشر نجد من الاطباء Paracelsus, Vesalius ولا شك انهم تأثروا بالمؤلفات العربية في الطب والتشريح .

وفي القرن السابع عشر نصل الى نهاية المطاف حين بدأ عصر التجارب العلمية الحديثة واهملت الطرق القديمة والمذاهب العربية في التشريح والطب وهي التي كانت تعتمد على مؤلفات بقراط وجالينوس . ولكننا نلاحظ انه منذ القرن الثاني عشر وحتى السابع عشر فقد كانت مؤلفات الرازي وابن سينا وأبي القاسم الزهراوي وابن زهر وابن رشد تتمتع باهتمام اكثر مما تتمع به مؤلفات بقراط وجالينوس ، وفي هذا المجال يعتبر (كمبل) مؤلف كتاب تاريخ الطب عند العرب (ص ١٦٧) ان ابن زهر اعظم مفكر عند المسلمين . . .

ومما يدل على اهتمام العرب بالعلوم والمدارس والمكاتب ما يقوله شروود تايلر (Sherwood Taylor) في كتابه (مختصر تاريخ العلوم » : (ص ٧٧ – ٧٨) : « ان حماس المسلمين للعلوم كان عظيما جدا فقد انشئت المدارس في جميع البلاد التي دانت لهم ، كما ان العواصم الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة كان لها

جامعات تزودها بالمراصد الفلكية والمخابر والمكتبات القيمة ، وكانت مكتبة الحكم الثاني (٩٦١ - ٩٧٦) في قرطبة تحتوي على ستمائة الف مجلد ، ولها فهرس يتألف من ٤٤ مجلدا ، واننا نجد بالمقارنة بعد هذه الفترة باربعمائة سنة ، ان المكتبة الملكية بفرنسا كانت تضم تسعمائة مجلد فقط ! ! .

ان السيادة العربية المتتالية في تاريخ الفكر الاوروبي وتأثيرها في التاريخ الحضاري لاوروبا في القرون الوسطى هي اكثر من اهتمام جامعي مدرسي . فالتراث العربي الذي ساد اوروبا يعيد الى الاذهان ذكرى اولئك الرجال الافذاذ الذين كانوا الكواكب النيرة في الماضي الذي ما زال يغشاه الغموض والابهام حتى الآن .

ولكن يتراءى لنا في هذه اللحظة مشهد اولئك الروادُ العلماء الذين ينظرون الينا من اعماق التاريخ ، سواء كانوا من الفرسان الابطال وهم يجولون على خيولهم المطهمة ، يتخطرون بدروعهم الفولاذية وهم في ساحات الوغى ، ام كانوا من الرهبان الراغبين في تلقي العلوم في مدارس العرب وهم يعتمرون قلانسهم ، يترجمون ويكتبون ويؤلفون ، وفي اروقة الاديرة عاكفون !

اما التقاليد العربية الاصيلة وثقافتنا النابعة من تراث الماضي فهي تتيح لنا ان نعود بافكارنا وذكرياتنا ، فتتمثل امامنا صورة ذلك العربي : الطبيب - العالم - الفيلسوف - وهو يرفل في جبته الموشاة بخيوط الذهب والفضة ، تعلو هامته عمامته الناصعة المزركشة ، وتحيط به هالة من وقار العلم وحب البحث والاستطلاع والتسامح المطلق !

فمن منا يمكنه ان يقف الآن موقفا مماثلا امام تلك الشخصية العظيمة الفذة وقد تفتحت امامه رحاب الثقافة والعلم ؟ ! . . . .


تاريخ العلوم والتكنولوجيا

حول المنشأ التاريخي للكحول

الدكتور طه الجاسر

كلية الطب – جامعة حلب

في دراسة مسبقة عن (التخدير والانعاش في تاريخ الطب عند العرب) (١) خلصنا الى القول : إن هنالك قرائن تشير أنه من المحتمل جدا أن يكون العرب هم الذين اكتشفوا مادة الايتر ، وهي كما يلي :

١ – العرب هم الذين اكتشفوا حمض الكبريت .

٢ – العرب هم الذين اكتشفوا مادة الكحول .

٣ – هنالك دلائل تلمح الى أن العرب استقطروا هاتين المادتين معا ، والنتيجة بطبيعة الحال ، مادة اتير .

أما حمض الكبريت فليس هنالك خلاف على منشئه . وأما الكحول فيبدو أن تاريخه ما زال يكتنفه الغموض وأن نسبته الى العرب تحتاج الى تأكيد . وهدف هـذا البحث هو محاولة توضيح هذا الموضوع لنتبين دورهم بالنسبة لهذه المادة الأساسية .

والكحول مادة كيميائية ودوائية ، وهي من اكثر المواد انتشارا واستعمالا عبر السنين ، فعدا عن كونها مطهرا جيدا ، فانها تدخل في تركيب الكثير من المواد الدوائية وكمادة حالة تأتي بعد الماء مباشرة ، وأخيرا فانها المادة الأم لمعظم مـواد التخدير السائلة الطيارة التي تستعمل اليوم . من الطبيعي أن تشغل هذه المادة حيزاً كبيراً من الكتب

ذات العلاقة (٢) ودوائر المعارف ،الا انها جميعا تتجنب الحديث عن اصلها التاريخي (٣) وتبقى المصادر التاريخية وللأسف ليس لدينا من هذه حول هذا الموضوع الكثير .

والمعروف أن اسم هذه المادة كما ورد في التعبير الغربي (الكوهول Alcohol) عـــربي ، بـــدليل الألف واللام ، ومدلول الكلمة الذي يوحي بأنها عربية وليس لهذه الكلمة أصل في أية لغة اخرى ، ويجب أن نعترف أننا لا نعرف كنهها في لغتنا فنسميها الكحول في أغلب الاحيان والغول حينا آخر ، كما اننا لا نعرف أي عالم عربي أو اسلامي ضليع في اللغة العربية اطلق هذه التسمية .

لقد حاول عالم انكليزي يدعى (اريك جون هولميارد) أن يقوم بهذه المهمة في كتابه (صانعو الكيمياء Makers of Chemistry) ، فنسب التسمية الى (باراسلسوس Paracelsus ، بال سويسرا ١٤٩٣) (٤) ، فكتب يقول :

(لقد كان براسلسوس أول من اطلق اسم (الكوهول) لروح النبيذ . والكحل أو الكحول تعني في الاصل دهنا اسود للعيون ، المستعمل من قبل نساء الشرق وبالتدريج اكتسب معنى أي مسحوق ناعم وبتحوير طبيعي أخذ يعني أفضل أو أدق جزء في أية مادة : ويمضي هولميارد فيقول : من المحتمل أن باراسلسوس اعتبر روح النبيذ كأفضل جزء في النبيذ ومن ثم دعاه كحول النبيذ أو باختصار الكحول .)

(It was Paracelsus who first gave the name Alcohol to spirit of Wine. Originally signifying the black eye-Paint used by eastern women, al-kuhl or al-kohol had gradually acquired the meaning of any very finely divided powder; thence by a natural transference it came to mean the best or finest part of a substance. Possibly (Paracelsus) regarded Spirit of Wine as the best part of Wine and therefore named it alcohol of Wine or simply alcohol.)

وفي دراسة قيمة عن تاريخ هذه المادة اجراها الاستاذ الدكتور محمد يحيى الهاشمي (٥) أخذ بمطالعة (هولميارد) فيما يخص مصدر التسمية وأصلها اللغوي ، وذهب الى أبعد من ذلك فذكر أن (الكحول) جمع (كحل) . وكما سيتضح من هذا البحث فان هنالك قرائن تؤكد أن كلا المطالعتين بعيدة عن الصحة . انه لمن الطبيعي أن نقوم ببحث استقصائي لغوي عن اصل هذه التسمية فقد نكون نحن العرب أوفر حظا من غيرنا لأننا أكثر معرفة بمداخل اللغة ومخارجها ، وتاريخ العلوم حافل بأخطاء وقع فيها باحثون غربيون حين النظر في تاريخنا ، بنوا عليها نتائج جعلت بعض أعمالهم ينقلب الي سلسلة من الأخطاء آخذ بعضها برقاب بعض .

لغويا ليس هنالك كلمة (الكحول) في أمهات المعاجم العربية، والمعجم الوحيد الذي نعثر فيه على هذه الكلمة هو المعجم الفارسي للدكتور معين وبجانبها عبارة : كلمة عربية (٦) . وانما هنالك : الكحل (٧) : ما وضع في العين يستشفى به،وهم اسم مادة،ولا تجمع . وهنالك الكَحْل : شدة المحل ، ويقول الشاعر :

لسنا كأقوام اذا كحلت احدى السنين فجارهم تمر

أي يأكلون جارهم كما تؤكل التمر .

وكحلة من اسماء السماء ، وأخيرا ، الكُحَيْل : الذي تطلى به الابل للجرب لا يستعمل الا مصغراً ، قيل هو النفط او القَطِران .

ومن الواضح أن لا علاقة لهذه المسميات بالمادة موضوع البحث ، واقربها : الكحيل اذا كان هنالك علاقة بين النفط والقطران وروح النبيذ . وما عرف عن العرب أنهم يطلقون على روح الشيء أو خلاصته أو أهم ما فيه : الكحل ، وانما جل ما يقولون ناعم كالكحل .

ومطالعة (هولميارد) غريبة ثم ان نسبة التسمية الى (باراسلسوس) غير مؤكدة ، فالرجل لم يدّع ذلك ، وما كان له أن يطلق على مادة تسمية مشتقة من لغة اجنبية ، ومعرفتنا بخلقه تؤكد أن ذلك تصور بعيد الوقوع ، والأكثر احتمالا أن يكون الرجل أخذها عن مصدر عربي يصف المادة ويسميها ، والتسمية الأكثر صحة من الناحية اللغوية هي : الغول .

والغول : كل شيء ذهب بالعقل (٨) . وصلة الكلمة بالمسكرات عامة والخمر خاصة وثيقة ، وبها فسر قوله تعالى في وصف خمر الجنة : « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » (٩) أي لا تفسد عقولهم ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع ، لأنه تعالى قال في موضع آخر : « لا يصدعون عنها ولا ينزفون » ، وقد تكون الاشارة هنا الى الصداع الذي يعقب تناول الخمر والذي يدعى (Hang Over) ، واقترانها بـ (لا ينزفون) يؤكد صلتها بالمسكر لأنها تعني : لا تذهب عقولهم بشربها (١٠) .

وقال ابو عبيدة : الغول أن تغتال عقولهم

وأنشد : وما زالت الخمر تغتالنا وتذهب بالأول الأول

كل ذلك يؤكد أن اصل الكلمة عربي وهو (الغول) الشديد الصلة بالنبيذ وروح النبيذ ، ونحن نقترح العودة لاستعمال الكلمة الأصل : الغول ، ونبذ (الكحول) التي هي تحريف لتحريف . وليست (الغول) الكلمة الوحيدة التي عادت الينا مشوهة فمثلها الكثير ، واشهر مثال على ذلك اسم قبيلة (العفادلة) السورية المشهورة التي نقلت الى لغات الغرب (Afadila) وعادت الينا (افاضلة) .

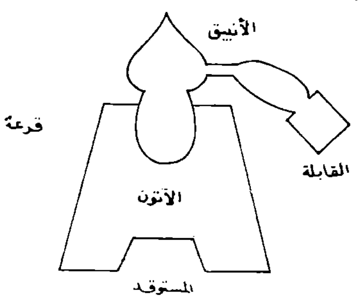
في معرض البحث عمن استقطر النبيذ اولا ، لم يقع حتّى تاريخ هذا البحث في ايدينا ما يثبت قطعا من الذي بدأه . فالخمر عرفت لبضعة قرون قبل ميلاد السيد المسيح ويعتبر (ليبمان) (١١) ان تقطيرها اكتشف بصورة مستقلة في الشرق الاقصى منذ عصور قديمة جدا ، وثمة تعبير في اللغة الصينية نقل الى الهندية هو (ألاكي ALAKI) اثناء حكم المغول ، ويقول (لوفر LAUFER) : من المحتمل ان هذا التعبير مشتق من (العرقي) لان الصينيين يبدلون حرف (ر) بـ (ل) والكلمة تشير الى تقطير النبيذ بتشبيهه بالتعرق ، وهذه الكلمة ما زالت مستعملة كاسم للمسكر الاكثر استعمالا في الشرق الاوسط وهو : العرق بالعربية و (راكي) بالتركية و (أراكي) باليونانية . والمصادر التي في ايدينا حول علاقة العربية بروح النبيذ اثنان : كتاب الخواص لجابر بن الحيان وكتاب العطر والتصعيدات ليعقوب ابن اسحق الكندي . اما الاول فيثبت ان ابن الحيان لاحظ ان النبيذ يتضمن مادة قابلة للاشتعال (١٣) ، فقد ورد في (باب القول في الخواص) : **« والنار التي تشتعل في رؤوس القوارير بالنبيذ »** .

اما الكندي (١٣) فبعد ان تحدث مفصلا عن صنعة التصعيد بالرطوبة ، وشرح جهاز التصعيد وصنعة القرعة والانبيق مع رسم ايضاحي قال : **وهكذا يصاعد النبيذ في الرطوبة فيخرج على لون الماورد ، وكذلك يصاعد الخل ايضا في الرطوبة فيخرج على لون الماورد . وهذا يعني قطعا ان العرب عرفوا تصعيد النبيذ وان الكندي قد استقطر الغول** ، الا انه لا يعني بالضرورة انه اول من فعل ذلك ، بدليل انه تعرض مفصلا لطرق تصعيد العديد من المواد كالكافور وماء الاس ومختلف ماءات الزعفران والمسك والقرفه مما يمكن رد فضل تصعيد هذه المواد اليه ابتداء ، **اما بالنسبة للنبيذ فمن المؤكد ان**

الكندي قد استقطره وقد يكون اول من فعل ذلك من العرب في القرن التاسع أي بضعة قرون قبل باراسلسوس مع وصف تفصيلي ورسم توضيحي للجهاز الذي استعمله (الشكل آ) .

لقد عرف العرب تقطير النبيذ ، وحصلوا على روحه واطلقوا عليه (الغول) التي اصبحت باللغات الغربية (Alcohol) وعادت الينا (الكحول) اما ان الذي اطلق هذه التسمية عربي او عالم اسلامي ضليع بالعربية فهذا مؤكد، واما من الذي اطلقها اولا فذلك موضوع بحث اخر.

يتقدم الباحث بالشكر الى الاستاذ الدكتور محمد يحيى الهاشمي والاستاذ الدكتور ابراهيم السلقيني والاستاذ الدكتور محمد التونجي على تعاونهم الكريم في تحقيق بعض جوانب هذا البحث .



جهاز التصعيد بالرطوبة الذي وصفه (الكندي) لتصعيد النبيذ
عن كتاب « يعقوب بن اسحق الكندي »
في كيمياء العطر والتصعيدات

Aparatus described and used by (El-KINDI) for distillation of wine in the 9th century.
From the book (ON CHEMISTRY OF PERFUME AND DISTILLATION) by JACOB IBIN ISAAC EL-KINDI) Leipzig 1948, p. 50

References:

1- JASSER, M. T. (1976)
Anaesthesia and Resuscitation in the History of the Arab Medicine
Lectures in Anaesthesia, Aleppo University Press, Arabic Text
p. 10-19.

2- Goodman and Gilman (1960)
The Pharmacological Basis of Therapeutics.
Second Edition, Macmillan p. 98-114.

3- Paton and Payne (1968)
Pharmacological Principles and Practice,
Churchill p. 74-76.

4- Holmyard, E. J. (1937)
Makers of Chemistry
Oxford p. 111-112.

5- El-Hachimi, M. Y. (1968)
Sur l'Histoire de l'Alcool
XII° Congrés International d'Histoire des Sciences
Albert Blanchard

المصادر :

١ ـ جاسر . م . ط ١٩٧٦
التخدير والانعاش في تاريخ الطب عند العرب .
محاضرات في علم التخدير
مطبوعات جامعة حلب
ص ١٠ ـ ١٩

٢ ـ غودمان وغيلمان (١٩٦٠)
اسس علم الادوية للمعالجة
الاصدار الثاني ماكميلان
ص : ٩٨ ـ ١١٤

٣ ـ بايتون وبين (١٩٦٨)
مبادىء وممارسة علم الادوية
تشرشـــــل
ص : ٧٤ ـ ٧٦

٤ ـ هوليارد . ا ، ج (١٩٣٧)
صانعو الكيمياء
اوكسفورد
ص : ١١١ ـ ١١٢

٥ ـ الهاشمي . م . ى (١٩٦٨)
حول تاريخ الكحول
مجموعة المؤتمر الدولي الثاني عشر لتاريخ العلوم
ـ النص الافرنسي
البرت بلانشارد

٦ – دكتور معين
فرهنك معين
باب مادة الكحول
انتشارات دار أمير كبير

6– Dr. Mu'een
Farhang Mu'een.

٧ – ابن منظور
لسان العرب – ١١ – ل ٢
ص : ٥٨٤ – ٥٨٧
دار صادر

7– Ibin Manzoar
Lissan El Arab, 11-L,
p. 584-587.

٨ – ابن منظور
لسان العرب ١١ – ل ٢
ص : ٥٠٧

8– Ibid., p. 507.

٩ – القرآن الكريم
سورة الصافات ، الجزء ٢٣
الآية ٤٦

9– Glorious Kue an
El-Saffat Verse,
Chapter (23)
Aiet (46).

١٠ – تفسير القرطبي
الجزء الخامس عشر
ص : ٧٨

10– El-Cordobbi Interpretation
Chapter 15,
p. 78.

١١ – ليمان (اى ، أو) (١٩٥٥)
المشاركة في تاريخ العلوم الطبيعية والتقنية
واينهايم . ص : ٦٥

11– Lippmann (E. O.)
Participation Sur l'Histoire
Des Sciences Naturelles et
Techniques.
Weinheim 1955, p. 65.

١٢ – كراوس . ب . (١٩٣٥)
مختارات رسائل جابر بن حيان
ص ٧٦ النص العربي
باريس – القاهرة

12– Kraus, P. (1935)
Selection From Letters of Jaber
Ibin Hayan,
Paris, Cairo, Arabic Text p. 76.

١٣ – الكندي يعقوب ابن اسحق
كيمياء العطر والتصعيدات
لايبزيغ ١٩٤٨ ، النص العربي ص ٥٠

13– El-Kindi, Jacob Ibin Isaac
Chemistry of Perfume and Distillation.
Leipzig 1948, p. 50
Arabic Text.

الجامع بين العلم والعمل النافع
في صناعة الحيل

الأستاذ الدكتور أحمد يوسف الحسن
رئيس جامعة حلب

عاش المهندس العربي بديع الزمان ابو العز اسماعيل بن الرزاز الجزري في ديار بكر في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وربما كني بالجزري لانه كان من أبناء الجزيرة الواقعة بين الدجلة والفرات.

وقد خلف الجزري كتابا في الهندسة الميكانيكية (الحيل) ، يعتبر بحق أروع ما كتب في القرون القديمة والوسطى عن الآلات الميكانيكية والهيدروليكية . وقد اشتهر هذا الكتاب كثيرا في العالم الغربي وترجمت فصول كثيرة منه في الربع الاول من هذا القرن الى اللغة الالمانية من قبل كل من فيديمان وهاوسر اللذين قاما بابحاث هامة جدا في تاريخ العلم والتكنولوجيا عند العرب كما صدرت مؤخرا ترجمة كاملة باللغة الانكليزية قام بها دونالد هيل الباحث المتخصص في تاريخ التكنولوجيا العربية وصدرت هذه الترجمة على شكل كتاب جيد الطباعة والاخراج .

ويحمل كتاب الجزري عنوان (الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل) وهو العنوان الذي تحمله النسخ القديمة من مخطوطات الكتاب وهي المخطوطات الموجودة في استانبول والتي تحمل الارقام – ٣٤٧٢ و ٣٦٠٦ و ٤١٤ – .

وتحمل النسخة المتاخرة التي ترجم عنها فيديمان وهاوسر (وهي نسخة اكسفورد رقم ٢٧) والتي ترجمها هيل ايضا العنوان (كتاب في معرفة الحيل الهندسية) .

ومن عنوان الكتاب نشعر بان الجزري جمع بين العلوم الميكانيكية النظرية التي كانت معروفة آنذاك وبين النواحي التطبيقية العملية . فهو كتاب نظري وعملي في آن واحد .

ومن دراسة فصول الكتاب ندرك رأسا بان الجزري كان ضليعا في فنه وانه كان ملما بكل الفنون الميكانيكية والهيدروليكية المام الخبير الحاذق .

ونفهم من مقدمة كتاب الجزري انه الف كتابه بطلب من ملك ديار بكر الملك الصالح ناصر الدين ابي الفتح محمود بن محمد ابن قرا ارسلان بن داود بن سكمان بن أرتق ، الذي تولى الحكم في الفترة / ٥٩٧ ـ ٦١٩ هـ / ١٢٠٠ ـ ١٢٢٢ م / .

ويقول الجزري انه كان قبل ذلك في خدمة والد هذا الملك وفي خدمة اخيه مدة خمس وعشرين سنة بدءاً من تاريخ ٥٧٠ هـ . وقد حكم والد ناصر الدين خلال الفترة ٥٧٠ ـ ٥٨١ هـ (١١٧٤ / ١١٧٥ الى ١١٨٥ / ١١٨٦ م) كما ان أخاه الاكبر تولى الحكم خلال الفترة ٥٧١ ـ ٥٩٧ هـ (١١٨٥ / ١١٨٦ الى ١٢٠٠ / ١٢٠١ م) .

ويعتقد بعض الباحثين ان الجزري وضع كتابه عام ٦٠٢ هـ (١٢٠٦ م) . ويحتاج مثل هذا الامر الى مزيد من البحث والتدقيق .

ومن المؤسف انه لم ينشر حتى الان النص العربي الكامل للمخطوطة رغم ترجمتها كاملة الى اللغات الاجنبية . ومع

ان الذين قاموا بالترجمة الى الالمانية او الانكليزية كانوا علماء ثقات جمعوا بين الالمام الجيد بالعلوم الهندسية وبين معرفة اللغة العربية (وهو امر نادر بين المستشرقين) فان الباحثين الذين علقوا على الترجمة الانكليزية التي قام بها دونالد هيل أشاروا الى اهمية نشر النص العربي . كما نبهوا الى النسخ الجيدة الموجودة في استانبول والتي كان من المفروض ان تتم الاستعانة بها بدلا من نسخة اكسفورد . لذلك كله قرر معهد التراث العلمي العربي اصدار النص العربي الكامل لكتاب الجزري .

ونحن ننشر اليوم نموذجا لما سوف يكون عليه الكتاب بعد اكتمال تحقيقه . وقد اخترنا (النوع الخامس) الخاص بالآت رفع الماء .

ويهيب معهد التراث العلمي العربي بالباحثين ان يرسلوا اليه بارائهم وتعليقاتهم على هذا الاسلوب حتى يعمد المحققون الى تفادي العثرات عند نشر النص الكامل . والي جانب النص المطبوع سوف تنشر الاشكال مرسومة بخطوطها الرئيسية وعليها الحروف الابجدية المالوفة من اجل سهولة تتبع النص وفهمه ، في حين ان الاشكال الاصلية وعليها الرموز السرية سوف تنشر بالالوان كما وردت في المخطوطة رقم (٣٤٧٢) .

وقد استطاع المعهد ان يحصل على كافة مخطوطات الجزري المعروفة والموجودة في المكتبات العالمية المختلفة .

وبعد دراسة مقارنة لهذه المخطوطات اتضح بان افضلها بشكل مطلق هي ثلاثة موجودة الان في استنبول وهي :

١ ـ المخطوطة رقم : توبقابي سراي رقم ٣٤٧٢ .

٢ ـ المخطوطة رقم : ايا صوفيا رقم ٣٦٠٦ .

٣ ـ مخطوطة رقم توبقابي سراي رقم ٤١٤ .

والمخطوطة ذات رقم ٣٤٧٢ هي أقدمها إذ أنها مؤرخة في عام ٦٠٢ هـ (١٢٠٦ م) وهي مخطوطة ممتازة باشكالها وخطها وخلوها النسبي من الاخطاء سواء كان ذلك في النص او في الاشكال والرسوم واشكالها ملونة بالوان بديعة وقد تفضل الاستاذ الدكتور فؤاد سزكين بامداد المعهد بفلم اسود وابيض وبفلم اخر ملون لهذه المخطوطة الهامة ويعود اليه الفضل ايضا في الحصول على موافقة السيد وزير الثقافة التركي وعلى موافقة مدير مكتبة توبقابي سراي بنشرها .

ومن هنا فقد اعتمدنا النص الاصلي لهذه المخطوطة وعمدنا الى تصحيح اخطائه والى مقارنته بالمخطوطات الاخرى والتوصل من ذلك الى نص كامل صحيح من الوجهة الهندسية والتكنولوجية .

اما المخطوطة رقم توبقابي ٣٦٠٦ فهي من اجمل مخطوطات الجزري وأدقها . وقد انتزعت بعض لوحاتها الفنية وأصبحت موزعة في متاحف العالم أولدى بعض الافراد . ومعظم هذه اللوحات المنتزعة موجودة في الولايات المتحدة . ويرجع تاريخ هذه المخطوطة الى عام ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) ، وقد استخدمناها لمقارنة النص مع المخطوطة رقم ٣٤٧٢ .

والمخطوطة الثالثة التي اعتمدنا عليها هي ذات الرقم توبقابي ٤١٤ ، وهذه مخطوطة كاملة لا تقل في جودة أشكالها ورسومها وفي قلة اخطاء النص عن المخطوطتين السابقتين . ولم تكن هذه المخطوطة معروفة الى عهد قريب .

وقد استخدمت ايضا في مقارنة النص مع المخطوطتين السابقتين .

وهناك مخطوطة رابعة استخدمناها في هذه الدراسة وهي مخطوطة اكسفورد ذات الرقم غريفز ٢٧ . ويعود تاريخها الى عام ٨٩١ هـ

(١٤٨٦ م) . ومع أن هذه المخطوطة متأخرة نوعا ما عن المخطوطات الثلاث السابقة كما انها اكثر اخطاء سواء كان ذلك في النص الاصلي أو في الاشكال بالمقارنة مع المخطوطات الثلاث السابقة ، الا آننا استخدمناها ايضا لانها هي النسخة الاساسية التي اعتمد عليها دونالد هيل في ترجمة كتاب الجزري كاملا الى اللغة الانكليزية . كما أن كلا من فيديمان وهاوسر اعتمداها ايضا في ترجمتهما لقسم كبير عن كتاب الجزري الى اللغة الالمانية في الربع الاول من هذا القرن .

ويبدو انه لم تكن المخطوطات ٣٤٧٢ ، ٣٦٠٦ ، ٤١٤ متاحة للباحثين المشار اليهم عند قيامهم بترجماتهم . والمرجو الآن ان يساعد هذا النص العربي المدقق والمعتمد على أفضل المخطوطات المتاحة على توضيح وتصحيح كثير من المفاهيم حول نصوص الجزري التي ترجمت وجرى التعليق عليها باللغات الاجنبية .

نباتات البادية السورية الطبية
واستعمالاتها قديماً وحديثاً

الدكتور محمد نذير السنكري

كلية الزراعة – جامعة حلب

لقد تم في هذا البحث اجراء حصر استطلاعي للنباتات ذات الاستعمالات الطبية المتوطنة للمناطق الجافة وشديدة الجفاف السورية وتسجيل ما يعرف من ميزاتها فولكاريا وعلميا ، وجمعها في المعشب Herbarium الذي اقيم بالتعاون ما بين جامعة حلب والمركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة التابع لجامعة الدول العربية ، وذلك لتمكين الباحثين من التعرف عليها بصورة دقيقة ولتوفير بذورها من أجل التجارب المختلفة لدراسة امكانية زراعتها على نطاق واسع في المواقع المتدهورة والمعرضة للانجراف حيث تفشل تماماً الزراعة التقليدية ، وبذلك تسهم المناطق الجافة وشديدة الجفاف بشكل أكبر في الاقتصاد القومي . ولقد وجد في هذا الحصر ان هناك مائة نوع طبي يتوطن البادية وجبالها على الأقل وهذه تشكل اكثر من $\frac{1}{5}$ المجموعة النباتية Flora لها . والذي يثير الانتباه بالنسبة لادارة هذه الانواع انها تكثر في الاطوار التعاقبية المتدهورية Degraded Stages لنبت البادية ، حيث لا تقبل الحيوانات الرعوية على رعي هذه الانواع الطبية في غالب الاحيان .

وقد تم في هذا البحث ايضا اعادة الربط ما بين الاسم العربي القديم لكل نبات طبي مع الاسم اللاتيني في سبيل تمكين افضل لبعث التراث الطبي العشبي العربي المكتوب والشعبي في المناطق الجافة ومقارنتها مع الاستعمالات الحديثة .

ولقد لوحظ ان الاستعمالات الفولكلورية لنسبة كبيرة من نباتات البادية هذه تتشابه الى حد كبير مع المعلومات التي وردت عنها في امهات كتب العشابين العرب ، الا ان هناك استعمالات جديدة واستعمالات لنباتات لا ذكر لها في المراجع القديمة والحديثة . وعلى عكس الكندي ابي الأقرباذين العربي الذي استعمل الخلائط الطبية بنجاح باهر فان سكان البادية يميلون غالبا الى استعمال نبات مفرد او نباتين .

واني لأرجو أن يتم في المستقبل القريب انشاء حديقة طبية في جامعة حلب على غرار الحديقة التي انشئت في مزرعة المسلمية للنباتات الرعوية المتفوقة بالبادية السورية ، لا سيما وان الطلب على النباتات الطبية يتزايد بشكل كبير محليا وعالميا .

اما اهم الانواع التي سجلت في هذا الحصر الاستطلاعي فهي :

الفصيلة اللوفية او التّرياقية	Araceae	
اللوف او التّرياق	*Arum maculatum*	مقيء ، مدر للبول ومسهل .
الفصيلة الطرثوثية	Balanophoeaceae	
الطرثوث	*Cynomorium coccinium*	يؤكل كملين .
الفصيلة البطمية	Anacardiaceae	
البطم الاطلسي (الحبة الخضراء)	*Pistacia atlantica*	يستعمل علكه في بعض المراهم الخاصة بالقروح والقشور .
البطم الكينجوكي	*Pistacia khinjuk*	
السماق	*Rhus coriaria*	قابض ضد الدزنتّريا والاسهال المزمن ومنع الورم والداحس وضد سيلان الرحم والبواسير وقرحة الامعاء وضد بثرات الفم والحلق .
الفصيلة القبارية	Capparidaceae	
القبارالشوكي(الشفلح)	*Capparis spinosa*	مقشع ومدر للبول ومقوي يستعمل ضد الروماتيزم والشلل وأوجاع الارجل والتقشرات .

Caryophyllaceae	الفصيلة القرنفلية
تحتوى علي الصابونين وبعضها يحتوى على Parenychin والكيومارين و Herniarine وتستعمل مدرة للبول وضد بعض التهابات الحنجرة والسعال .	*Ankeropetalum gypsophiloides*
	Cypsophila rokejeka
	G. *damascena*
	G. *viscosa*
	G. *mollis*
	Herniaria hemistemon
	H. *cineria*
	Spergularia diandra

Chenopodiaceae		الفصيلة الرمرامية
يحدث الاجهاض ، مقاوم للحشرات لاحتوائه علي الاناباسين والأنيلين ويستعمل مسحوقه ضد الامراض الجلدية وفي صناعة الصابون سابقا كما قد تستعمل ثماره لطرد الديدان المعوية .	*Anabasis syriaca* (*A. haussknechtii*)	الاشنانالسوري
اقل تاثيرا من السابق .	*Anabasis articulata*	العجرم
اقل تاثيرا من السابق .	*Seidlitzia rosmarinus*	العنظوان(الحرض)
ضد الأمراض الجلدية وضد جرب الحيوانات .	*Haloxylon articulatum*	النيتون
لعلاج الجروح ولدغات الافاعي وضد الزكام كدخان ، وهو يحتوي علي عدة قلويدات أهمها Haloxine	*H. salicornicum*	الرمث

الاخيريط	*Salsola baryosma*	ذو خصائص مهبطة واهم قلويداته Salsoline
الفصيلة المركبة	**Compositae**	
الشيح	*Artimesia herba-alba*	يحتوي على الثويون Thujone وهو طارد للديدان ، ومقوي للمعدة ويزداد استعماله الان ضد مرض السكر في سورية والمغرب ومصر .
القيصوم العطري	*Achillea fragrantissima*	يحتوى على Flavonoides وزيت طيارو *Coline* ومادة مرة .
البابونج	*Matricaria aurea*	خافض للحمى ومسكن ومطهر بولي وضد الاضطراب المعوي والبرد والرشوحات .
الجثجاث	*Pulicaria crispa*	يحتوى على زيت طيار .
الزملوع	*Sonecio desfontaine*	مقيء ومسكن ومعرق ومطمث وطارد للديدان سام للحيونات .
الفصيلة العليقية او الرخامية	**Convolvulaceae**	
سكامونياحلب	*Convolvulus scamonia*	مسهل ومفتت للحصى .
النداوى العليقية	*Cressa cretica*	مقوية للمعده وللجنس .
الفصيلة الصليبية	**Cruciferae**	
الجرباء (الحمي)	*Farestia aegyptiaca*	مخرشة .

الفجيلة	*Sisymbrium irio*	ضد الديدان والآلام البولية .
الفصيلة القرعية		**Cucurbitaceae**
الحنظل او العلقم	*Citrullusc clcynthis*	مسهل قوي جدا ، ولعلاج حالات معينة من التهاب الامعاء ، وضد الاستسقاء وضد انحباس الطمث . وتبعا للانطاكي فانه ينفع ضد الفالج واللقوة .
الفصيلة العلندية		**Gentaceae**
العلندي	*Ephedra alata*	يحتوي على d-pseudo-ephedrine وتستعمل ضد امراض القصبات والربو وهي مقوية للقلب .
الفصيلة الحلبية او اللبينية		**Euphorbiaceae**
يوجد عدد قليل من انواع الحلب	*Euphorbia*	في البادية السورية وتستعمل بشكل نادر تقريبا .
الفصلية الحمراوية		**Frankeniaceae**
الحمرة المغبرة	*Frankenia pulverenta*	قابضة ضد الاسهال والدزنتريا واحيانا ضد التهاب القصبات
الحمرة الناعمة	F. *laevis*	
الحمرة الوبرية	F. *hirsuta*	
الفصيلة الدخانية		**Fumariaceae**
الشاهترج (الدبغة)	*Fumaria parviflora*	يحتوى على قلويد Protopine وتستعمل بذوره كمادات وضد اوجاع المعدة ولتخفيض الحمى وضد التشنج ومدر للبول .

الاسم	الاسم العلمي	الاستعمال
الفصيلة النجيليه	**Graminaeceae**	
الثيل (النجيل)	*Cynodon dactylon*	مدر للبول ولعلاج بعض حالات الاستسقاء .
الفصيلة السوسنية	**Iridaceae**	
الزعفران البرى	*Crocus dispathceus* *C. macrobollos*	مقوية ومعرقة
الفصيلة الشفوية	**Labiatae**	
الزعتر البري	*Satureia pallaryi*	منشطة وضد بعض انواع الديدان .
الزعتر السوري	*Thymus syriacus*	
نعينع	*Ziziphora tenuior*	
المريمية الفلسطينية	*Salvia palestina*	ضد السعال
حمحم	*Marrubium radiata*	
اللهب	*Phlomis orientalis*	
البوصير	*Verbascum spp.*	لاوجاع المعدة وضد التهابات الامعاء
الجعدة	*Teucrium polium*	وضد الملاريا ويقال انها تحتوي على صفات ضد مرض السكر **Antidiabetic**

العاقول المغربي	*Alhaji maurorum*	ضد التشنج وحصيات الكلي ، كما يستعمل منه كمسهل قوي .
الينبوت(الخرينيبة)	*Prosopis stephaniana*	ضد الدزنتريا وكقابض ولعلاج البواسير .
عرق السوس الاجرد	*Glycerrhiza glabra*	ضد امراض السعال والمعدة ولادرار البول واخفاء تأثير الذيفانات وللشفاء من حالات عدم هضم الثمار الحاد، وكذلك ضد قرحة المعدة .
قتاديت لحم	*Astragalus bethlehemmiticus*	لاستخراج صمغ الكثيراء .
القفعاء الشصية	A. *hamosus*	قابض ومقئ وطارد للارياح
رجل العصفور الجبليه	*Lotus gebelia*	سام للحيوانات .
فراش العرائس (المغاص)	*Ammothamnus gibbosus*	يحتوى على قلويد مر .

الفصيلة المهدية Leontiaceae

المهدة (خميرة الاظهر ، قرمة الطقيش)	*Leontice Leontopetalum*	لمداواة مرض الصرع .

الفصيلة الزنبقية Liliaceae

العكنة (اللحلاح)	*Colchicum retchii*	للسمنة وضد النقرس والروماتيزم .

بالاضافة الى وجود عدد كبير من انواع (*Allium* spp.) السامة في البادية السورية .

الخبازي صغيرة الازهار	*Malva parviflora*	ضد الطفوح الجلدية وكمادة معرقة ومدر للطمث وكمادة تستعمل لتنظيف القناة التناسلية بعد الولادة .
الخطمية البرية	*Althaea hirsuta* A. *rufescens*	علاج السعال وضد التهاب اللوزات وبعض امراض المثانة والمجاري البولية

الفصيلة الذئنونية Orobanchaceae

الذئنون	*Cistanche* spp.	مسهل .

الفصيلة الخشخاشية Papaveraceae

الشقشقيق الاحمر	*Papaver rhoeas*	ضد السعال وامراض القصبات ولطرد البلغم وضد الآلام الصدرية وتستعمل لعمل شراب .
شقشقيق ديكاسني	P. *decaisnei*	

الفصيلة الربلية Plantaginaceae

الزباد	*Plantago ovata*	تغليف القرحات وضد الاسهالات الاميبية والباسيلية .

الفصيلة الحميضية Polygonaceae

الحميض	*Rumex vesicarius*	ملين ومقوي ومسكن .

الفصيلة السويدية Rhamnaceae

السدر الضال	*Zizyphus lotus*	ضد السعال والربو وامراض الرئة
السويد الفلسطيني	*Rhamnus palestinus*	ملين .

الاسم العربي	الاسم العلمي	الاستعمال
الفصيلة الشقائقية		Ranunculaceae
حبة البركة الصحراوية	*Nigella deserti*	
الخشينة المنجلية	*Ceratocephalus falcatus*	مخرشة
الفصيلة الورديه		Rosaceae
اللوز الوزالي	*Amygdalus spartoides*	لعمل المستحلبات (Emulsifiers)
اللوز الشرقي	A. *orientalis*	
الفصيلة السذابية		Rutaceae
الذفراء	*Haplophyllum* spp,	ضد لسعات العقارب .
الفصيلة الباذنجانية		Solnaceae
النبج اوالسيكران	*Hyosciamus muticus*	كمخدر وضد اوجاع الاسنان ولدغة العقرب ، وضد الاضطرابات البولية والتهابات المثانة
عوسج او قصد	*Lycium barbarum*	ضد التشنج وملين وتحتوي الثمار علي خصائص مقوية للجنس ، وقد اشار اليه ابن البيطار والى فائدته ضد بياض العين .
الفصيلة الاثلية او الطرفاوية		Tamaricaceae
الطرفاء رباعية الاقلام .	*Tamarix tetragenia*	ضد ابخرة الفم والدزنتريا والسيلانات الرحمية والقروح والجذام .
الطرفاء رباعية الاسدية	T. *tetrandra*	

الفصيلة الخيمية	Umbelliferae	
الخلة الكبرى	*Ammi majus*	كمادات ضد ابيضاض الجلد وضد الجزام والحساسية التوزمية .
الحلتيت	*Ferula* spp.	للعيون وللتنشيط الجنسي ولطرد الارياح وضد السعال الديكي .
الصقاقل	*Malabaila sekakul*	مقوى للمعدة وللجنس .
الفصيلة الهرمية	**Zygophyllaceae**	
الشكاعى	*Fagonia bruguiri*	تحتوي على صابونين وفلافونيد .
الحرمل	*Peganum harmala*	طارد للديدان ومخدر وضد الملاريا، ومقلل للنشاط الباكتيري والبروتوزوي ومقوجنسي (يستعمل لتنشيط الشبق في الاغنام) كذلك يستعمل ضد مرض Porkinson وتداوى بدخـــانه العين وذكر ابن سيناء انه جيد لاوجاع المفاصل .
القطب الأرضي	*Tribulus terristris*	مدر للبول ومقو للجنس وضد السعال والاضطرابات البولية والسيلان .
البدرانة	*Zygophyllum abago*	للاوجاع العصبية للظهر .

ولا جدال في ان البحث في هذا التراث الطبي النباتي العريق سوف يغل معطيات علمية وتطبيقية كثيرة في سبيل العلم والانسان والحياة .

محاولة حصر ببليوغرافي للتآليف العسكرية والحربية عند العرب القدماء

الدكتور محمود إحسان هندي
باحث

في أقل من قرن من الزمان بعد وفاة الرسول امتدت حدود الدولة الاسلامية الى ثلاث قارات من قارات العالم المعروفة اليوم . وهذا الفتح من حيث الاتساع وسرعة الانجاز يمثل رقماً قياسياً لم يبلغه أي شعب من الشعوب الأخرى التي بنت امبراطوريات شاسعة قبل الاسلام مثل الفرس والرومان والروم أو بعد الاسلام مثل المغول والتتر وغيرهم .

وإذا حاولنا تجلي أسباب هذه الظاهرة فاننا نقع على أسباب كثيرة لكن أهمها في رأينا اثنان :

١ – الغاية السامية التي استهدفها الفتح الاسلامي والمعاملة النبيلة لأبناء الشعوب المفتوحة ، تلك المعاملة التي جعلت احد مؤرخي الغرب يقول بعد ثلاثة عشر قرناً ما معناه « ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » .

٢ – براعة المسلمين في استخدام الأسلحة الفردية وممارسة الفروسية وجميع فنون القتال ، ثم تمرسهم بعد ذلك باستخدام الأسلحة الجماعية بعد تحاكهم بسكان البلاد المفتوحة مما جعلهم فيما بعد سادة

استخدام الأسلحة طيلة أربعة قرون أو خمسة من عمر الزمان . ومن المعلوم أن البراعة في استخدام سلاح معين لا تأتي إلا نتيجة لتوفر أمرين اثنين :

أولا ـ اجادة استخدام هذا السلاح من الناحية الفنية Technique من حيث معرفة خواصه وميزاته وكيفية حمله وأخيراً وقبل كل شيء كيفية صنعه أو تصنيعه .

ثانياً ـ إجادة استخدام هذا السلاح من الناحية التعبوية Tactique من حيث كيفية القتال به بشكل فردي أو جماعي ، وكيفية استخدام الصنف المسلح به في المعركة ، وبكلمة واحدة كيفية استعمال خواصه الفنية في المعركة للحصول على أكبر الفوائد التعبوية .

ولقد برع العرب المسلمون ـ على خلاف ما يدعي بعض المؤرخين الغربيين المغرضين ـ بالأمرين معاً ، فأتقنوا صنع الأسلحة الفردية الدفاعية واستخدامها مثل الدرع والجوشن والبيضة والمغفر والترس بل حتى الترس النشاب ، وهو ترس عجيب يقي المحارب به نفسه كالترس العادي ، فاذا لاحت له من خصمه فرصة ضغط على زر في الترس لينطلق منه نشاب صغير يصيب الخصم في وجهه أو رأسه فيرديه .

وأتقنوا كذلك صناعة الأسلحة الهجومية الفردية واستخدامها سواء منها الأسلحة اليدوية مثل السيف والرمح والدبوس والطبر والفأس والخنجر والوهق . . . . أو الأسلحة الرشيقة Armes à Jet مثل القسي بأنواعها والبندق والقنابر والجلاهقات . . . . وزادوا على ذلك باتقانهم استخدام وصنع الأسلحة الجماعية من هجومية أو دفاعية مثل المجانيق بأنواعها والنفاطات والحراقات وسلالم وأبراج الحصار

والستائر والحسك والنار اليونانية وصناعة البارود . . . . بل إنهم عرفوا (المرايا المحرقة Miroirs Ardents) ــ كمــا يدل على ذلك المخطوط الذي كتبه عطارد بن محمد الحسيب ــ وإن كان أرخميدس قد سبقهم في هذا الكشف واستخدامه حرباً كما تقول كتب التاريخ اليوناني .

ومن الطبيعي أن البراعة في استخدام الأسلحة سلماً وحرباً تستلزم الدربة عليها ، وهذه الدربة لا تتم بشكل عملي فقط وإنما كانت تتم بشكل نظري أيضا عن طريق الكتب التي تضمن نقل خبرة الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة .

ولقد ألف علماء العرب في الشؤون العسكرية بشكل عام والشؤون الحربية بشكل خاص آلاف الكتب على شكل مخطوطات لنقل خبرة السلف الي الخلف ، وقد تم طبع بعض هذه التآليف العسكرية والحربية بعد تحقيقها والتعليق عليها على يد علماء أجلاء أجانب أو عرب خلال القرن الماضي وما مضى من سنوات هذا القرن ، وبقي البعض الآخر علي شكل مخطوطات متفرقة موزعة على أكثر من خمسين متحفاً ومكتبة حكومية أو خاصة مثل « طوب قابو سراي» و « كوبريلي » و « أحمد الثالث » و «آيا صوفية » و « نور عثمانية » في اسطنبول ، ودار الكتب الوطنية في باريس ، ومثيلتها في ليدن بهولندة وفيينا في النمسا ، والمتحف البريطاني و مكتبة جامعة أوكسفورد في بريطانيا ، ومكتبة دير الإسكوريال في اسبانيا ، ومتحف برلين في ألمانية ، و مكتبات رضا رامبور في الهند ، وطهران في إيران ، ولينغراد وطاشقند في الاتحاد السوفيتي ، بل حتى في مكتبة الكونجرس الأميريكي .

وقد تنبهت جامعة الدول العربية ــ مشكورة ــ لأهمية المخطوطات العربية فقام معهد المخطوطات التابع لها بتصوير عدد كبير منها بطريقة

٦ ـ تمت كتابة قسم منها من قبل مسلمين غير عرب ـ ولا سيما في العصر المملوكي ـ ويعود ذلك إلى أن طبقة المماليك هي من كانت تمسك بصفتي السياسة والحرب في تلك الأيام .

٧ ـ حرفت أسماء بعض المؤلفين أو عناوين بعض التآليف بين نسخة وأخرى من نفس المؤلف ، وهذا ما سبب وقوع بعض الهفوات في الفهارس وفي لائحتنا هذه ايضاً .

لائحة بأهم التآليف الحربية والعسكرية عند العرب

(أ)

١ - «آثار الأول في تدبير الدول» ألفه الحسن بن عبد الله بن محمد العباسي سنة ٧٠٨ هـ . توجد نسخة منه في المتحف الحربي بالقاهرة تحت رقم ٣٨٣ عربي . وهو مطبوع علي هامش « تاريخ الخلفاء » للسيوطي - طبعة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٦ م) ، كما أنه طبع في مصر قبل ذلك سنة ١٢٥٩ هـ .

٢ - « الاجتهاد في طلب الجهاد » رسالة كتبت للأمير منجك من قبل عماد الدين اسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير الحافظ الدمشقي المتوفي سنة ٧٤٤ هـ ، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ ، من قبل جمعية النشر والتأليف الأزهرية .

٣ - « الاجتهاد في إقامة فرض الجهاد » لابن عساكر - مجهول المكان .

٤ - « أحكام السبق والرمي » للشيخ تاج الدين أحمد بن عثمان التركماني الحنفي المتوفي سنة ٧٤٤ هـ .

٥ - « الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية » - ألفه محمد بن محمود منكلي العلمي المصري نقيب الجيش في عهد سلطنة الأشرف شعبان (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ) ، ألف كتابه هذا سنة ٧٧٨ هـ ، وهو يبحث في فن القتال ضمن ١٢٢ باباً . توجد نسخة منه في الخزانة التيمورية في القاهرة تحت رقم ٢٣ ، ونسخة أخرى في متحف القاهرة

الميكروفيلم ويوجد من بينها حوالي خمسين مخطوطاً تتعلق بالحرب بشكل خاص وبالحياة العسكرية بشكل عام (١) .

لذا جاءت محاولتنا المتواضعة هذه ، التي بدأناها منذ خمسة عشر عاماً ، لحصر وضبط أهم هذه التآليف الحربية والعسكرية وذكر أماكنها وما يتيسر جمعه من معلومات عنها ، وذلك لاثارة اهتمام المسؤولين في حكوماتنا ومكتباتنا الوطنية ومتاحفنا بها وبمحاولة الحصول على نسخ من هذه المخطوطات أو تصويرها - ولو بطريقة الميكرو فيلم - على الأقل .

ولعلي لا أكون متفائلا أو مغالياً كثيراً إذا قلت إنه من الممكن استثمار المعلومات الواردة في هذه المخطوطات في محاولة لوضع أسس (عقيدة Doctrine) عسكرية وحربية خاصة بالعرب في عصرنا هذا ولماذا لا ؟ ألم يتفق خبراء الحرب على أن مبادئه تبقى واحدة على مر العصور وأن ما يتغير هو الوسائط المستخدمة لربح النصر به فقط ؟

ولماذا لا ؟ ألم يقل الماريشال الألماني (فون دركوتز) - أحد أبطال دحر الهجوم البريطاني على العراق سنة ١٨١٥ - قبل حوالي نصف قرن ! « إن خطة خالد بن الوليد في معركة اليرموك كانت خطة ما عرف التاريخ الحربي أروع منها ولا أوفى » ؟ .

ومن باب الأمانة العلمية أن نذكر أن قسماً من هذه المخطوطات التي سنذكر عناوينها بعد قليل قد جاء ذكرها في فهرست ابن النديم ، وفي كتاب « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لحاجي خليفة وفي ذيله أيضاً ، وأخيراً في كتاب المستشرق الشهير كارل بروكلمان عن تاريخ الأدب العربي وفي ملحقه .

---

١ - راجع فهرس المخطوطات المصورة الصادر عن معهد المخطوطات العربية - تصنيف فؤاد السيد - الجزء الرابع - ص ٣ حتى ٤٠ - القاهرة ١٩٦٤ .

ومن المهم أن نعلن في هذا المجال أن بعض الكتب التي جاء ذكرها في هذه الفهارس وغيرها لم يمكن حصر مكان وجودها حتى الآن رغم الجهود المستفيضة التي بذلها الكثير من الدارسين والمنقبين في التراث العربي ، والأمل معقود على المهتمين بهذا الموضوع أن يشاركوا في مهمة البحث والحصر حتى يتكامل العمل وتكتمل الفائدة .

وأخيراً فان جميع المخطوطات التي سنسوق عناوينها تشترك في بعض الصفات التي يمكن حصرها بما يلي :

١ ـ أغلب هذه المخطوطات كانت تأليفاً والقليل القليل منها كان ترجمة عن الفارسية أو الهندية أو اليونانية .

٢ ـ القسم الأكبر منها قد تم تأليفه بين القرن الرابع والقرن التاسع الهجري ولا سيما في فترة الحروب الصليبية .

٣ ـ اقتصر بعضها على الشؤون الفنية فقط (وصف السيف أو الرمح أو السلاح بشكل عام) . وبعضها الآخر على النواحي التعبوية (تعبئة الجيوش ـ المسير ـ الطلائع والكمائن ـ حفظ السر ـ بث العيون وإذكاء الجواسيس ـ ترتيب الجيوش في المعركة أو ما يسمى ضرب المصاف ـ المدافعة والحصار ودك الحصون) كما بحث بعضها أيضا في قوانين الحرب وشرائعه (واجب الجهاد ـ قسمة الغنائم والفيء ـ معاملة الأسرى . . .) ، بينما بحث أغلبها في كل ذلك معاً .

٤ ـ اشتمل بعضها على رسوم ومخططات وصور ذات أهمية بالغة ، بينما اكتفى قسم منها بالشروح فقط .

٥ ـ كتب قسم كبير منها من قبل متخصصين (نقباء الجيوش ـ السلحداريين ـ الرماحين ـ الزردكاشيين أي صنعة الزرد . . . . ألخ) ، والبعض الآخر من قبل مؤلفين عاديين كتبوا في علوم وفنون أخرى .

الحربي ، ونسخة ثالثة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٧٠٥ ـ فنون حربية) ولكنها ناقصة من آخرها إذ أنها تنتهي في الباب العاشر بعد المائة ـ مصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

٦ ـ « آداب الحروب وفتح الحصون والمدائن وتربيض الكمين وتوجيه الجواسيس والطلائع والسرايا ووضع المسالح » ـ كتاب وضع بالفارسية لأزدشيربن بابك ، ترجمه الى العربية عبد الجبار ابن عدي وقدمه للخليفة أبي جعفر المنصور . جاء ذكره في رسالة اللورد مونستر عن « فن الحرب عند العرب » ولكنه لا يزال مجهول المكان .

٧ ـ « الأدلة الرسمية في التعابي الحربية » تأليف محمد بن محمود منكلي المذكور قبلا ، ويدور هذا الكتاب حول الشؤون العسكرية وضرورة اهتمام ولاة الأمور بالتعبئة الحربية ، ووصية لامراء الجيوش ووصية للأجناد .ورد ذكر هذا الكتاب في (كشف الظنون : ١ ـ ٧٥) وفي بروكلمان (٢ : ١٣٦) . النسخة الأصلية من المخطوط موجودة في مكتبة آيا صوفيا باستنبول تحت رقم ٢٨٧٥ وتقع في ٤٦ ورقة من الحجم المتوسط ومسطرتها ١١ سطراً . كتبت هذه النسخة بخط نسخي من قبل محمد بن إمام الفقير ، والمخطوطة مصورة في معهد المخطوطات العربية في القاهرة ، وفي خزائن مديرية التراث القديم في وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق تحت رقم ف ١١٨١ .

٨ ـ « الأرجوزة الحلبية » نظمها أبو بكر الحلبي المنقاري سنة ٩٢١ هـ ، توجد نسخة منها في متحف برلين .

٩ – « إرشاد العباد الى الغزو والجهاد » تأليف الشيخ أحمد حافظ الدين الفيضي النقشبندي الموصلي ، وهو مخطوط يقع في ٢٥٠ صفحة ، طبع في مصر سنة ١٣٣٦ هـ .

١٠ – « اسبال الذيل في ذكر جهاد الخيل » لنجم الدين بن خير الدين الرملي – توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٧ .

١١ – « الأسى في العمل بالسيف والترس » لمحمد بن علي الحموي – مجهول المكان .

١٢ – « أسماء السيف » للشيخ محمد بن الهروي المتوفي سنة ٤٣٣ هـ – مجهول المكان .

١٣ – « الأسوس في صناعة الدبوس » للشيخ عز الدين محمد بن أبي بكر الشهير بابن جماعة والمتوفي سنة ٨١٩ هـ – مجهول المصير .

١٤ – « الاشكال في الرمي بالنبال » لمؤلف مجهول .

١٥ – « أشياء الجهاد وأدوات الصافنات الجياد » لابن خلف المصري – مجهول المكان .

١٦ – « الافادة لأهل السعادة في علم الرمي بالنشاب » لعلي ابن قاسم السعدي الحلبي ، وتوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٣ .

١٧ – « الافادة والتبصير لكل رام مبتدىء أو ماهر نحرير بالسهم الطويل والقصير » – تأليف عبد الله بن ميمون بن عبد الله ، من رجال القرن السابع للهجرة . ورد ذكره في بروكلمان (ملحق ١ : ٩٠٦) – توجد نسخة منه في مكتبة كوبريلي باستنبول تحت رقم

١٢١٣ ، وهناك نسخة ثانية منـــه في نفس المكتبة تضم ١٥٩ ورقة مسطرتها ١٥ سطراً في مكتبة كوبريلي أيضاً تحت رقم ١٢١٢ – مصور في معهد المخطوطات العربية .

١٨ – « الأقوال الكافية في الفصول الشافية » تأليف علي ابن داوود الرسولي في أواسط القرن الثامن للهجرة ، وتوجد منه نسخة في المتحف البريطاني .

١٩ – « أمر تدبير الحرب وما ينبغي للمليك أن يتخذ من الرجال» تأليف باشناق الهندي وقد تمت ترجمته خلال النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة – مجهول المكان .

٢٠ – « الأمنية في علم الفروسية » لعز الدين محمد بن أبي بكر الشهير بابن جماعة المتوفي سنة ٨١٩ هـ (١) – مجهول المكان .

٢١ – « الأنيق في المجانيق » تأليف ابن أرنبغا الزردكاش الذي قدمه للامير شمس العلاء منكلي في القاهرة سنة ٨٦٧ هـ . وهو مخطوط فيه حوالي خمسمائة رسم لآلات المجانيق والزيارات والسلالم والحضارات والزحافات والجسور والمكاحل والقوارير ، والمواد الكيماوية التي يتكون منها البارود ، وكيفية استخدام كل ذلك في الهجوم على الحصون والقلاع . هناك نسخة منه في مكتبة أحمد الثالث باستنبول تحت رقم ٣٤٦٩ تقع في ١٠٩ صفحات قياس ١٨ × ٢٦ سم ومسطرتها – ١٥ – سطراً . ونسخة عنها في دار الكتب المصرية في القاهرة ، وهو مصور في معهد المخطوطات العربية تحت رقم ٩٧٠ .

---

١ – يمكن تحويل التاريخ الهجري إلى ميلادي بدقة باتباع الطريقة التالية :

م = هـ – $\frac{\text{هـ} \times ٣}{١٠٠}$ + ٦٢١,٦ وباتباع هذه الطريقة بالنسبة لسنة ٨١٩ هـ مثلا تكون السنة الميلادية المقابلة لها هي :

م = ٨١٩ – ٢٤,٥٧ + ٦٢١,٦ = ١٤١٦ م .

٢٢ ـ « أولى الأسباب في الرمي بالنشاب » لابن جماعة السابق ذكره ـ مجهول المكان .

(ب)

٢٣ ـ « البداية والنهاية في علم الرماية » ـ لم يعلم مؤلفه ـ مجهول المكان .

٢٤ ـ « البرق الشامي في التاريخ » من تأليف الوزير عماد الدين بن محمد بن حامد الأصفهاني المتوفي بدمشق سنة ٥٩٧ هـ . توجد منه نسخة في متحف لينغراد في الاتحاد السوفيتي .

٢٥ ـ « بغية الرامي وغاية المرامي في الرمي بالقوس والنشاب والبندقية » تأليف طيبوغا الأشرفي البكلميشي اليوناني الذي عاش في عهد السلطان الأشرف ، وهذه المخطوطة شرح لقصيدة نظمها المؤلف نفسه في فن الرمي ، وهي تتكون من ٢٨١ صفحة مسطرتها ١١ سطراً ، وهي موجودة في مكتبة سوهاج تحت رقم ٦ ـ صناعة ـ مصور في معهد المخطوطات العربية .

٢٦ ـ « بغية المرام وغاية الغرام في رمي السهام » تأليف طيبوغا الأشرفي المذكور أعلاه ، وهي قصيدة نظمها صاحبها سنة ٧٧٠ هـ في فن الرمي بالقوس وتبدأ بالبيت :

يا من يروم صنعة الرماية ويحكم الأصول والمعاني

ورد ذكره في بروكلمان (٢ : ١٣٥) ، وتوجد نسخة منه في مكتبة أحمد الثالث باسطنبول ونسخة أخرى في ليدن (هولندة) ـ مصور في معهد المخطوطات العربية .

٢٧ – « بغية القاصدين في العمل بالميادين » للأمير لاجين بن عبد الله الذهبي الحسامي الطرابلسي المتوفي سنة ٧٨٠ هـ ، وتوجد نسخة منه في مكتبة ليدن (هولندة) ، وأخرى في آيا صوفية (استنبول) .

٢٨ – « بلوغ المطلوب في فن القنبرة والطوب » للشيخ محمد حسين عطا زادة ، وهو من أحدث ما كتبه العرب القدماء في فن الحرب إذ أن تأليفه كان عام ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) . نشرته مجلة « الشرق » في مجلدها الخامس – ص ٤٩ .

٢٩ – « بنود الصحابة » – مجهول المؤلف – تحت كتابته في القرن التاسع الهجري ، وفيه وصف لخمسين بنداً من بنود الصحابة – هناك نسخة منه في مكتبة الفاتح باستنبول تحت رقم ٣٥٠٩ وتحوي ٨ ورقات قياس ٢٧ × ٢٣ سم ومسطرتها ١١ سطراً – مصور في معهد المخطوطات العربية .

٣٠ – « البنود في معرفة الفروسية » لنجم الدين حسن الرماح – ومنه نسخة في مكتبة رضا رامبور بالهند وثانية في دار الكتب المصرية .

٣١ – « البنود المفردة » مجهول المؤلف – توجد نسخة منه في مكتبة رضا رامبور بالهند تحت رقم ٣٥٢٤ وهي تتألف من ٢٣ صفحة قياس ١٩ × ٢١ سم ومسطرتها ١٥ سطراً – مصور في معهد المخطوطات .

(ت)

٣٢ – « تأديب الخيل وإصلاح ما فسد منها » – مجهول المؤلف – هناك نسخة منه من دون تاريخ في مكتبة أحمد الثالث باستنبول تحت رقم ٢١٤٤ ، وهي تتكون من ١٣ ورقة مسطرتها ١٥ سطراً – مصور في معهد المخطوطات .

٣٣ ـ « تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة من الحروب ومن الأسواء ونشر أعلام الاعلام في العدد والآلات المعنية على لقاء الأعداء » ، لمرضى بن علي بن مرضى الطرسوسي الذي قدمه للسلطان صلاح الدين الأيوبي . توجد نسـخة منـه في مكتبة أوكسـفورد في ٢٠٦ صفحات ، وثانية في مكتبة آياصوفية Budleienn Hunt-264 باستنبول تحت رقم ٢٨٤٨ في ١٧١ ورقة قياس ١٨ × ٢٧ سم ، ونسخة إضافية في المتحف الحربي في القاهرة . مصور في معهد المخطوطات بالقاهرة . ويقع هذا المخطوط في بابين :

ـ الأول في « ذكر السلاح وأصنافه واختلاف نعوته وأوصافه » وهذا هو الجانب الفني في الموضوع .

ـ الثاني في « ضرب المصافات في الحروب وتعبئة مكائدها التي يبلغ بها الغرض المطلوب » ، وهذا هو القسم التعبوي من المؤلف . وكل باب يحوي عدة فصول .

أخذ المؤلف أغلب معلومات هذا الكتاب ـ حسبما يعترف بنفسه ـ عن شيخه أبي الحسن الأبرقي .

وقد نشره وعلق عليه المستشرق الفرنسي كلود كاهين تحت عنوان (رسالة في التسليح مؤلفة لصلاح الدين .

(Un Traité d'Armurerie Composé Pour Saladin

وذلك في مجلة : Bulletin D'études Orientales-

Tome XII - Année 1947 / 1948 - Beyrouth 1948.

٣٤ ـ « تجنيد الأجناد وجهات الجهاد » لبدر الدين بن محمد ابن ابراهيم الكناني الحموي ـ مجهول المكان .

٣٥ ـ « تحفة السلاطين في الجهاد » لأبي عبد الله محمود بن محمد تاج الدين الوراق الذي ألفه في أول القرن الثامن للهجرة ـ مجهول المكان .

٣٦ - « تحفة الغزاة » لخسرو السلاحي - جاء ذكره في رسالة اللورد مونستر عن فن الحرب عند العرب .

٣٧ - « تحفة المجاهدين في العمـل بالميادين » تأليف الأمير لاجين بن عبد الله الحسامي المعروف بالطرابلسي المتوفى سنة ٧٣٨ هـ .

ورد ذكره في كشف الظنون (١ : ٢٦٥) وفي بروكلمان (٢ : ١٣٥) وقد كتبه مؤلفه للأمير بهادر الشهابي مقدم المماليك الظاهرية .

توجد نسخة من هذه المخطوط في مكتبة الفاتح باسطنبول تحت رقم ٣٥١٢ في ١٧ ورقة قياس ٢٣ × ٣١ سم ومسطرتها ١٠ أسطر ، وفيها صور وأشكال لميادين الحرب . والنسخة الثانية في مكتبة الفاتح أيضاً تحت رقم ٣٥٠٩ تمت كتابتها بخط نسخي سنة ٨٧٨ هـ من قبل أحمد بن الشاهد الأزهري البكري الديلمي لصالح الأمير حرباش السلحدار وتقع في ٢٠ ورقة قياس ٢٧ × ٣٠ سم ومسطرتها ١١ سطراً .

وهناك نسخة ثالثة في مكتبة « بغـداد لشك » في استنبول تحت رقم ٣٧٠ وهي موضحة بالرسوم والأشكال وتقع في ٤٢ ورقة مسطرتها ١٠ أسطر قياس ٢٥ × ٣٣ سم . وهناك نسخة رابعة منه في مكتبة أحمد الثالث باستنبول أيضاً تحت رقم ٢١٢٩ وهي مكتوبة سنة ٧٧٨ هـ وموضحة بالرسوم والأشكال وتقع في ١٢ ورقة مسطرتها ١٠ أسطر وقياسها ٢٢ × ٣٠ سم . وهناك نسخة خامسة منه في مكتبة رضا رامبور في الهند تحت رقم ٣٥٢٤ وتقع في ٢٢ صفحة من قياس ١٩ × ٢٦ سم ومسطرتها ١٥ سطراً .

وهناك نسخة سادسة منه موضحة بالصور والرسوم في متحف برلين ، ونسخة سابعة في مكتبة أوكسفورد . وهناك أخيراً نسخة

ثامنة منه في المكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم ١٣٧٢ وهي مصورة على فيلم رقم ١١٩١ في مديرية التراث القديم بوزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق . وتوجـد نسخة مصورة على ميكروفيلم في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم ٩٠٢ نقلا عن نسخة مكتبة الفاتح .

٣٨ - « تحفة أولي الألباب في الرمي بالنشاب » للشيخ محمد ابن أحمد الخلوتي - مجهول المكان .

٣٩ - « التدبيرات السلطانية في سياسة الصنائع الحربية » لمحمد ابن منكلي المصري المذكور سابقاً - توجد نسخة منه في مكتبة آيا صوفيا في اسطنبول تحت رقـم ٨٢٥٦ ، ونسخة أخرى في لينغراد .

٤٠ - « التذكرة الهروية في الحيل الحربية » لأبي الحسن علي ابن محمد بن أبي بكر الهروي ، وهو يحوي أربعة وعشرين باباً ، النصف الأول منها تتعلق بالسياسة والادارية والنصف الثاني (الباب العاشر وما بعد) يتعلق بالحرب والتعبئة ، وقد قدمه مؤلفه إلى أمير أيوبي يغلب على الظن أنه الملك المنصور ملك حماه سنة ٦١١ هـ . ورد ذكره في ذيل كتاب « كشف الظنون » وكذلك في مؤلف بروكلمان (الملحق ١ : ٨٧٩) . هناك نسخة منه موجـودة في مكتبة « عاطف افندي » في استنبول تحت رقم ٢٠١٨ يعود تاريخها لحوالي سنة ٧٠٠ هـ وهي تقع في ٢٤ باباً ضمن ١٥٦ صفحة مسطرتها ٧ أسطر ، وهذه النسخة مصورة في دار الكتب المصرية في القاهرة وفي معهد المخطوطات العربية تحت رقم ٢١٠ .

- وهناك نسخة ثانية منه في مكتبة نوري عثمانية تحت رقم ٢٢٩٨ وتقع في ٦٠ ورقة بالخط النسخي قياس ٢٠٥ × ١٤٠ مم والاطار المكتوب منها ١٣٠ × ٨٠ مم ومسطرتها ٧ أسطر في الصفحة .

- وهناك نسخة ثالثة في مكتبة آيا صوفيا باستنبول تحت رقم ٢٨٥٧ كتبت بالخط النسخي سنة ٨٧٥ هـ وتحوي ٦٥ ورقة من قياس ٢٦٠ × ١٨٠ مم والمساحة المكتوبة منها ١٨٥ × ١٢٠ مم بمسطرة ٧ أسطر في الصفحة وبخط أحمد شيخ زادة .

- وهناك نسخة رابعة منه في مكتبة يوسف آغا في مدينة قونيا (تركية) تحت رقم ٥٠٠٩ .

نشرته وعلقت عليه جانين سورديل تومين تحت عنوان :

"Les Conseils du Saykh Al-Harawi à un Prince Ayyubide" – in "Bulletin D'études Orientales- Tome XVII – Année" 1961/1962 – Damas 1962.

٤١ - « التساريح والتباطيل » لمؤلف مجهول - توجد نسخة منه على ١٠٠ ورقة في مكتبة الجامعة الأزهرية تحت رقم ٧٢٦٠ .

٤٢ - « تسهيل النصر وتعجيل الظفر » للشيخ أبي الحسن الماوردي صاحب كتاب « الأحكام السلطانية » المعروف والمتوفي سنة ٤٥٠ هـ - لم يعثر على المخطوط .

٤٣ - « تعبية الحروب وآداب الأساورة وكيف كانت ملوك الفرس تولي الأربعة الثغور » تأليف الفارسي بهرام جور - ترجم إلى العربية - مجهول المكان .

٤٤ - التعلم والاعلام في رمي السهام » لعلي بن قاسم السعدي الحلبي وقد قدمه إلى الأمير برسباي الشركسي - مجهول المكان .

٤٥ - « تفريج الكروب في تدبير الحروب » - لم يعلم مؤلفه ولكن يغلب على الظن أنه أبو عبد الله محمد بن محمد الرشيدي - كتبه صاحبه ليقدمه للملك الناصر فرج بن برقوق (٨٠١ - ٨٠٨ هـ) ،

ويضم الكتاب ٢٠ باباً في ١٥٢ ورقة من قياس ١٨ × ٢٧ ســم ومسطرتها ٩ أسطر حسب نسخته الموجودة في مكتبة الفاتح باستنبول تحت رقم ١٧٠٢ ، وهي مصورة في معهد المخطوطات تحت رقم ٩٠٣ .

يحتمل وجود نسخة أخرى منه في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ١٧٠٢ .

٤٦ ـ « توطئة الجهاد في فضل الجهاد » تأليف نور الدين علي المكي ، وتوجد نسخة منه في مكتبة آيا صوفيا .

(ث)

٤٧ ـ « ثلاثة مذاهب خاصة بالفروسية والرمي » تأليف جمشار الخوارزمي . نسخته الأصلية في المتحف البريطاني ، وتوجد منه نسخة مصورة في مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٣٤٠ .

(ج)

٤٨ ـ « جامع التواريخ » تأليف خوجة رشيد الدين ويعود تاريخه للقرن الرابع عشر للميلاد ، وتوجد فيه الوثائق اللازمة لدراسة الملابس والسلاح في عصر المغول . توجد عدة نسخ من هذا المخطوط إحداها في مكتبة الجمعية الآسيوية ـ الملكية بلندن ، وآخر في مكتبة جامعــة ادنبرة ، وأثنان في مكتبة « طــوب قابو سراي » في استنبول .

٤٩ ـ « الجماهر في معرفة الجواهر » الذي ألفه العالم البيروني في القرن الخامس للهجرة ، وتوجد نسخة من هذا المخطوط في مكتبة طوب قابو سراي في استنبول تحت رقم ٢٠٤٧ . نشره المستشرق فريتز كرانكو في مطبعة جمعية « دائرة المعارف العثمانية » .

٥٠ ـ « الجند » لابراهيم بن محمد بن سعدان بن مبارك ـ مجهول المكان .

٥١ ـ « الجهاد » لعبد الله بن مبارك ـ مجهول المكان .

٥٢ ـ « الجهاد والفروسية وفنون الآداب الحربية » تأليف طيبوغا الأشرفي البكلميشي اليوناني سنة ٧٧٠ هـ ، وهو يتألف من ٢١٤ صفحة ويبحث في ركوب الخيل وأسلحة الفارس واللعب بالسيف والرمح ـ توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٤ ، وهو مصور في معهد المخطوطات العربية تحت رقم ٢٧٦ .

(ح)

٥٣ ـ « الحراقات » لأبي سعيد العلاء بن سهل ، وتوجد نسخة منه في دار الكتب الوطنية في طهران .

٥٤ ـ « الحروب » للمبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ابن عمير المتوفي سنة ٢٨٥ هـ ـ مجهول المكان .

٥٥ ـ كتاب أشار المستشرق كلود كاهين الى مؤلفه باسم Hizam ـ ونعتقد أنه ابن حزام الذي ذكر اسمه ابن هذيل في كتابه « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ـ ص ١٣٤ ، والمخطوط المذكور موجود في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ٢٨٢٤ .

٥٦ ـ « حلية الفرسان وشعار الشجعان » تأليف عبد الرحمن ابن هذيل الأندلسي ، طبعه مصوراً في المغرب القنصل الفرنسي ميرسييه ، كما حققه وعلق عليه محمد عبد الغني حسن في الجزء السادس من مجموعة ذخائر العرب ـ طبع دار المعارف في القاهرة سنة ١٩٥١ .

٥٧ ـ كتاب « الحيل » تأليف الهرثمي الشعراني الذي كتبه للخليفة العباسي المأمون وجعله في مقالتين :

ـ المقالة الأولى ثلاثة جزاء : الجزء الأول في عدة فصول ، ثم الجزء الثاني في سبعة أبواب ، والجزء الثالث في ٢٤ باباً .

ـ والمقالة الثانية ستة ثلاثون فصلا وخمسة وعشرون باباً .

٥٨ ـ « الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب » تأليف محمد بن منكلي الناصري الشمسي نقيب الجيوش في سلطنة الأشرف شعبان ، والذي سبق أن عددنا له عدة مؤلفات ، يقول مؤلفه إنه ترجمه عن اليونانية وهو يضم تسعة وثلاثين باباً تبحث في انواع الحرب ومكائدها والاحتراس من العدو وكيفية مخادعته وعمل الآلات والأسلحة وكل ذلك موضح في الرسوم والأشكال . ذكره بروكلمان (٢ : ١٣٦) وهناك نسخة منه في مكتبة أحمد الثالث باستنبول تحت رقم ٣٤٦٩ تمت كتابتها سنة ٧٥٧ هـ في ١٣٥ ورقة من قياس ١٨ × ٣٦ سم ومسطرتها ١٩ سطراً ، كما توجد نسختان أخريان منه في خزانة آيا صوفيا تحت رقمي ٣٠٨٦ و ٣٠٨٧ ، وأخرى أيضا في ليدن تحت رقم ٤٩٩ ، وهو مصور في معهد المخطوطات العربية تحت رقم ٦٧٢ .

٥٩ ـ « الحيل والحروب وآلات السلاح وحصار القلاع وصنعة الضرب بالسيف والرمي بالنشاب وعمل البارود » لمؤلف مجهول . يعود تاريخ هذا المخطوط لسنة ٦٢٢ هـ ، وتوجد نسخة منه في ليدن (هولاندة) تحت رقم ٩٢ .

٦٠ ـ « الحيل والمكائد في الحروب » للخليل بن القسم الهريمي ـ مجهول المكان .

(خ)

٦١ ـ « خزانة السلاح » لمؤلف مجهول قدمه الى السلطان أحمد شاو بن محمد شاو بن مظفر شاو سنة ٨٤٠ هـ ، وتوجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٩٦ أدب وتضم ٤١ ورقة مسطرتها ١١ سطراً ـ مصور في معهد المخطوطات .

(د)

٦٢ ـ « الدبابات والمنجنيقات والحيل والمكايد وما إليها » لمؤلف مجهول .

(ذ)

٦٣ ـ « ذكر آلة الحرب » للشيخ أبي الحسن الأبرقي وهو أستاذ الطرسوسي الذي ألف « تبصرة أرباب الألباب » الذي سبقت الاشارة إليه ـ

(ر)

٦٤ ـ « رسالة الجيش » تأليف احمد بن يوسف الكاتب ـ ورد ذكرها في رسالة اللورد مونستر في فن الحرب عند العرب ـ لايعرف مكانها .

٦٥ ـ « رسالة الجيش » تأليف عمارة بن حمزة ـ مجهول المكان .

٦٦ ـ « رسالة في الجهاد وآداب الحرب » لمؤلف مجهول ـ توجد نسخة منه في مكتبة الحجار بحلب .

٦٧ ـ « رسالة في الرمي بالبندق » تأليف عماد الدين اسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير الحافظ الدمشقي المتوفي سنة ٧٤٤ هـ ، توجد نسخة منه في معهد المخطوطات العربية تحت رقم ٧٧٤ .

٦٨ ـ « الرسالة المرضية في صناعة الجندية » تأليف محمد بن محمود منكلي نقيب الجيش في مصر الذي ذكر اسمه في عدة مؤلفات سابقة . ورد ذكر هذه المخطوطة في مخطوطته الأخرى « الأدلة الرسمية » ولكننا لم نتمكن من حصر مكان وجودها .

٦٩ ـ « رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد » للامام محمد النجشي الحلبي المتوفي سنة ١٠٩٧ هـ . توجد نسخة منه في المكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم ٣٦٥ (حديث) تم نسخها سنة ١١١٨ هـ وتتكون من ٨٢ ورقة مسطرتها ٢٣ سطراً ، وهي مصورة في مديرية التراث القديم بوزارة الثقافة والارشاد بدمشق .

٧٠ ـ « الرمي » تأليف أبي بكر محمد بن خلف المتوفي سنة ٣٠٦ هـ .

٧١ ـ « الرمي » تأليف الملك الفارسي بهرام جودر تمت ترجمته إلى العربية خلال القرن الثاني للهجرة ـ مجهول المكان .

٧٢ ـ « رمي القوس » لمؤلف مجهول كتبه سنة ٨٠٠ هـ ، يحوي ١٣٦ صفحة حول تعاليم الرمي بالقوس والنشاب وتوجد نسخة منه في دار الكتب المصرية بالقاهرة .

(ز)

(س)

٧٣ ـ « السباق والرمي » لأبي النصر محمد بن مسعود العياشي .

٧٤ ـ « السبق والرمي » لابن المفيد محمد بن أحمد ـ مجهول المكان .

٧٥ ـ « السبق والنضال » لأبي موسى سليمان بن محمد المعروف باسم الحامض النحوي والمتوفي سنة ٣٠٥ هـ ـ مجهول المكان .

٧٦ ـ « سبيل الرشاد في فضل الجهاد » لأبي جعفر أحمد ابن ابراهيم بن الزبير بن محمد بن ابراهيم بن الحسن الغرناطي ، القاضي المالكي المتوفي سنة ٧٠٨ هـ ـ مجهول المكان .

٧٧ ـ « السر المخزون وجامع الفنون في أمر الفروسية والحرب » للأمير بدر الدين محمد بن بكتوت بن عبد الله الأشرفي المشهور بالرماح . توجد نسخة منه في دار الكتب الوطنية في باريس تحت رقم ١١٢٨ .

٧٨ ـ « السعي المحمود في ترتيب الجنود » لمحمد بن محمود ابن حسين الجزائري الحنفي الشهير بابن العنابي ـ كتاب متأخر يعود تاريخ تأليفه لسنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) . توجد منه نسخة بخط محمد الشربني ـ في ١٢٠ صفحة قياس ١٧ × ٢٣ سم ومسطرتها ٢٤ سطراً في مكتبة سوهاج تحت رقم ٦٧٨ ، ومنه نسخة ثانية تقع في ١١٧ صفحة في مكتبة الجامعة الأزهرية تحت رقم ٢٢٨٦٨ ـ مصور في معهد المخطوطات .

٧٩ ـ « السعي المحمود في نظام الجنود » تأليف زين الدين عبد القادر بن احمد بن علي الفاكهي . هناك نسخة منه في ١٧٦ صفحة في مكتبة الجامعة الأزهرية تحت رقم ٤٢٧٩٩ .

٨٠ ـ « السلاح » تأليف أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي .

٨١ ـ « السلاح » للأصمعي ـ مجهول المكان .

٨٢ ـ « سلوك المالك في تدبير الممالك » تأليف شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع ـ مطبوع ـ يحوي فصلا مهماً عن الحرب وما يتعلق به .

٨٣ ـ « السماح في أخبار الرماح » تأليف جلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ . توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٥١٧ ـ حديث وتتكون من ١٦ صفحة قياس ١٧ × ٢٥ سم ومسطرتها ١٥ سطراً ـ مصور في معهد المخطوطات العربية .

٨٤ ـ « السؤال والأمنية في تعليم الفروسية » لمؤلف مجهول ـ توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة أخرى في مكتبة المتحف الحربي بالقاهرة .

٨٥ ـ « السيوف التي كانت عند العرب وأجناسها » رسالة كتبها الفيلسوف الكندي خلال القرن الرابع للهجرة . توجد نسخة عنها في ليدن (هولندة) تحت رقم Arab 287 ، كما توجد نسخة أخرى منها في مكتبة آيا صوفيا باستنبول .

نشرها البكباشي الدكتور عبد الرحمن زكي وعلق عليها في مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ المجلد ع ١ ـ الجزء الثاني ـ ديسمبر ١٩٥٢ .

٨٦ ـ « السيوف والرماح » لأبي حاتم السجستاني ـ مجهول المكان .

(ش)

٨٧ ـ « شرح كتاب السير الكبير » تأليف محمد بن الحسن الشيباني ـ إملاء محمد بن أحمد السرخسي . حققه الدكتور صلاح

الدين المنجد وطبع في القاهرة سنة ١٩٥٧ ، ويبحث هذا الكتاب في قوانين الحرب والقانون الدولي حسب الشريعة الاسلامية .

٨٨ ـ « شرح منية الرامي وغاية المرام » ـ تأليف طيبوغا الأشرفي البكلميشي اليوناني ، وقد تناول فيه شرح منظومته « منية الرامي » التي وضعها في الرمي بالنشاب وأوصاف الأقواس وفضل الرمي . نسخته في المكتبة العثمانية الرضائية بحلب تحت رقم ٨٠٢ فروسية ، وهي تتكون من ٧٣ ورقة نسخها محمد بن عبد الرحيم التلواني سنة ٨٠٥ هـ . وصور على ميكروفيلم رقم ف ١٦٢ في خزانة مديرية التراث القديم في وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق .

(ص ـ ض ـ ط ـ ظ)

(ع)

٨٩ ـ « العبرة في الغزو والشهادة والهجرة » للشيخ أبي الطيب صديق ابن حسن القنوجي ـ مجهول المكان .

٩٠ ـ « العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحرب والمدافع » ألفه بالاعجمية الرئيس ابراهيم بن أحمد بن غانم بن محمود الأندلسي الشهير بالرياش ، وترجمه بالعربية أحمد بن قاسم بن أحمد بن قاسم ابن الفقيه الحجري الأندلسي ترجمان سلاطين مراكش ، وهو مرتب في ٥٠ باباً ويحوي بعض الصور والأشكال والخرائط الحربية .

ورد في بروكلمان وتوجد نسخة منه بالخط المغربي تقع في ١٣٠ ورقة ورد ذكره في بروكلمان (٢ : ٤٦٦) وتوجد نسخة منه مكتوبة بالخط المغربي تقع في ١٣٠ ورقة ذات مسطرة مختلفة وتحمل تاريخ ١١٩٨ هـ في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٦ فروسية كما أنه مصور في معهد المخطوطات العربية .

٩١ ـ « علم الآلات الحربية » تأليف ابن شاكر ـ مجهول المكان .

٩٢ ـ « علم الفروسية وآلات الحرب » ـ لم يذكر مؤلفه ـ منه مخطوطة في ١٣٧ صفحة بمكتبة الجامعة الأزهرية تحت رقم ٧٢٦٠ .

٩٣ ـ « عمدة المسالك » تأليف المجاهد يعقوب بن صابر المنجنيقي ، ويحدثنا ابن خلكان عنه فيقول : « إن صاحبه عالج فيه كل ناحية من نواحي الحرب كالتعبئة والاستيلاء على الحصون وتشييد القلاع » .

٩٤ ـ « العمل بالنار والنفط والزراقات في الحروب » المؤلف مجهول .

٩٥ ـ « عنوان الأثر في فنون المغازي والسير » للامام ابن سيد الناس ـ توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية ـ تم طبعه ونشره من قبل « مكتبة القدس » في القاهرة سنة ١٩٣٧ (١٣٥٦ هـ) .

٩٦ ـ « عيون أهل الجهاد من الأمراء والأجناد » ـ لم يعلم مؤلفه ـ توجد نسخة منه تمت كتابتها سنة ٨٩٣ هـ بخط محمد الدموشي في مكتبة احمد الثالث باستنبول تحت رقم ١٩٥١ وهي تضم ٩٨ ورقة بقياس ١٩ × ٢٨ سم ومسطرتها ١٩ سطراً ـ مصور في معهد المخطوطات .

٩٧ ـ « عبارات النفط وما نحتاج إليه في الحروب » ـ لم يعلم مؤلفه ـ هناك نسخة منه تحمل تاريخ سنة ٧٧٤ هـ في مكتبة احمد الثالث باستنبول تحت رقم ٣٤٦٩ وهي تضم ٤١ ورقة بقياس ١٨ × ٢٦ سم ومسطرتها ١٢ سطراً ـ مصور في معهد المخطوطات العربية .

٩٨ - « عيون الأخبار » لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . ويحوي في القسم الأول منه فصلا خاصاً عن فن الحرب وعلومه وآدابه عند العرب - تم طبعه في القاهرة سنة ١٩٢٥ م .

(غ)

٩٩ - « غاية المقصود في العلم والعمل بالبنود » تأليف محمد ابن لاجين الحسامي المتوفي سنة ٧٨٠ هـ - توجد نسخة منه في دار الكتب الوطنية في باريس تحت رقم ٢٨٢٧ .

١٠٠ - « غرر الخصائص الواضحة في بيان الشجاعة وصفة الأبطال وخيارهم » للشيخ محمد بن ابراهيم بن يحي الوطواط - مجهول المكان .

١٠١ - « غرس الأنشاب في الرمي بالنشاب » تأليف جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ - ورد ذكره في بروكلمان (٢ : ١٥٤ وملحق ١ : ١٩٢) . توجد نسخة منه في مكتبة أحمد الثالث في استنبول تحت رقم ٢٤٢٥ وقد نسخها المملوك مغلباي للسلطان قايتباي - مصور في معهد المخطوطات العربية تحت رقم ١٠٥٦ .

١٠٢ - « غنية الطلاب في معرفة الرمح والنشاب » من تأليف علاء الدين طيبوغا الأشرفي البكلميش اليوناني المتوفي سنة ٧٩٧ هـ والذي ورد اسمه بسياق عدة مؤلفات سابقاً . ورد ذكر هذه المخطوطة في بروكلمان (٢ : ١٢٥) وتوجد نسخة منه في مكتبة أحمد الثالث باستنبول تحت رقم ٢٦٠٨ ، وهذه النسخة الأخيرة كتبها محمد بن علي الأنصاري وفرغ منها سنة ٨٦٠ هـ وتقع في ١٩٥ ورقة بقياس

١٩ × ٢٨ ومسطرتها ١٣ سطراً ، كما توجد نسخة أخرى منه في دار الكتب الوطنية في باريس وثالثة في دار الكتب المصرية بالقاهرة ـ مصور في معهد المخطوطات العربية .

(ف)

١٠٣ ـ « فراسات السيوف ونعتها وصفاتها ورسومها وعلاماتها » ـ تأليف باجهر الهندي ، ترجم الى العربية في عصر متقدم (القرن الثالث للهجرة على الأغلب) ، واستفاد منه الكندي في رسالته عن السيوف ـ مجهول المكان .

١٠٤ ـ « الفروسية برسم الجهاد في سبيل الله » وفي نسخة أخرى « الفروسية برسم الجهاد وما أعد الله للمجاهدين من العباد » لمؤلف مجهول ولكن يغلب على الظن أنه واحد من اثنين : حسن بكتوت الرماح الذي عاش في القرن الثالث عشر للميلاد أو محمد بن لاجين الحسامي الطرابلسي الذي عاش في القرن التالي . ذكره بروكلمان (الملحق ١ : ٩٠٥) وهو يحتوي على ٥٢ باباً في الركوب والحرب وملاقاة الأبطال وضرب الداير بالداخل وضرب المنسب .

هناك نسخة منه في المكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم ١٣٧٢ فروسية وهي تتكون من ٥٥ ورقة قياس ٢٠ × ٣٠ سم ومسطرتها ١١ سطراً ، وهذه النسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية ، كما أنها مصورة في مديرية التراث القديم في وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق تحت رقم ف ١١٩١ .

وهناك نسخة ثانية في دار الكتب الوطنية في باريس تحت رقم ٩٨٨ ، ونسخة ثالثة في مكتبة نور عثمانية باستنبول تحت رقم ٢٢٩٤ (نسخت سنة ٨٠٠ هـ ضمن ٣٥ ورقة مسطرتها ١١ سطراً) ،

ونسخة رابعة في مكتبة رضا رامبور في الهند تحت رقم ٣٥٢٤ (٢٨ ورقة من قياس ١٨ × ٢٦ سم ومسطرتها ١٥ سطراً) ، ونسخة خامسة في مكتبة الفاتح باستنبول تحت رقم ٣٥١٢ (٤٩ ورقة قياس ٢٤ × ٣١ سم ومسطرتها ١٠ أسطر) ، ونسخة سادسة في مكتبة أحمد الثالث باستنبول تحت رقم ٢١٢٩ (٣٤ ورقة قياس ٢٤ × ٣٠ ومسطرتها ١٠ أسطر) .

١٠٥ ـ « الفروسية المحمدية » الذي ألفه الامام عبد الله بن محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية سنة ٧٥١ هـ ، وقد حققه السيد عزة العطار الحسيني وتم طبعه في دار الكتب المصرية سنة ١٩٤١ م .

١٠٦ ـ « الفروسية والحرب والطعن والضرب والتبطيلات » ـ لم يعلم مؤلفه ـ توجد نسخة منه في مكتبة الفاتح باستنبول تحت رقم ٣٥٠٩ وقد تم نسخها من قبل أحمد بن الشاهد الأزهري البكري الديلمي سنة ٨٧٨ هـ ـ مصور في معهد المخطوطات .

١٠٧ ـ « الفروسية والمناصب الحربية » تأليف نجم الدين حسن الأحدب الرماح الذي عاش خلال القرن الثالث عشر للميلاد . توجد نسخة منه في مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم ٥٠ ـ تاريخ وهي تقع في ٢٢٠ ورقة من قياس ١٦ × ٢٢ سم ومسطرتها ٩ أسطر وهي مصورة في معهد المخطوطات . كما توجد نسخة أخرى منه في دار الكتب الوطنية في باريس تحت رقم ٢٨٢٥ .

١٠٨ ـ « فضل الخيل » تأليف شرف الدين بن محمد بن عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (٦١٣ ـ ٧٠٥) ـ نسخه عمر بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله الأنصاري سنة ٦٨٩ هـ ـ ورد ذكره في بروكلمان (٢ : ٧٤) وملحقه (٢ : ٧٩) ـ توجد نسخة منه في المكتبة

الرضائية بحلب تحت رقم ٨٠١ فروسية مكونة من ١٤٥ ورقة مسطرتها ١٥ سطراً ـ مصور في مديرية التراث القديم بوزارة الثقافةوالارشاد القومي في دمشق .

١٠٩ ـ « فضل القوس العربية » تأليف مصطفى الشوربجي الفرحاتي الذي كتبه سنة ١١٤٠ هـ ـ مجهول المكان .

١١٠ ـ « فن الحرب » لمحمد بن منكلي العلمي القاهري الذي ورد ذكره في عدة مؤلفات أخرى ، ويتحدث فيه المؤلف ـ الذي كان نقيباً للجيش في عهد السلطان الأشرف شعبان ـ عن سياسة الصنائع الحربية ـ مجهول المكان .

١١١ ـ « فوائد النيل بفضائل الخيل » تأليف علي بن عبد القادر الحسيني الطبري المكي ـ ورد ذكره في بروكلمان (ملحق ٢ : ١٠٣٦) وهو مقسم الى ثمانية مقاصد . توجد نسخة منه في مكتبة نور عثمانية باستنبول تحت رقم ٤١٣١ وهي تتكون من ٣٣ ورقة بقياس ١٤ × ١٩ سم ومسطرتها ١٥ سطراً . مصور في معهد المخطوطات .

(ق)

١١٢ ـ « القسي والسهام والنبال » لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني ـ مجهول المكان .

١١٣ ـ « قطع مبتدعة لارهاب العدو بالحرب » لمؤلف مجهول ـ توجد نسخة منه يعود تاريخ كتابتها لسنة ٧٧٤ هـ في مكتبة أحمد الثالث باستنبول تحت رقم ٣٤٦٩ وهي تتكون من ١٣ ورقة بقياس ١٨ × ٢٦ سم ومسطرتها ١٣ سطراً ـ مصور في معهد المخطوطات .

١١٤ ـ « القول التام في فضل الرمي بالسهام » ـ لم يعرف مؤلفه .

١١٥ ـ « القوس » لأبي عبيدة عمر بن المثنى البصري ـ مجهول المكان ـ ورد ذكره في رسالة اللورد مونستر « عن فن الحرب عند العرب » التي ترجمها السيد هيثم كيلاني سنة ١٩٦٤ .

١١٦ ـ « القوس والترس » لأبي يزيد سعيد بن أوس الخزرجي ـ مجهول المكان .

١١٧ ـ « القوسية » تأليف نظام الدين محمد بن اسحاق الأصبهاني مجهول المكان .

(ك)

١١٨ ـ « كامل الصناعة في علم الفروسية والشجاعة » للأمير بدر الدين محمد بن بكتوت بن عبد الله الأشرفي الشهير بالرماح ـ توجد نسخة منه في المتحف البريطاني .

١١٩ ـ « كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكام المحاربين » للطبري ـ مطبوع .

١٢٠ ـ « كتاب الرماية بالنشاب » المؤلف مجهول ـ موجود ضمن مجموعة في مكتبة بلدية الاسكندرية تحت رقم ١٢٠١ ب وهو يقع في ١٤٠ صفحة بقياس ٢١ × ٣٣ سم ومسطرته ١١ سطراً ـ مصور في معهد المخطوطات .

١٢١ ـ « كتاب في الغزو والجهاد وترتيب اللعب بالرمح وما يتعلق به » لمؤلف مجهول ، وهو مبوب ضمن ٧٢ بنداً ، وتوجد نسخة منه بخط المملوك برديك السيفي في مكتبة رضا رامبور بالهند تحت رقم ٣٥٠٤ ، وهي تقع في ٤٦صفحة قياس ١٩ × ٢٦ سم ومسطرتها ١٥ سطراً ـ مصور في معهد المخطوطات .

١٢٢ ـ « كتاب في معرفة الخيل والجهاد وفي علم الضرب بالصوالجة وما يتعلق بذلك من آلات الفرسان » لم يعلم مؤلفه ، ويضم عدة أجزاء . توجد منه نسخة في مكتبة أحمد الثالث باستنبول تحت رقم ٢٠٦٦ وتضم ١٤٤ ورقة قياس ٢٢ × ٣٤ سم بمسطرة مختلفة ـ مصور في معهد المخطوطات .

١٢٣ ـ « كشف الكروب في معرفة الحروب » ألفه عماد الدين موسى بن محمد اليوسفي المصري سنة ٧٥٩ هـ وقدمه للملك الظاهر جقمق ، وقد قسمه مؤلفه إلى عشرة أبواب . توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية ونسخة أخرى في متحف القاهرة الحربي تحت رقم ١٠٦ عربي .

١٢٤ ـ « الكمال في الفروسية وأنواع السلاح وآداب العمل بذلك وصفات السيوف والرماح » ـ مجهول المؤلف . هناك نسخة منه كتبها المملوك جانم بن أزبك لصالح السلطان أبي النصر قانصوه الغوري ، وهي موجودة في مكتبة الفاتح باستنبول تحت رقم ٣٥١٣ ، وهي تقع في ١٠٨ ورقات قياس ١٩ × ٢٨ سم مسطرتها ٩ أسطر ـ مصور في معهد المخطوطات .

(ل)

١٢٥ ـ « اللعب بالبندق » تأليف أبو عبد الله بن اسماعيل ابن عبيد الله البغدادي المعروف بابن البقال معيد النظامية المتوفي سنة ٥٨٨ هـ ـ المخطوط لا يزال مجهول المكان .

(م)

١٢٦ ـ « المجن » لأبي العرف أحمد بن تمام التميمي الأفريقي المتوفي سنة ٣٣٣ هـ .

١٢٧ - « المختصر المحرر في رمي النشاب » تأليف محمد ابن علي الصغير المتوفي في القرن التاسع للهجرة . ورد ذكره في بروكلمان (٢ : ١٣٦) . هناك نسخة منه في مكتبة أحمد الثالث باستنبول تحت رقم ٢٦٢٠ تمت كتابتها سنة ٨٢٢ هـ وهي تضم ٢٢ باباً وتقع ١٢ ورقة مسطرتها ٢٣ سطراً - مصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

١٢٨ - « مختصر في سياسة الحروب » تأليف الهرثمي الشعراني صاحب المأمون - مؤلف من أربعين باباً وكل باب يحوي عدة فصول وكل فصل يبحث في عدة مسائل . النسخة الاصلية توجد في مكتبة كوبريلي باستنبول بخط أحمد بن غزي السعدي وتضم ٥٧ ورقة (١١٤ صفحة) من قياس ١٥ × ٢٠ سم مسطرتها ١١ سطراً في الصفحة الواحدة . والمخطوط مصور في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ٨٤٤ .

١٢٩ - « المخزون لأرباب الفنون » لمؤلف مجهول ، توجد منه نسخة في دار الكتب الوطنية في باريس تحت رقم ١١٢٨ .

١٣٠ - « مدخل في فن الفروسية والحيلة الحربية » - لم يذكر مؤلفه - ورد ذكره في دليل الكتب العربية الموجودة في فينا .

١٣١ - « المرايا المحرقة » لعطارد بن محمد الحسيب ، ورد ذكره في كشف أسماء المؤلفين » وفي بروكلمان (الملحق ١ : ٢٥٣) - مجهول المكان .

١٣٢ - « مستند الأجناد في آلات الجهاد » لعز الدين محمد ابن أبي بكر ابن جماعة المتوفي سنة ٨١٩ هـ - مجهول المكان .

١٣٣ - « المستظرف في ثمرة الحروب والشجاعة والحروب وتدبيرها » للشيخ شهاب الدين الابشيهي - مجهول المكان .

١٣٤ ـ « مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق » لمحي الدين احمد بن ابراهيم الدمشقي ، ويوجد تعليق عليه بعنوان « فكاهة الأذواق في مشارع الأشواق » ، وتوجد نسخة مخطوط الدمشقي في دار الكتب المصرية تحت رقم ٨٦ .

١٣٥ ـ « مصباح الكلام في معرفة ضرب الحسام » لمؤلف مجهول . لم يعرف مكانه .

١٣٦ ـ « معرفة علم رمي السهم » لمؤلف مجهول ـ توجد نسخة منه في مكتبة المتحف الحربي في القاهرة .

١٣٧ ـ « المغازي » لابن اسحاق المتوفي سنة ١٥١ هـ ، توجد منه نسخة في مكتبة كوبريلي في اسطنبول تحت رقم ١١٤٠ .

١٣٨ ـ « المنهل العذب لورود أهل الحرب » لمحمد بن منكلي المصري ـ مجهول المكان .

(ن)

١٣٩ ـ « نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد » لأحمد بن الغزالي الفاسي الأندلسي ـ ومنه نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٨٠٥ .

١٤٠ ـ « نظم التعبية » لمؤلف مجهول ـ مصور في معهد المخطوطات تحت رقم ٩٤٦ .

١٤١ ـ « نظيم الجواهر في تدبير الممالك والعساكر » للمسعودي ـ لا يعرف مكانه .

١٤٢ ـ « النفحات المسكية في صناعة الفروسية » تأليف القاضي أحمد بن محمود الحموي ـ توجد نسخة من المخطوطة في مكتبة الجامعة الأزهرية تحت رقم ٧٢٧٢ وتضم ٤٥ ورقة . حققه وطبعه السيد عبد الستار القرغولي لصالح مكتبة المثنى في بغداد سنة ١٩٥١ م .

١٤٣ - « نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية » تأليف محمد بن عيسى بن اسماعيل الحنفي الشهير بنجم الدين الرماح ، خازندار الملك الظاهر - ذكره بروكلمان (٢ : ١٣٦) ، وتوجد نسخة من هذا المخطوط في مكتبة أحمد الثالث باستنبول تحت رقم ٢٦٥١ ، وقد تمت كتابتها على يد أحمد المصري في دمشق سنة ٧٧٥ هـ ، وتقع في ٣٣٦ صفحة مسطرتها ١٧ سطراً . وتوجد نسخة ثانية منه في المتحف البريطاني تحت رقم Orient 2631 ، كما توجد نسخة ثالثة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٢٦ فتون . ونسخة أخرى في مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٣٣٨ وأخرى في مكتبة المتحف الحربي بالقاهرة - مصور في معهد المخطوطات العربية .

١٤٤ - « النهاية في الرماية » لحسن اليونيني - مجهول المكان .

(هـ)

١٤٥ - « هداية الرامي إلى الأغراض والمرامي » من تأليف الحسن بن محمد بن عيسون الحنفي السنجاري ويتحدث عن فنون الرمي بالقوس ، ويضم مقدمة وثمانية وأربعين باباً وخاتمة . ذكره بروكلمان (٢ : ١٣٦) . هناك نسخة منه بخط المؤلف نفسه كتبها في القاهرة سنة ٨٥٥ هـ وقدمها إلى الملك الظاهر محمد ، وهي تضم ٩٧ ورقة بقياس ١٩ × ٢٧ سم ومسطرتها ١٣ سطراً ، وهي محفوظة الآن في مكتبة أحمد الثالث باسطنبول تحت رقم ٢٣٠٥ - مصور في معهد المخطوطات العربية تحت رقم ف ١٠٥٦ .

١٤٦ - « هداية الرامي إلى طريق المرامي » تأليف أبي العباس أحمد بن ابراهيم ابن احمد سبط بن حرز الله الحاكم على رماة البندق بدمشق . هناك نسخة منه كتبت سنة ١٠٨٠ هـ في ١٢٧ ورقة قياس

٢٠ × ٣٠ سم ومسطرتها ١٧ سطراً وهي موجودة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٧٦ فنون حربية – مصور في معهد المخطوطات العربية .

(و)

١٤٧ – « الواضح في علم الرمي » تأليف عبد الرحمن بن أحمد الطبري – ورد ذكره في بروكلمان (ملحق ٩٠٦) . موجود ضمن دفتي مخطوط تضم رسائل أخرى حول نفس الموضوع في مكتبة روان كشك في استنبول تحت رقم ١٩٣٣ ، وهي نسخة جميلة مزودة بالرسوم والأشكال تمت كتابتها سنة ٨٧١ ﻫ وتضم ٩٨ ورقة من قياس ١٨ × ٢٨ سم ومسطرتها ١٧ سطراً – مصورة في معهد المخطوطات العربية . وهناك نسخة ثانية منها في مكتبة الجامعة الأزهرية تحت رقم ٧٢٨٥ ، ونسخة ثالثة في مكتبة صوفيا في بلغاريا .

(ي)

كشف بأسماء المؤلفين مع أرقام
المخطوطات التي ألفوها حسب اللائحة السابقة

(أ)

(ب)

(د)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

أهم المراجع

١ ـ « الفهرست » تأليف ابن النديم ـ القاهرة ١٩٢٩ .

٢ ـ « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » تأليف مصطفى ابن عبد الله حاجي خليفة ـ حلب ١٩٤١ .

٣ ـ تاريخ الأدب العربي ـ تأليف كارل بروكلمان مع ملحقه الخاص به.

٤ ـ رسالة في « فن الحرب عند العرب » تأليف اللورد مونستر ، تقديم وشرح هيثم كيلاني ـ ملحق المجلة العسكرية السورية ـ عدد تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٦٤ .

٥ ـ كتاب « الحياة العسكرية عند العرب » تأليف احسان هندي ـ نشر وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق ـ ١٩٦٤ .

٦ ـ « الجيش العربي في عصر الفتوحات » تأليف الدكتور احسان هندي نشر إدارة تدريب الجيش ـ دمشق ١٩٧٣ .

٧ ـ مجلة القوات الجوية المصرية ـ العدد ٤٣ ـ سبتمبر ١٩٦١ مقال بقلم السيد هيثم كيلاني .

٨ H. Ritter: „La Parure des Cavaliers"

٩ Reinaud:„De l'art Militaire chez les Arabes au Moyen Age"-1848

١٠ Remand: Description des Manuscrits

١١ Musulmans du Calimet de M. le Due de Blacas"-Paris 1928.


تاريخ الطب

الصرع عند الأطباء العرب

السيد سعد أبو ران

يعتبر الصرع من الأدواء القديمة المشهورة في الطب ، والتي سعى الأطباء الى وضع أسس تشخيصها منذ القديم .

ولم يذكر هذا المرض بشكل علمي مثبت إلا عند أبقراط . ولقد ذكر هـذا أيضا Littré تحت اسم كتاب في المرض الالهي في المجلد السادس من صفحة ٣٥٢ – حتى ٣٩٦ .

ولقد قصرت هذا البحث على تطور العلم عن هذا المرض عند العرب ، مبتدئاً بكتاب الطبري (فردوس الحكمة) ، ومنهيا بكتاب ابن هبل البغدادي (المختارات في علم الطب) . أي أنني سردت المعلومات التي كانت سائدة عن هذا المرض بين نهاية القرن الثامن وبداية القرن الثالث عشر .

وقبل أن أبدأ بسرد الموضوع أريد أن أعطي بعض التعاريف عن هذا المرض .

١ – الصرع يدعى بالعامية الساعة .

٢ – يوجد نوعان من الصرع صرع متعمم وصرع موضع ، فالمتعمم يترافق بفقد الوعي وبارتجاجات متعممة . أما الموضع أو البؤري فالارتجاجات تبدأ مـن طرف معين أو منطقة من مناطق الجسم لتتعمم بعد ذلك . ومن الأمثلة على هذا النوع الصرع الجاكسوني .

٣ ـ سبب الارتجاجات هو انطلاق تنبيهات عصبية في الدماغ ، تترجم على سطح الجسم بالاهتزازات المتتالية .

٤ ـ في الصرع المتعمم يوجد نوعان صرع كبير Grand Mal. وصرع صغير Petit Mal. .

فآلية الصرع عند الطبري تكون من « خلط بارد لزج ، ومن سوداء يحتبس في الدماغ ، أو في مسالك الريح النفسية ، فيتحرك الدماغ لذلك ، ويجتمع لدفع أذيها عن نفسه كما تضطرب المعدة بالفواق ، وإذا انقبض الدماغ واتجع اضطرب البدن كله » .

فالصرع عنده يكون بسبب حدوث سدادة في أعصاب الدماغ ، فينقبض الدماغ بحركات شديدة لكي يلفظ هذه السدادة . هذه الحركة الانعكاسية للدماغ ، ينعكس أثرها على سطح الجسم بالحركات التشنجية المعروفة عن الصرع .

ويسترسل الطبري في وصف أشكال الصرع فيقول « وربما كان الصرع من فساد في المعدة أو في المراق فيشركهما الدماغ في العلة ، وربما كان من خلط فاسد يرتفع من القدم الى الدماغ فيصرع كما يرتفع سم العقارب وسم الجرارات على قلتها ودقة حمتها من أسافل البدن إلى أعاليه حتى يقتل الانسان » .

وكأني بالطبري . يعبر بشكل أو بآخر عما ندعوه اليوم بالصرع الجاكسوني ، حيث تبتدىء الاختلاجات في أحد الأطراف ثم تنتشر لتتعمم في الجسم ، فهي تنتقل من صرع موضع الى صرع معمم ، إلا أن الطبري عزا سبب هذا النوع من الصرع في ذلك الزمان إلى سم قليل الكمية ، عالي السمية ، ينتقل من القدم إلى الدماغ .

أما إنذار هذا المرض وسوء العاقبة فيه عند الطبري فهي منقولة عن أبقراط « قال أبقراط إن الصبيان عروقهم ضيقة ، ودماؤهم

فاترة ، فالدم يجمد فيهم ، عند هذه العلة فيقتلهم سريعاً ، وأما المكتهلون فانهم يقوون على الداء ، لأن عروقهم واسعة ، ودماؤهم كثيرة حارة ولا يقوى برد هذا الداء على إجماده » .

وقال الطبري أيضاً ناقلا عن أبقراط « إن من صرع مغز كالميت فذهب حسه فلا علاج له » إذاً نستطيع أن نستدل على أن الطبري وأبقراط يعتقدان :

١ ـ أن سبب الوفاة في الصرع هو تجمد الدم في عروق الدماغ نتيجة البرودة التي تصيبه .

٢ ـ أن السبب الرئيسي للصرع يكمن في البرودة التي تصيب الدماغ فتؤدي إلى ارتجافه ، وهذه الفكرة مستوحاة مما يحصل لجسم الانسان عامة عندما يتعرض لتيار بارد فيشعر بالرجفة والقشعريرة .

٣ ـ إن تقدير درجة الصرع تعتمد على مقدار فقد الحس . فكلما كان فقد الحس شديداً كانت نوبة الصرع قوية .

وفي كتاب الذخيرة في علم الطب للطبيب ثابت بن قره ، والذي أنكره عليه الدكتور سامي خلف الحمارنه في دراسة أجراها حول هذا الكتاب في مؤلفه فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الطب والصيدلة) ، في كتاب الذخيرة :

« وأما الصرع فهو سدد غير تامة تحدث في مجرى الأعصاب ، ولذلك تحدث عنه حركات سمجة ، كما تحدث للمجانين ، فأما التشنج فيها فلانجذاب الأعصاب نحو أصلها ، وتعرف صعوبة السكتة وسهولتها من التنفس ، فان كانت الآفة في التنفس كثيرة فالسكتة كاملة ، وإن كانت الآفة فيها يسيرة ، فالسكتة ضعيفة ، ومع ذلك إنه اذا كان يتنفس باستكراه فسكتة قوية ، وإن كان تنفسه بسهولة فسكتة ضعيفة » .

وهنا نلاحظ أن ثابت بن قرة يقيم شدة أو درجة الصرع إعتماداً على مدى الآفة التنفسية المرافقة ، فكلما كان التنفس صعباً ، أو متوقفاً ، كان الصرع شديداً .

ويذكر الطبيب العربي الكبير أبو بكر الرازي ، في كتابه الحاوي في الطب أن « الصرع تشنج يعرض في جميع البدن إلا أنه ليس بدائم لأن علته تنقضي سريعاً ، وما ينال فيه الأعضاء التي في الرأس على جميع الجسد من المضرة يدل على أن العلة إنما هي في الدماغ ، ولأنها تنقضي سريعاً ينبغي أن يعلم أن الخلط الفاعل له خلط غليظ يسد منافذ الروح . فان فعله في بطون الدماغ خاصة ، وإن مبدأ العصب فأصله هو الذي يحرك نفسه حركة ارتعاشية ، ويرتعد بشدة كيما يدفع عنه ذلك الشيء الذي قد بلغ في الأبدان » .

فالرازي هنا حدد المرض بشكل جلي أكثر من سابقيه :

١ ـ فالنوبة الصرعية مدتها قصيرة (لأن علته تنقضي سريعاً) .

٢ ـ الآفة البدئية هي في الدماغ .

٣ ـ سبب الآفة الرئيسي هو وجود الخلط الغليظ في بطون الدماغ وسده لمنافذ الروح .

٤ ـ ارتعاش العصب لدفع الخلط الغليظ الذي أصابه .

والرازي يفرق بشكل دقيق بين الصرع الناتج عن آفة محددة في الدماغ والذي تطول مدته عادة ، وبين الصرع الذي ينقضي بسرعة والذي ينتج برأيه عن خلط غليظ كما في قوله « وكون هذه العلة وانقضاؤها بغتة تدل على أنها لا تكون في وقت من الاوقات بسبب يبس أو استفراغ وإنها إنما تكون دائماً من خلط غليظ » .

ثم ينتقل الرازي الى الحديث عن أصناف الصرع فيقول :

« والصرع ثلاثة أصناف ، إما أن يكون الخلط الفاعل له مستكناً في الدماغ ، فإما أن يكون بمشاركة المعدة ، وإمـا أن يكون صعوده من عضو ما من أعضاء البدن ، فانه قديحس بعض المصروعين بشيء كالروح البارد يصعد من بعض أعضائه إما من اليد ، وإما من الرجل ، وإما من عضو آخر حتى يبلغ الى الرأس ، ثم يخرون » .

في هذا النص أيضاً إشارة واضحة إلى الصرع الجاكسوني ، والذي عزي فيه الرجفان إلى مادة أو ما كانت تدعى بروح باردة تصعد من القدم حتى الدماغ - وقد مر سابقاً السبب الذي دعا الأطباء العرب إلى أن يردوا سبب الرجفان الى البرودة .

والرازي أيضا كثابت بن قره يعتمد في تقدير درجة النوبة الصرعية على يسر التنفس أو عسره ، وذلك حين يقول .

« واعرف مقدار عظم الصرع بعسر التنفس وصولته ، ومقدار صغره بسهولة التنفس وعظمه »

ثم يبين الرازي بعد ذلك الانذار لهذا المرض حين يقول :

« من أصابه الصرع قبل إنبات الشعر في العانة ، فانه يحدث له انتقال وقت إنباته ، فمن أصابه وقد أتى عليه من السن خمس وعشرون سنة فانه يموت وهوبه » .

أي إن صدع الصبيان من الممكن ان يشفى عند البلوغ ، أما صرع الشباب فهو صعب الشفاء وقاتل في أكثر الحالات .

وقد ذكر الرازي أيضاً ما ندعوه الآن بالصرع الانعكاسي

أو Reflex Eplepsy ، وذلك حين قال ناقلا عن جالينوس .

« الحر والبرد الشديدان ، والرياح العاصفة والأصوات الهائلة والأرايح الساطعة ، والدواليب والدوالي والدوارات والحمات والخناقات الرديئة ، والسهر واللهيب والغم والغضب ونحو هذه فيما يثير البدن إثارة شديدة فان هذه تجلب نوب العلة » .

ولقد ذكر الرازي أيضاً المرحلة التي تسبق النوبة الصرعية ، والتي تدعى اليوم بالنسمة أو Aura والتي من أوصافها أنها تترافق بشعور خفي لا يستطيع المريض تمييزه في أكثر الأحوال ودعا هذه المرحلة بالكابوس وذلك يبدو واضحاً في قوله :

« وأما الكابوس فانه مقدمة للصرع ويكون من كثّرة خلط في البدن ، يرتفع بخار كثير إلى الرأس او ربما كان من دم كثير » .

وقال ايضاً :

« علامات المتهيء للصرع يعرض قبل ذلك ثقل في الرأس ، ووجع وصداع شديدان وبطء في الحركات واحتباس في البطن واختلاج فيه » .

اما العلامات المشاهدة أثناء النوبة فقد لخصها بقوله :

« ووقت النوبة يسقطون ويصيحون ويزبدون ، والزبد خاص لها ولهؤلاء ، ومنهم من يخرج منه البول والبراز بلا إرادة ، وإذا اتصلت نوائبه وتراكبت وتداركت قتلت سريعاً » .

في الفقرة السابقة أيضاً ذكر الرازي الحالة الصرعية أو Status Epilepticus . والتي هي عبارة عن تتالي النوب الصرعية

وتداخلها . هذا الذكر جاء حين قال « وإذا اتصلت نوائبه وتراكبت وتداركت قتلت سريعاً » .

من العلامات الهامة أيضاً والتي لم يغفل عن ذكرها هي ارتفاع درجة حرارة المريض عقب حدوث النوبة ، يقول الرازي :

« والصرع تشنج يحدث في البدن كله ، وحدوث الحمى بعد التشنج موافق » .

ننتقل الآن إلى الكلام عما قاله الشيخ الرئيس ابن سينا في أسباب الصرع ، قال : « سببه إما تقبض الدماغ لدفع شيء مؤذ ، وهو إما بخار ، وإما كيفية لاذعة ، او رطوبة رديئة الجوهر ، وإما خلط يحدث سدة غير كاملة في بطن الدماغ ، أو أصول منابت العصب ، وقد يكون ذلك من الخلط لحركة موجبة تقع في الخلط ، أو لغليان من حرارة مفرطة » .

إن أهم جملة وردت في هذا النص هي آخر جملة حين ذكر ابن سينا أنه من الممكن أن يحدث صرع لارتفاع درجة حرارة الجسم بشكل شديد مما يؤدي إلى غليان سوائل الدماغ حسب رأيه ، وظهور الاختلاجات على أثر ذلك . هذه الاختلاجات هي ما ندعوه اليوم بالاختلاجات الحرورية .

ثم ينتقل ابن سينا الى الكلام عن أصل هذا الداء اعتماداً على نظرية الأخلاط Humors ، والتي أخذها العرب عن اليونان . فكما كانوا يقسمون الأمزجة مثلا إلى أربعة أمزجة : مزاج سوداوي ومزاج صفراوي ، مزاج بلغمي ، ومزاج دموي . كذلك كانوا يقسمون أسباب هذا المرض إلى أسباب من الصفراء أو السوداء الخ ، فهذه

حسب تلك النظرية هي الأخلاط الأربعة الموجودة في الجسم يقول إبن سينا في هذا الصدد :

« فالسبب فيه مادة لا محالة تفعل ريحاً محتبسة في مجاري الحس والحركة ، أو تملأ البطنين المقدمين بعض الملء ، وهذه المادة إما دم غالب وكثير ، وإما سوداء ، وإما صفراء ، وهو قليل جداً » .

وفي ذكر ترافق الحمل مع الصرع قال ابن سينا :

« وكذلك يتفق للمرأة صرع مع الحمل ، فاذا وضعت واستفرغت المادة الرديئة الطمثية زال ذلك » ومن المعروف أنه قد يترافق الحمل مع الصرع في بعض الحالات .

ولقد كانت الفقرة التي قسمت الصرع الى صرع كبير أو Grand Mal وصرع صغير أو Petit Mal من أهم الفقرات التي ذكرها ابن سينا ودعا هذين النوعين صرعاً صعباً وصرعاً سهلا قال في ذلك :

« وعلامة الصرع السهل أن تكون الأعراض أسلم وأن يكون صاحبه يثوب إليه العقل بسرعة فينحل كما يفيق ، وأن تسرع إليه إفاقته بالعطوسات والشمومات وبما يحرك القيء مما يدخل الحلق قاءبه أو لم يقيء ، وعلامة الصعب منه عسر التنفس وطول الاضطراب ، ثم طول الخمود ، أو يطول الخمود فيه ويقل الاضطراب » .

وفي معرض وصفه للصرع الكبير قسم هذا المرض إلى مرحلة النسمة كما مر سابقاً ، ثم مرحلة الارتجاج ، Clonic ، ثم مرحلة الاسترخاء وهي Stage of Relaxation . قال في ذلك . « وكثيرا ما يتقدمه تغير البدن عن مزاجه وثقل في الرأس وخصوصاً

إذا أغضب أو حدث نفخ في البطن ، ويتقدمه ضعف في حركة اللسان ، وأحلام رديئة ونسيان أو فزع وخوف وجبن ، وحديث النفس وضيق الصدر وغضب وحدة ، وليس كل صنف منه يقبل العلاج ، والمؤذي منه هو الذي يتقدمه هز شديد ، واضطراب كثير قوي ، ثم تتبعه سكون شديد مديد وازدياد وضرر في النفس » .

أما آخر كتاب اعتمدت عليه فكان كتاب ابن هبل البغدادي « المختارات في علم الطب » ، والذي لم يضف على ما قاله ابن سينا سوى أنه جمع الأسباب حين قال :

« وبالجملة كل ما يؤذي الدماغ حتّى ينقبض منه ويتقلص ويتشنج ، فيفسد بعض مسالك الروح فيصرع » ولقد أورد البغدادي أيضاً علامة هامة جداً ألا وهي ترافق الأذيات الدماغية المباشرة مع النوبات الصرعية هذه الملاحظة الهامة أوردها حين قال :

« وما كان سببه ضغطاً في الدماغ بسبب كسر عظم أو لسع حيوان أو تراقي بخار » هذه الاشارة الهامة لهذا النوع من الصرع تعتبر الأولى في مجال الطب العربي ، إذ أن فيه ذكراً واضحاً جلياً لترافق الصرع مع الأذيات الدماغية المباشرة .

تلكم أفكار العرب عن الصرع ، وتلكم مشاهداتهم حوله ، ويوجد كثير وكثير من الأمراض تحتاج إلى تمحيص وتدقيق لتبيان ما أضاف العرب من المعلومات حولها ، والتي بخسنا الغرب حقنا بها ، ويعتبروننا نقلة فقط لعلم اليونان حفظناه من الضياع ، حتّى جاء الغرب وطوروه مرة أخرى ، رغم أن العرب قدموا إضافات جلى في هذا المضمار .

المراجع :

١ ـ أبو الحسن علي بن سهل ربن الطبري ، **فردوس الحكمة في الطب** ، مطبع « آفتاب » ببرلين ١٩٢٨ م .

٢ ـ ثابت بن قرة ، **كتاب الذخيرة في علم الطب** ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٨ م .

٣ ـ أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، **الحاوي في الطب** ، الجزء الأول دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ١٩٥٥ م .

٤ ـ أبو علي بن سينا ، **القانون في الطب** ، القاهرة ، بولاق ١٢٩٤ م .

٥ ـ الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل البغدادي ، **المختارات في الطب** دائرة المعارف العثمانية بحيدر ـ آباد ١٣٦٣ هـ .

مصادر الادوية المفردة أو العقاقير
في الطب العربي

الدكتور محمد زهير البابا
كلية الصيدلة – جامعة دمشق

يصادف في هذا الاجتماع ذكرى مرور مائة عام على ترجمة كتاب (الجامع لمفردات الطب) لمؤلفه ضياء الدين عبد الله بن احمد المالقي المعروف بابن البيطار ، من قبل العالم الفرنسي Lucien Leclerc

ويعتبر هذا الكتاب ، من قبل جميع المؤرخين في تاريخ الطب العربي ، اعظم موســوعة ظهرت في علم العقاقير باللغة العربية . وسأحاول في محاضرتي هذه شرح المراحل التي مربها هذا العلم في البلاد العربية والاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى القرن الثالث عشر ، وهو تاريخ ظهور ابن البيطار ، مع بيان مصادر العقاقير التي تعرف عليها العرب واستعملوها خلال هذه الحقبة من الزمن .

العرب وتجارة العقاقير : يقول الطبري في تاريخه المشهور : « كانت الأبلة تسمى قبل الاسلام (ثغر الهند) لكثرة البضائع التي كانت تنتقل منها واليها ، ولكثرة الصلات البحرية بينها وبين الهند ، كما ان سكان البتراء اشتهروا بمثل هذا النشاط البحري » .

ويحدثنا التاريخ ان الشاطيء اليمني كان ، خلال القرون الثلاثة التي سبقت ميلاد السيد المسيح ، يعج بالسفن والملاحين . وكان يسكن

هذا الشاطىء قبائل حميرية عرف ابناؤها بنشاطهم البحري واتصالهم الدائم بمرافىء البحر الاحمر وفارس والهند . وكانت مدينة عدن مركزاً هاماً للتبادل التجاري البحري بين الهند ومصر . وقد اكتشف في منطقة الجيزة بضواحي القاهرة تابوت يرجع بتاريخه الى القرن الثالث قبل الميلاد يدل ايضاً على أن كاهناً عربياً في أحد المغابد المصرية ، يدعى زيد آل بن يزيد ، كان يستورد بسفينته المر وقصب الطيب من اليمن » .

كان سكان العالم القديم ، من فراعنة واغريق ورومان ، يتهافتون على طلب العقاقير وانواع الطيب ، للمداواة او لاستعمالها في الطقوس الدينية والجنائزية . وكانوا يعتقدون ان العربية السعيدة (ويقصدون اليمن) هي مصدر جميع هذه المواد الثمينة .

ومن الادلة التي تشير الى معرفة القبائل العربية للدهون والطيب والعقاقير ، التي اشتهرت بها بلاد الشرقين الاقصى والاوسط ، ما تكلم به العالم ابو الريحان البيروني ، في حديثه عن مدينة دارين ، الواقعة على فرضة بين بلاد عمان وارض الشحر ، والتي كانت تمر فيها السفن منذ قديم الزمن حاملة العطر والطيب . ويقوم بنشرها العطارون في في اهل البوادي ، ومن هم باعة له كقريش ، المخصوصين بالحذق في خلطها وتركيبها والاتجار بها ، كحذق اهل اليمامة بخلط الادهان ، ولهذا اشتهر العطار عند العرب بالداري .

العقاقير والنباتات التي عرفها العرب في الجاهلية وصدر الاسلام :

أراد الطبيب والعالم المستشرق ادوارد براون أن يتعرف على العقاقير وعلى طرق المداواة التي شاع استعمالها عند العرب ، خلال العصر الجاهلي وصدر الاسلام ، فذكر في مؤلفه المشهور (الطب العربي) ما يلي :

« إذا أخذنا صحيح البخاري ، وهو اشهر كتب الحديث ، نجد في اول المجلد الرابع منه كتابين يجمعان الاحاديث المتعلقة بالطب والمرض . واذا امعنا النظر في محتويات هذا المجلد نجد ان جزءاً صغيراً منه فقط هو الذي يتناول موضوعات الطب والجراحة والمداواة ، كما نفهمها حالياً ، اما الجزء الاكبر فخاص بالزيارة وتشجيع المرضى والتسرية الروحية عنهم » . ثم يقول بعد ذلك « ان النبي اعلن ان لكل داء يصاب به الناس الدواء المناسب ، لكنه لم يفعل ذلك ، بل حدد الطرق الرئيسية للعلاج بثلاثة امور هي (تناول العسل والحجامة والكي) » ثم يعدّد بعد ذلك العقاقير التي استعملها العرب في العلاج فيذكر (لبن النوق ـ الحبة السوداء ـ الصبر ـ الأثمد ـ المنّ) .

ويستشهد المؤلف على تأخر علوم الطب عند العرب بأقوال وردت على لسان ابن خلدون الذي يقول في مقدمته : « وللبادية من اهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص ، متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه ، فكان عند العرب من هذا الطب شيء كثير » .

ويتابع ابن خلدون قوله ليبدي رأيه في الطب النبوي فيقول « والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل ، وليس هو من الوحي في شيء ، لأن الرسول انما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا لغيره من العاديات » .

ولعل الطريف في هذا العرض الذي قام به الدكتور براون ، والذي حاول فيه الحط من قيمة الطب العربي في أوائل عهده ، ان يستشهد باقوال المؤرخ الكبير ابن خلدون ، لكنه لم يلحظ ان كلام هذا العالم يعتبر لوحده خير جواب لنقض استنتاجاته الخاطئة .

لقد ورد في كلام ابن خلدون الفكرتان التاليتان :

آ) كان يوجد لدى العرب من الطب المتوارث عن مشايخ الحي وعجائزه الشيء الكثير . وهذا يعني أنه لا بد للباحث من ان يتعمق في التحري والتنقيب لكي يهتدي الي الوصفات الشعبية والعقاقير الشائعة لدى العرب ، لا أن يكتفي بالرجوع الي الاحاديث الشريفة ويعتبرها المرجع الاساسي للطب العربي .

ب) ان الرسول قد بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب . لقد ورد في السيرة النبوية أن الرسول كان ينعت الدواء ، أي يصفه لبعض الاشخاص ممن اشتكوا أمامه وعكة او مرضاً بسيطاً ، شأنه في ذلك شأن اي شخص منا حينما يعرض له مثل ذلك الآن ـ ولكن الرسول لم يدّع يوماً معرفة الطب ، بل كان ينصح المرضىٰ احياناً بمراجعة الطبيب . وقد عاد سعد بن ابي وقاص مرة حينما مرض وقال لأهله : « ادعوا له الحارث بن كلدة فانه رجل يتطبب » .

إن من مبادىء الدين الاسلامي الأساسية الايمان بالقضاء والقدر . لذلك انتشرت بين المسلمين فكرة الامتناع عن تناول الدواء ، فقال الرسول « يا عباد الله تداووا ، فان الله لم ينزل داء الا وانزل له دواء » .

لقد احدث ظهور الدين الاسلامي بين القبائل العربية تغيرات جمة ، الا ان العقاقير والادوية وطرق المداواة التي كانت شائعة بينهم بقيت كما هي ، حتى اوائل العصر الاموي

قلت فيما سبق ان العالم الانكليزي ادوار براون قد لجأ الي الاحاديث الشريفة لمعرفة العقاقير التي استعملها او عرفها العرب في الجاهلية وصدر الاسلام . وبما ان دراسته لهذا الأمر كانت سطحية ، لذلك وجدت من المفيد إعادة النظر في مصادر الدين الاسلامي من قرآن واحاديث وسيرة فوجدت ما يلي :

آ ـ ما ورد في القرآن من اسماء العقاقير او نباتات او معادن (العدد ثلاثون) :

اثل ـ بصل ـ بيض ـ بقل ـ حديد ـ خردل ـ ذهب ـ رحيق ـ رمان ـ زقوم ـ زنجبيل ـ زيتون ـ سدر ـ سلوى ـ طلح طين ـ عدس ـ عسل ـ عنب ـ عهن ـ ثوم ـ قثاء ـ قضب ـ كافور لؤلؤ ـ مخط ـ مسك ـ من ـ نخل ـ يقطين .

ب ـ ما ورد في الحديث والسيرة النبوية من اسماء عقاقير ونباتات ومواد معدنية (العدد يزيد عن الستين) .

اترج ـ اثل ـ اذخر ـ آس ـ بصل ـ بقلة مباركة ـ تمر تين ـ ثفاء ـ ثوم ـ جرجير ـ حبة سوداء ـ حلبة ـ حناء ـ فاغية حنطة ـ حنظل ـ دباء ـ خمر ـ خل ـ رمان ـ ريحان ـ زبيب ـ زعفران ـ زقوم ـ زنجبيل ـ زيت ـ زيتون ـ سدر ـ سفرجل ـ سنا سنوت ـ سويق ـ شبرم ـ صبر ـ صعتر ـ عود ـ قثاء ـ قرع ـ قسط كافور ـ كبر ـ كرفس ـ كتم ـ كراث ـ كمأة ـ لبان ـ لوز ـ مرزنجوش ـ هندباء ـ ورس ـ وسمة .

ومن العقاقير المعدنية ، اثمد ـ نورة ـ ملح ـ ومن العقاقير الحيوانية : مسك ـ عنبر ـ أظفار الطيب ـ عسل ـ لبن البقر ـ لبن الاتان ـ لحم الضبّ ـ الكبد والطحال .

جـ ـ بعض العقاقير والنباتات التي ورد ذكرها في الشعرين الجاهلي والاسلامي :

يقول البيروني « والعرب في مبادئهم بالبادية قوم أميون يقولون في التخليد على الحفظ ، والتلقف من الالسنة . ولهـذا صار الشعر

دواوينهم للمعارف وتذاكرهم للايام والانساب . ومن اجل هذا ربما رجعنا في التعرف والاستشهاد الى اشعارهم واستشففنا المطاب منها » .

ان من العسير احصاء اسماء النباتات والعقاقير التي ورد ذكرها في الشعر خلال هذه الحقبة من الزمن لذلك سأكتفي بذكر بعض النماذج من شعر المعلقات والتي ضمن فيها الشاعر اسم نبات أو عقار :

يقول امرؤ القيس في معلقته :

كأني غداة البين يوم تحملوا — لدى سمرات الحي ناقف حنظل
إذا التفتت نحوي تضوّع ريحها — نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
كأن الثريا علقت في مصامها — بأمراس كتّان الى صم جندل
كأن دماء الهاديات بنحره — عصارة حناء بشيب مرجل
كأن سباعاً فيه غرقى غدية — بأرجائه القصوى انابيش عنصل

ويقول عنترة في معلقتة :

ما راعني الا حمولة أهلها — وسط الديار تسف حب الخمخم
عجلت يداي له بطعنة مارق — ورشاش نافذة كلون العندم
عهدي به شد النهار كأنما — خضب البنان ورأسه بالعظلم

العرب يؤلفون في علم النبات :

انتشرت الجيوش العربية اثناء الفتح في جميع الاقطار المجاورة للجزيرة . واعتنق عدد كبير من الاعاجم الدين الاسلامي وتكلموا اللغة العربية لغة القرآن . وقد أدى ذلك الى تشوه وفساد نطق في مفردات هذه اللغة ، ولحن مستهجن في اعرابها ، كما أدى الى دخول عدد كبير من الكلمات الاعجمية فيها .

قام بعض الغيورين على اللغة العربية ، خلال القرن الثاني للهجرة ، بتأليف كتب ومعجمات ، كان القصد منها شرح معنى الالفاظ وطريقة نطقها واشتقاقها ، وبيان الاسماء والالفاظ الدخيلة عليها . وبما أن اسماء النباتات تؤلف قسماً من الفاظ اللغة لذلكفقد ورد ذكرها في بادىء الأمر في متن المعجمات اللغوية ثم افردت لها مؤلفات خاصة .

كان الخليل بن احمد الفراهيدي (المتوفى سنة ١٨٠ هـ) اول من وضع معجماً لغوياً دعاه العين ، ضمنه اسماء عدد من الاعشاب والاشجار . ويعتبر الاصمعي (المتوفى سنة ٢١٦ هـ) أول من افرد كتاباً خاصاً بأسماء واوصاف النباتات ذكر فيه ما ينوف على (٢٥٠) نباتاً .

توالى بعد ذلك ظهور عدد من المؤلفين في علم النبات ، خلال القرن الثالث للهجرة ، كان أبرزهم لا شك أبا عبد الله بن علي العشاب ، وهو المعروف باسم ابي حنيفة الدينوري . كان تلميذاً لابن السكيت ، مؤدب اولاد المتوكل . وقد اخذ عن استاذه محبة التأليف في علم النبات ، فوضع كتاباً جمع فيه كل ما ورد في لغة العرب من اسماء النبات ، واصبح كتابه المرجع والحجة لجميع من الف بعده في هذا العلم .

ومن المؤسف ان النسخة الكاملة لكتاب ابي حنيفة (المتوفى سنة ٢٨٢ هـ) لما تزل مفقودة ، ولم يعثر الا على الجزء الخامس منها . ولكن نظراً لاقتباس اكثر المراجع اللغوية والعلمية منها ، فان القسم الاعظم من النباتات التي ورد ذكرها في كتاب ابي حنيفة معروفة اسماؤها واوصافها كما ذكرها ابو حنيفة .

اما اهم المراجع اللغوية التي استفادت من كتاب ابي حنيفة فهي :

آ ـ المحكم والمخصّص لابن سيده ب ـ معجم الصحاح للجوهري
جـ ـ لسان العرب لابن منظور .

ويمكننا ان نذكر من المراجع العلمية الهامة التي استقت من كتاب ابي حنيفة :

آ ـ الصيدنة في الطب للبيروني ب ـ الكتاب الجامع في الطب للغافقي
حـ ـ الكتاب الجامع في الادوية المفرده لابن البيطار .

لم يحرص الاصمعي ولا الدينوري ، وغيرهما ممن الف في علم النبات، على ذكر التأثير الدوائي والاستعمال للاعشاب والاشجار التي قاموا بوصفها . لكنهم حرصوا على ذكر اسمائها المختلفه ، كما استشهدوا بذكر الاشعار المتضمنة لأسمائها . وتعتبر كتب النبات التي خلفها العرب ذات فائدة كبيرة بالنسبة لعلم العقاقير لأنها تضم وصفاً جيداً لبعض النباتات النامية في البقاع التي انتشر فيها العرب ، كما تبين مكان انتشارها أحياناً .

تصنيف النباتات في المؤلفات العربية :

لجأ العرب الى تصنيف النباتات ، عند وصفهم لها ، تصنيفاً عملياً كما يلي :

١ ـ صنفوا النباتات بحسب قامتها الى اشجار وشجيرات وجنبات واعشاب .

٢ ـ صنفوها بحسب وجود الشوك فيها او عدمه الى :

سرح : وهو كل شجر لا شوك فيه ـ عضاة : وهي الاشجار الكبيرة الشائكة ـ العُض : هي الشجيرات التي تحمل الاشواك .

٣ ـ صنفوا النباتات بحسب لونها الى :

مقيظة : وهي النباتات التي تبقى خضراء محتفظة بورقها اثناء الصيف .
دهامين : وهي ما كان في لونها دهمة ، اي شاب خضرتها سواد .
كحيليات : نسبة للكحيلاء وهي نبات لسان الثور ، لها وردة حسنة ومنظر خشن ، يجرسها النحل .

٤ ـ وصنفوها بحسب طعمها الى :

حَمُض : اي لها طعم حامض مالح ـ أمرار : وهي ما يغلب على طعمها المرارة ـ الخلة : وهي ما كانت فيها حلاوة من المرعى .

وتقول العرب : الخلة خبز الابل والحمض لحمها . واحرار البقل هي النباتات الغضة التي يمكن اكلها من دون طبخ .

٥ ـ اطلقوا اسم الرياحين على النباتات الطيبة الرائحة ، والاغلاث على كل نبات لا يصلح للرعي ولكنه غير سام .

٦ ـ قسموا النباتات بحسب فائدتها الى :

نبات القسي ـ ما يتخذ منه السواك ـ ما يدبغ به ـ ما يقدح به الزناد . .

واذا رجعنا الى اوصاف وأسماء النباتات ، التي تنمو بصورة خاصة في الجزيرة العربية ، تمكنا من ايجاد بعض الصلة التي تربط بين التصنيف الذي قام به العرب وبين التصنيف الحديث . فالعضاة ، اي الاشجار الكبيرة الشائكة ، هي غالباً انواع من اشجار السنط ، الكثيرة الانتشار في اطراف الجزيرة . والدهامين ، اي النباتات التي يشوب خضرتها سواد ، تنتمي على الاغلب للفصيلة الغرنوقية Geraniacées . والكحيليات هي لا شك نباتات فصيلة لسان الثور Borraginacées . اما النباتات المـرة او الأمرار فهي تنتمي غالباً الى الفصيلة المركبة . واحرار البقول ، ذات

الطعم المقبول والتي يأكلها البشر ويرغب فيها وتفتش عنها الابل والشاء ، فهي من اعشاب الفصيلة الفراشية وهكذا . . .

العرب يتعرفون على نباتات وعقاقير الآراميين والانباط والروم في :

من المعروف ان سكان سورية والعراق ، قبيل الفتح الاسلامي ، كانوا يتألفون من بقايا الآرامين والانباط والروم . وقد ورد في كتاب التوراة ان سكان المنطقة الممتدة من جنوب سورية حتى بلاد ما بين النهرين هم الآراميون ، وذلك نسبة لأرام الابن الخامس لسام ابن نوح . وقد اشتهرت لغتهم الآرامية وسادت جميع اللغات المحلية ، بما فيها العبرية ، بدليل انها كانت اللغة التي تكلم بها السيد المسيح عند نشر دعوته .

ولكن بعد انتشار المسيحية اندثر اسم الآرامين واللغة الآرامية ، وحل محلهما اسم السريان واللغة السريانية . ويقول الدكتور جواد علي « ان اسم السريان لا يرتقي على كل حال لاكثر من خمسمائة او اربعمائة عام قبل الميلاد . اما اطلاق اسم السريان على الارامين الشرقين ، أي أرامبي العراق ، فقد حدث بعد الميلاد ، اطلق على متنصرة الارامين ليميزوا عن بني جنسهم الوثنيين . وصارت كلمة « إرمي » تعني الصابئ او الوثني ، اما كلمة « سرياني » فتعني النصراني حتى اليوم » .

أما الأنباط فهم بالأصل قبائل عربية نزحت الى سورية وكان منهم أنباط البتراء وأنباط حران . وقد ورد في التوراة وكذلك في كتب التاريخ القديم أن نبايوت (بالعبرية) أو نابت (بالعربية) هو الابن الاكبر لاسماعيل ، واسماعيل كما هو معروف جد العرب العدنانيين .

أما الوطن الاصلي الذي جاء منه النبط فغير معروف على

وجه التحقيق ، وكذلك الزمان الذي هاجروا فيه منه . الا أنه من الثابت انهم كانوا بدواً في الاصل من سكان البادية الواقعة في شرق الاردن ، ثم رحلوا نحو الغرب ونزلوا أرض أدوم (جنوب البحر الميت) حوالي سنة ٥٨٧ ق . م .

ويقول الدكتور جواد علي « ان الرأي السائد بين علماء التاريخ أن الانباط عرب ، وإن تبرأ العرب منهم وعابوا عليهم لهجتهم ، حتى جعلوا لغتهم من لغة العجم . والسبب في ذلك هو أنهم كانوا قد تثقفوا بثقافة بني إرم (الآراميين) وكتبوا بكتابتهم وتأثروا بلغتهم . ولأنهم فضلا عن ذلك خالفوا سواد العرب باشتغالهم بالزراعة واحترافهم للحرف والصناعات اليدوية ، وهي حرف يزدريها العربي الصميم ويعير من يقوم بها ويحترفها » .

ويستدل العلماء على عروبة الانباط باسباب عديدة منها : ١ً ـ ان اسماءهم عربية خالصة . ٢ً ـ شاركوا العرب في عبادة الاصنام المعروفه عند عرب الحجاز ٣ً ـ تضم لغتهم عدداً كبيراً من الالفاظ العربية ٤ً ـ اطلق اليونان والرومان ، ومن قبلهم اليهود ، على الارض التى احتلها الانباط جنوب سورية ، اسم العربية الحجرية .

شملت مملكة الانباط في اوج أيامها منطقة واسعة من الارض ضمت مدينة دمشق وسهل البقاع والاقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران وأدوم ومدن سواحل البحر الاحمر .

اما المؤرخ الروماني (يوسفوس فلافيوس) فقد اطلق اسم النبطية على منطقة اعظم سعة ، تمتد من نهر الفرات شمالا الى البحر الاحمر جنوباً ، وقد ازدهرت حضارة الانباط وبلغت أوجها في حـران ، خلال القرن الثاني للميلاد ، وانطفأت تماماً في اواخر القرن الخامس على يد الرومان في جنوب سورية .

تأثير الانباط في علم النبات والعقاقير عند العرب :

لقد القى الاستاذ الدكتور توفيق فهد ، في مثل هذا الوقت من العام الماضي ، محاضرة قيمة باللغة الفرنسية ، عن كتاب الفلاحة النبطية ، ذكر فيه ان اللغة الاصلية التي كتبت بها النسخة الأولى من هذا المؤلف كانت باللغة السريانية القديمة (الآرامية) . كما بين ان النسخة التي قام بتحقيقها المدعو (قطامى الكوكاني) تعود بتاريخها الى الفترة الواقعة بين القرنين الثالث والخامس للميلاد . ويؤكد العالم الفرنسي رينان ان كتاب الفلاحة النبطية يعود الى مستخلفات تقنية آشورية ، ظهرت منذ عهد الاسكندر المكدوني ، وامتدت حتى حوالي القرن الخامس للميلاد .

حاول الدكتور فهد ان يعرف مدى ارتباط الفلاحة النبطية ، التي قام بتصنيفها قطامى الكوكاني ، وبين الفلاحة اليونانية Geoponica التي ألفها Cassius Bassus ، والتي جمعت حوالي القرن السادس للميلاد ، علماً بأن كتاب الفلاحة النبطية قد ترجم الى اللغة العربية من قبل ابن وحشية في اوائل القرن العاشر للميلاد ، بينما قام بترجمة كتاب الفلاحة اليونانية قسطا بن لوقا البعلبكي في اواخر القرن التاسع للميلاد .

لقد بدت الفلاحة اليونانية في هذه المقارنة كمؤلف موجز امام كتاب الفلاحة النبطية الذي بدا كموسوعة تتألف من (٦٥٠) صفحة ، موزعة على عدة أبواب تضم موضوعات شتى منها : النباتات المزهرة العطرية ــ نباتات الزينة ــ نباتات زيتية ــ فضلاً عن وجود أبواب في الفلاحة النبطية غير موجودة في الفلاحة اليونانية ، وذلك كالاشجار الحراجية والاعشاب البرية وغير ذلك .

ومع وجود بعض المشابهة بين كتاب الفلاحة النبطية وبين مؤلفات بعض العلماء اليونانين أو الرومان فان الدكتور فهد يقول « يمكننا أن نعتبر كتاب الفلاحة النبطية مؤلفاً أصيلاً ، لم يستفد من مؤلفات اليونان او الرومان ، قبل ديسقوريد أو بعده » لا بل يمكننا أن نؤكد ان بعض ما جاء في كتاب الحشائش لديسقوريد قد استقى بالاصل من معلومات وردت في كتاب الفلاحة النبطية القديم .

ان كتاب الفلاحة النبطية يمثل المدى الذي وصل اليه تقدم علم النبات العام لدى الشعبين الآرامي والنبطي قبل ظهور الاسلام ، كما يبين ان قسماً كبيراً من نباتات سورية والعراق قد درست من من قبل علماء هذين الشعبين ، واطلق عليها اسماء آرامية ظلت معروفة بها حتى الآن .

لقد استفاد من كتاب الفلاحة النبطية ، بعد ان ترجم الى اللغة العربية ، عدة مؤلفين أمثال : علي بن رابن الطبري ، ومحمد ابن زكريا الرازي ، وأبي الريحان البيروني وابن البيطار وداود الانطاكي وغيرهم . وقد قام ابن وحشية بانتقاء اسماء النباتات الطبية الموجودة في هذا المؤلف وجعلها على شكل كتاب اطلق عليه اسم « الفوائد المنتخبه من الادوية الطبية المستخرجة من الفلاحة النبطية » وهو مؤلف استقى منه بعض علماء الاندلس ، ممن الفوا في علم العقاقير ، كالشريف الادريسي وغيره - ونظراً لأهمية كتاب الفلاحة النبطية في تقدم علم العقاقير عند العرب فقد قمت باحصاء النباتات التي ورد ذكرها فيه فكان عددها كما يلي :

	العدد		العدد
نباتات ذات ازهار عطرية	١١	نباتات زيتية وذات بذور	١٠
اشجار وشجيرات تزينية	٢٢	بقـول يصنع منها الخبز	٥٦
اشجار مثمرة	٤١	حبوب وقطـاني وعلف	٣٠
اشجار غابات	٣٦	اعشاب طبية وبقول غذائية	٧١
		المجموع	٢٧٧

تأثير الطب اليوناني في علم العقاقير عند العرب :

يقول العلامة ابـو الريحان البيروني ، في معرض كلامه عـن الطب اليوناني ، ما يلي :

« وكل واحدة من الامم موصوفة بالتقدم في علم ما او عمل . واليونانيون منهم ، قبل النصرانية ، موسومون بفضل العناية في المباحث وترقية الاشياء الى اشرف مراتبها وتقريبها من كمالها » .

ويقول في موضع آخر « إن معين كل واحد من الاستاذ المفيد والتلميذ المستفيد هو الكتب ، منها يستقون واليها يرجعون ويفزعون . وكانت هذه الكتب باليونانية والسريانية ، ولا يهتدى لهما سوى النصارى » .

من المعلوم ان جالينوس عاش في القرن الثاني للميلاد ، وانه حينما وضع كتابه في الادوية المفردة جعله في احدى عشرة مقالة ، تكلم فيها عن طبائع هذه الادوية وقواها . امـا كتابه في تركيب الادوية فقد جعله في سبع عشرة مقالة ، اجمل في سبع منها اجناس الادوية وصنفها بحسب تأثيرها الدوائي ، اما العشر الباقية فجعل عنوانها (في تركيب الادوية بحسب المواضع) اي بحسب موضع المرض . ويعرف هذان الكتابان باسم الميامر والقاطاجنس عند السريان والعرب .

لقد استعان جالينوس ، حينما وضع كتبه في الادوية البسيطة والمركبة ، بكتاب الحشائش الذي وضعه طبيب آخر يوناني ، سبقه بقرن من الزمن ، هو ديسقوريد العين زربي . وقد كان جالينوس شديد الاعجاب بهذا الكتاب ، حتّى انه قال « انني تصفحت اربعة عشر مصحفاً في الادوية المفردة ، لاقوام شتّى ، فما رأيت فيها اتم من كتاب ديسقوريد من اهل عين زربة » .

ويمكننا ان نقول ان ما الفه جالينوس في علم الادوية والعقاقير يعتبر متمماً لما قام به ديسقوريد ، ذلك لآن جالينوس اهتّم بمعرفة التأثير الدوائي والشكل الصيدلاني للعقار ، بينما اهتّم ديسقوريد بأوصافه واسمائه ومكان انتشاره وجنيه وحفظه . ونظراً لتعذر وجود كثير من العقاقير في بعض الاحيان فقد ابتدع جالينوس ما يسمى بابدال الادوية ، اي التفتيش عما يمكن أن يستعاض بها عند فقدانها ، بالاستناد الى معرفة نوعية تأثيرها وقواها .

من المعلوم ان العلماء المتأخرين من مدرسة الاسكندرية قد قاموا باختصار كتب جالينوس والفوا ما يعرف الآن باسم جوامع الاسكندرانين ، وذلك بين القرنين الرابع والسابع للميلاد . ثم قام بعد ذلك بعض الاطباء السوريين ، امثال سرجيوس الرأسعيني وأهرن القس ، بترجمة هذه الجوامع الى اللغة السريانية ، وبذلك يمكننا ان نؤكد بأن اطباء العالم العربي قد اطلعوا على مؤلفات جالينوس في علم الادوية قبل ان يتعرفوا على كتاب ديسقوريد .

ترجمة كتاب الحشائش لديسقوريد الى اللغة العربية :

يقول الطبيب الاندلسي سليمان بن حسان ، المعروف بابن جلجل ، في كتابه (تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريد) ما يلي :

« ان هذا الكتاب ترجم الى اللغة العربية لاول مرة بمدينة السلام في الدولة العباسية ، ايام جعفر المتوكل (٨٤٧ ـ ٨٦١ م) . وكان المترجم له اصطفن بن باسيل ، فما علم اصطفن من تلك الاسماء اليونانية في وقته له اسماً في اللسان العربي فسره بالعربية ، وما لم يعلم له اسماً تركه على اسمه اليوناني ، اتكالا منه على ان يبعث الله من بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي » . وقد قام حنين بن اسحق ، المعاصر لاصطفن ، بتصحيح هذه الترجمة وأجازها .

نال ديسقوريد وكتابه حظوة كبيرة في اعين اطباء العالمين الاسلامي والعربي . ويكفي ان نذكر ما قاله ابو الريحان البيروني في كتابه الصيدنة ، ليكون خير شاهد على ذلك ، قال :

« ولو كان ديسقوريد في نواحينا وصرف جهده على تعرف ما في جبالنا وبوادينا لكانت تصير حشائشها كلها أدوية ، ويجتنى بحسب تجاربه شافية . ولكن ناحية المغرب فازت به وأمثاله وأفادتنا بمشكور مساعيهم علماً وعملا » .

ولكي نستطيع ان نفهم الدور الذي لعبه كتاب الحشائش لديسقوريد ، لا بد لنا من ان نصف هذا الكتاب ونبين اقسامه . وقد قام بهذا العمل ابن ابي أصيبعة في كتابه عيون الانباء في طبقات الاطباء ، فقال : « وكتاب ديسقوريد هذا خمس مقالات . ويوجد متصلا به ايضاً مقالتان في سموم الحيوان تنسب اليه .

المقالة الأولى : وتشمل على ذكر أدوية عطرية الرائحة وافاوية وادهان وصموغ وأشجار كبار .

المقالة الثانية : وتشتمل على ذكر الحيوان ورطوباته ، والحبوب والقطاني والبقول المأكولة والبقول الحريفة .

المقالة الثالثة : تشتمل على ذكر اصول (جذور) النبات وعلى نباتات شوكية وبزور وصموغ وحشائش بادزهرية .

المقالة الرابعة : تشتمل على أدوية أكثرها حشائش باردة وحشائش حارة مسهلة ومقيئة ونافعة من السموم .

المقالة االخامسة : تشتمل على ذكر الكرم وعلى انواع الأشربة والادوية المعدنية .

لم يذكر ابن ابي أصيبعة شيئاً هنا عن مقدمة هذا الكتاب ، والتي هي بالنسبة لعلم العقاقير على غاية من الاهمية . لقد شرح ديسقوريد في هذه المقدمة الاسباب التي دعته لتأليف كتاب الحشائش ، وبين المصادر التي استقى منها . ثم تكلم عن قوى الادوية وخواصها وافعالها وتصنيفها بحسب طبائعها . وانتقل بعد ذلك الى الكلام عن الوقت المناسب لجني العقاقير والافاوية ، بحسب الاحوال الجوية من مطر وهواء وبرد وشمس . وأخيراً تكلم عن تأثير درجة النمو والنضج في التأثير الدوائي لاعضاء النبات. وختم مقدمته بالكلام عن عمر العقاقير وطرق تحضيرها واستحصالها وحفظها .

لقد أورد الاب الاستاذ شحادة قنواتي في كتابه (تاريخ الصيدلة والعقاقير) اسماء الادوية المفردة والمركبة الواردة في المقالات الخمس لديسقوريد ، ولم يذكر المصدر الذي استند اليه في تعيين هذه العقاقير وتحقيق اسمائها العلمية . وقد احصيت ما جاء في هذه المقالات فوجدت أن المقالة الاولى تضم (١٤٧) عقاراً والثانية (١٨٦) عقاراً والثالثة (١٥١) عقاراً والرابعة (١٣١) عقاراً والخامسة (١٣٥) عقاراً ، فيكون المجموع (٧٥٠) عقاراً .

تأثير كتاب الحشائش في المشرق العربي :

ظل اطباء المناطق الشرقية من العالمين العربي والاسلامي متأثرين بالكنانيش التي خلفها بعض الاطباء الاوائل من نساطرة السريان ويعاقبتهم ، أمثال سرجيوس الرأسعيني ، وأهرن القس ، وشمعون الراهب ، ويحيى النحوي وغيرهم .

وفي صدر الدولة العباسية ظهرت فئة من الاطباء السريان الجدد كان لهم الفضل في نشر مؤلفات اكثر تطوراً واغزر مادة ، وذلك كما فعل المسيح الدمشقي ، ويوحنا بن ماسويه ، ويوحنا بن سرابيون وغيرهم . ولما جاء حنين بن اسحق وتلاميذه ومدرسته ، وقاموا بترجمة امهات كتب الطب اليوناني ، لابقراط وجالينوس وغيرهما ، اصبحت هذه الكتب المترجمة المرجع الاساسي لكل ما يتعلق بالطب اليوناني ، واصبحت مفضلة على كل ما عداها من الكنانيش .

مما سبق يتبين لنا ان الاطباء في العصر الاموي وصدر العصر العباسي اطلعوا على كثير مما جاء في كتاب الحشائش من خلال مؤلفات جالينوس . ولما قام اصطفن بن باسيل بترجمة كتاب الحشائش نفسه تعرف الاطباء على اسماء كثير من العقاقير اليونانية وعرفوا تأثيرها الدوائي ولكن لم يتعرفوا على اشخاصها ـ حتى ان البيروني ، وهو من علماء القرن العاشر للميلاد ، بالرغم من مدحه لديسقوريد واطلاعه على نسخة مصورة من كتابه ، لم يضمن مؤلفه المسمى (الصيدنة في الطب) الا جزءاً يسيراً مما جاء في كتاب الحشائش لديسقوريد ، وكذلك فعل الرازي من قبله وابن سينا من بعده .

كان لمقدمة كتاب ديسقوريد اثر كبير في تعريف الصيادلة بطريقة جمع وجني وحفظ العقاقير ومعرفة أوصافها واعمارها ـ

أما تأثير الكتاب نفسه في زيادة عدد العقاقير المعروفة في ذلك الوقت فقد كانضئيلا ، ولا سيما اذا ما قورن بمؤلفات الاطباء الهنود ، الذين جاؤوا بغداد في النصف الاخير من القرن الثامن ، امثال منكه وصنجهل وشاناق وابن بهلة وابن دهن ونوقشتل وغيرهم . لقد ادخل هؤلاء الاطباء في مفردات الادوية العربية اسماء جديدة لعقاقير من أصل هندي أو صيني او فارسي . وبما ان هذه العقاقير أصبحت متوافرة في الاسواق لذلك سرعان ما دخلت في عداد المادة الطبية التي ذكرها المؤلفون في ذلك الوقت ، ولا سيما الطبري والرازي والمجوسي وابن سينا والكندي والبيروني ، من علماء القرن التاسع حتى الحادي عشر للميلاد . وقد ذاعت على أثرها شهرة أهل الهند كصيادلة مهرة ، حتى اصبحت العادة لدى اطباء وصيادلة بغداد والقيروان ان يكون لديهم غلام سندي يقوم بتحضير الأدوية .

ويقول علي بن العباس الاهوازي ، والمعروف بالمجوسي ، في مقدمة كتابه كامل الصناعة ما يلي :

اما الادوية (العقاقير) فاني ذكرت منها ما يستعمله اطباء الاقليم الرابع والعراق وفارس ، وما قد صحت تجربتهم له وكثرت منفعته في كل واحد من الامراض ، اذ كان كثير من الادوية التي التي كان يستعملها القدماء من اليونانيين قد رفضها اهل العراق وفارس » .

بالحقيقة لم يرفض اطباء العراق وفارس عقاقير قدماء اليونانيين لأنه لم تثبت لهم فائدتها . لقد سمع هؤلاء الاطباء بهذه الادوية او قرؤوا اسماءها ولكنهم لم يروا اشخاصها ولم يقوموا بتجربتها على مرضاهم ، ولا سيما العقاقير التي ورد ذكرها في المقالتين الثالثة والرابعة لديسقوريد ، لأنها نباتات خاصة ببلاد اليونان تقريباً . وكان من نتيجة ذلك اننا لو قارنا بين الادوية المفردة ،اليونانية االاصل ، والتي ورد ذكرها في كتاب

العشر مقالات في العين لحنين بن اسحق ، وبين الادوية المفردة التي جاء ذكرها في كتب الرازي والمجوسي ، لرأينا في المؤلفات الآخيرة اسماء لنباتات عربية الأصل ، عربية او سريانية الاسم ، يضاف اليها عقاقير فارسية وهندية ، الاسم والمنشأ ، ولا يزيد عدد الجميع على (٤٠٠ ـ ٥٠٠) عقار .

تأثير كتاب الحشائش في بلاد المغرب والاندلس :

لقد استفاد من كتاب الحشائش ،بعد نقله الى اللغة العربية ،جميع من الف في الطب العربي ممن جاء بعد اصطفن وحنين . ولم يقتصر تأثير هذا الكتاب على شرق البلاد الاسلامية بل تعداه الى شمال افريقيا والاندلس . ويقول ابن جلجل « ورد هذا الكتاب الى الاندلس وهو على ترجمة اصطفن ، منه ما لم يعرف له اسماً ومنه ما عرف له اسماً ، فانتفع الناس بالمعروف منه ، بالمشرق والاندلس ، الى ايام عبد الرحمن ابن محمد الناصر ، وهو يومئذ صاحب الاندلس . فكاتبه ارمانيوس ملك القسطنطينية سنة ٣٣٧ هـ وهاداه بهدايا لها قدر عظيم ، فكان في جملة هديته كتاب ديسقوريد ، مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب . وكان الكتاب مكتوباً بالاغريقي الذي هو اليوناني . وكتب ارمانيوس في كتابه الى الناصر « ان كتاب ديسقوريد لا تجنى فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ، ويعرف اشخاص تلك الادوية ».

قال ابن جلجل « ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الاندلس من يقرأ اللسان الاغريقي ، فبقي كتاب ديسقوريد في خزانة عبد الرحمن الناصر ولم يترجم الى اللسان العربي . ولما جاوب الناصر ارمانيوس الملك سأله أن يبعث اليه برجل يتكلم الاغريقي واللاطيني ، ليعلم له عبيداً يكونون مترجمين . فبعث أرمانيوس الى الناصر براهب كان يسمى نقولا ، فوصل الى قرطبة سنة ٣٤٠ هـ . وكان يومئذ

بقرطبة من الاطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من اسماء عقاقير كتاب ديسقوريد بالعربية . فصح ببحث هؤلاء النفر ، الباحثين عن اسماء عقاقير كتاب ديسقوريد ، تصحيح الوقوف على اشخاصها ، بمدينة قرطبة خاصة بناحية الاندلس ، وتصحيح النطق باسمائها بلا تصحيف الا القليل منها » .

ويفهم من كلام ابن جلجل السابق ان كتاب الحشائش لم يترجم في الاندلس ، وانما بقي على ترجمة اصطفن . ولكن اطباء الاندلس استعانوا بنقولا الراهب لفهم ، معاني الفاظ العقاقير والنباتات ولمعرفة اشخاصها .

لم تكن النسخة المصورة من كتاب الحشائش لديسقوريد ، والتي جاءت الى الاندلس ايام عبد الرحمن الناصر ، هي الوحيدة من نوعها في العالم الاسلامي . لقد ذكر البيروني في كتابه الصيدنة في الطب ما يلي :

« ووجدت من كل واحد من كتاب الحشائش المفيد بتصاويره ، وكناش اورباسيوس ، مكتوباً عند الادوية اساميها بالخط اليوناني ، فنقلت منها (مرفوقاً بها) ، ولو ظفرت بباقي الكتابين كذلك لتم الأمر » .

ويذكر الدكتور صلاح الدين المنجد ، في رسالة طبعها مجمع اللغة العربية عام ١٩٦٥ م أنه عثر على عدة مخطوطات لترجمة اصطفن بن باسيل قديمة جداً وفيها صور ملونة لبعض النباتات ، محفوظة في بعض مكتبات ايران . كما عثر على ترجمة ثانية لكتاب الحشائش بقلم مهران بن منصور . وهي نسخة نادرة مصورة ، يعود تاريخها الى القرن السابع للهجرة (١١٥٢ ـ ١١٨٠ م) ، لم تدرس او تحقق حتى الآن .

المدرسة الاندلسية في علم العقاقير :

لم تحدث النسخ المترجمة او المصورة لكتاب الحشائش في شرق البلاد العربية ما احدثته النسخة المصورة التي جاءت الى الاندلس ايام عبد الرحمن الناصر .

لقد ظهر في قرطبة ، على أثر مجئ نقولا الراهب الى الأندلس (٩٥٩ — ٩٦٣ م) مجموعة من الاطباء العرب و المستعربين ، اهتموا بصورة خاصة بكتاب ديسقوريد المصور والمدون باللغة الاغريقية . وكان بعضهم يفهم ويتكلم اليونانية كأبي عبد الله الصقلي ، كما كان بعضهم يفهم ويتكلم اللغة اللاتينية كالطبيب الوزير حداي ابن شبروط . وقد استعانوا بنقولا الراهب لفهم اسماء الادوية والنباتات الواردة في الكتاب ، كما سعوا الى معرفة اشخاصها وتصحيح النطق باسمائها بلا تحريف . ويقول ابن جلجل : «وكان هؤلاء النفر كلهم في زمن واحد مع نقولا الراهب ، ادركتهم وادركته في ايام المستنصر الحكم »

ثم توالى بعد ذلك ظهور عدة اطباء وصيادلة ، خلال الفترة الممتدة بين القرنين العاشر والثالث عشر للميلاد ، ممن اهتموا بكتاب ديسقوريد بصورة خاصة ، وبعلم العقاقير بصورة عامة .

لم يكتف هؤلاء الباحثون بدراسة كتاب الحشائش وشرحه ، بل حاولوا المقارنة بين النباتات التي وصفها ديسقوريد وبين النباتات النامية في الاندلس وشمال إفريقية . كما حاولوا ان يجدوا لكل نبات طبي ، ورد في كتاب الحشائش ، مختلف اسمائه باللغات العربية والبربرية واللاتينية بالاضافة الى اسمائه باللغات اليونانية والسريانية والفارسية ، المذكورة في مؤلفات الباحثين في بلاد المشرق الاسلامي .

وسنذكر فيما يلي نبذة مختصرة عن اشهر هؤلاء الباحثين ، ممن أسهم في تقدم علم العقاقير في بلاد الاندلس والمغرب العربي .

١ ـ **ابن جلجل :** هو ابو داود سليمان بن حسان . قال عنه ابن ابي اصيبعة انه كان طبيباً خبيراً بالمعالجات في أيام هشام المؤيد بالله . اشهر مؤلفاته كتاب (تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريد) الفه عام ٣٧٢ ﻫ بمدينة قرطبة ـ وله ايضاً مقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريد في كتابه .

ويقول ابن جلجل « ان ديسقوريد اغفل ذلك ولم يذكره اما لانه لم يره ويشاهده عياناً ، واما لأن ذلك غير مستعمل في دهره ومن ابناء جنسه » .

٢ ـ **ابن سمجون :** هو ابو بكر حامد بن سمجون . قال عنه ابن ابي أصيبعة انه كان طبيباً فاضلا ، امتاز بمعرفة قوى الادوية المفردة وافعالها . له كتاب مشهور فيها ، الفه ايام المنصور الحاجب محمد بن ابي عامر (المتوفى سنة ٣٩٢ ﻫ) .

٣ ـ **ابن وافد :** هو الوزير ابو المطرف عبد الرحمن البلخي ، احد اشراف اهل الاندلس . ولد عام ٣٨٧ ﻫ ، وكان على قيد الحياة عام ٤٦٠ ﻫ . قال عنه القاضي صاعد الاندلسي إنه تمهر بعلم الادوية المفردة ، حتى ضبط منها ما لم يضبطه احد في عصره . والف فيها كتاباً جليلا لا نظير له . جمع فيه ما تضمن كتاب ديسقوريد وكتاب جالينوس ، المؤلفين في الادوية المفردة ، ورتبه أحسن ترتيب . . .) .

٤ ـ **الغافقي :** هو ابو جعفر احمد بن محمد الغافقي (المتوفى عام ٥٦٠ ﻫ ـ ١١٦٥ م) . قال عنه ابن ابي اصيبعة : « كان اعرف زمانه بقوى الادوية المفردة ومنافعها وخواصها واعيانها ومعرفة اسمائها .

له كتاب في الادوية المفردة لا نظير له في الجودة ولا شبيه له في معناه ، ذكر فيه كما يقول ابن ابي أصيبعة جميع ما ذكره ديسقوريد وجالينوس بأوجز لفظ واتم معنى ، ثم اضاف بعد ذلك ما تجدد للمتأخرين من الكلام في الادوية المفردة وما الم به واحد واحد منهم » .

ولقد صنف العالم السرياني المشهور بابن العبري كتاباً دعاه (منتخب كتاب جامع المفردات) ، وهو كتاب الغافقي نفسه ، وعن هذا المنتخب نقل ابن البيطار ، كما يقول الطبيب المستشرق ماكس ماير هوف .

ويمتاز الغافقي عن غيره باهتمامه الخاص بأوصاف النباتات ودقته في هذا الوصف ، مما يجعله الاستاذ العربي الأول لعلم العقاقير في الاندلس وعنه أخذ بقية المؤلفين .

٥ ـ **الشريف الادريسي :** وهو الامير العالم محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني . ولد في مدينة سوتا بمراكش عام ٤٩٣ هـ ـ ١١٠٠ م . رحل لمتابعة الدراسة في قرطبة ، لكنه اضطر لمغادرة الاندلس بنتيجة ضغط سياسي . قام بسياحة كبيرة بدأت من لشبونة الى قاديش فمراكش والسودان ، مما اذاع شهرته كخبير بعلم الجغرافية والرحلات البحرية . استدعاه روجر الثاني ملك صقليا ، ليستفيد من خبرته ، فحلّ في مدينة بالرمو ، حيث قام بتأليف كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، كما قام بعمل مصور مجسّم للعالم والفلك ، وتوفي في عاصمة صقليا عام ٥٦٠ هـ ـ ١١٦٠ م .

اشتهر الشريف الادريسي كعالم جغرافي ، اكثر مما اشتهر كطبيب مهتم بعلم العقاقير . ولكن مع ذلك أوردنا اسمه في جملة من سعى لتقدم هذا العلم ، لأنه قام بتأليف كتاب في الادوية المفردة والنباتات ، دعاه (الجامع لاشتات النبات) ، وصف فيه بعض النباتات والعقاقير الجديدة التي شاهدها في الاندلس وشمال افريقية والسودان . ولكن

وصفه لها كان أقل دقة مما قام به الغافقي من قبله ، لأنه كما يقول ما يرهوف كان طبيباً أكثر منه نباتياً . وقد استقى الادريسي بعض المعلومات المتعلقة بنباتات سورية والعراق من كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية .

٥ ـ **ابن ميمون** : (١١٣٥ ـ ١٢٠٥ م) هو ابو عمران موسى بن ميمون ، الموسوي القرطبي . رحل الى مصر في عهد السلطان صلاح الدين الايوبي حيث عمل في التجارة اولا ثم احترف الطب . قام بتأليف عدة كتب ورسائل شرح ولخص فيها اراء جالينوس . من اشهر مؤلفاته الطبية (شرح اسماء العقار) الذي قام بتحقيقه ونشره الطبيب الالماني ماكس مايرهوف عام ١٩٣٩ م في القاهرة .

لقد حاول ابن ميمون ان يقصر الكلام ، في مؤلفه هـذا ، على العقاقير المتوافرة في العالم العربي ، والمستعملة فعلا في زمنه بفن المداواة . لهذا السبب لم يتجاوز عدد العقاقير والنباتات التي ورد ذكرها في كتابه (٤٠٥) عقار ، اكثرها معروف وموصوف من قبل من سبقه من المؤلفين . وقد قلد ابن ميمون الشريف الادريسي والغافقي بمحاولة ايجاد اسماء العقاقير بمختلف اللغات القديمة والحديثة في ذلك الوقت .

٦ ـ **ابن البيطار** (١١٩٧ ـ ١٢٤٨ م) وهو ضياء الدين ابو محمد عبد الله بن احمد البيطار . ولد في مدينة ملقا بالاندلس ثم نزح الى دمشق حوالي سنة ١٢٢٠ م . جاب شمال افريقية وسورية وآسية الصغرى واليونان ، ثم عاد الى مصر حيث عينه السلطان الكامل رئيساً للعشابين . ولما مات السلطان المذكور رحل ابن البيطار الى سورية واقام في مدينة دمشق حيث توفي عام ٦٤٦ هـ ـ ١٢٤٩ م .

قام ابن البيطار بوضع مجموعة من المؤلفات اهمها واشهرها (الكتاب الجامع في الادوية المفردة) . وهو يعتبر اوسع مؤلف في علم العقاقير ظهر في اللغة العربية حتى الآن . وصف فيه ما ينوف عن (١٤٠٠) عقار ونبات . ويمكننا ان نعتبر مؤلفه هذا حصيلة ما عرف اليونان والرومان والهنود والفرس والعرب من علم العقاقير حتى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد . ونظراً لأهمية هذا الكتاب فانني سأحاول فيما يلي أن أبين أبرز ما جاء فيه :

آ ـ لقد استمد ابن البيطار معلوماته عن العقاقير اليونانية من كتاب الحشائش لديسقوريد ، ومن كتابي الميامر والقاطاجانس لجالينوس مباشرة ، بينما اخذ المؤلفون القدماء ، امثال الطبري والرازي والبيروني وابن سينا ، معلوماتهم بعلم العقاقير عن طريق المؤلفين والتراجمة السريان .

ب ـ يبلغ عدد العقاقير الواردة في كتاب ديسقوريد ، كما هو معلوم حوالي (٧٥٠) عقاراً ونباتاً . وقد أورد منها ابن البيطار (٦٧٥) ، كما اشار الى رقم المقالة الموجودة فيها كل عقار ، عند كل من ديسقوريد وجالينوس.

ج ـ استفاد ابن البيطار من كتاب (تفسير اسماء الادوية المفردة) الذي وضعه سليمان بن حسان (ابن جلجل) وكتاب (شرح اسماء العقار) لابن ميمون ، والذي فسرت فيهما اسماء النباتات اليونانية باللغة العربية .

د ـ ذكر ابن البيطار اسماء جميع العقاقير والنباتات ، ذات الاصل العربي والفارسي والهندي ، والتي يبلغ عددها حوالي (٥١٥) عقاراً ونباتاً ، من مؤلفات من سبقه ، واستفاد بصورة خاصة من مؤلفات الطبيب القيرواني اسحق بن عمران ، عند وصف العقاقير الهندية المنشأ .

هـ ـ نقل ابن البيطار جميع ما ورد في كتب ومعاجم النبات ، ولا سيما كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، وكتاب الجامع لأشتات النبات للشريف الادريسي ، وكتاب الرحلة المشرقية لابي العباس النباتي .

و ـ اقتبس ابن البيطار الشيء الكثير من كتاب الغافقي ، ولا سيما ما كان يتعلق بالنباتات البربرية والاندلسية والمصرية . ويكفي ان نذكر بأن عدد الاستشهادات التي رواها ابن البيطار عن الغافقي بلغت (٨٤) مرة . وقد اخذ عن الغافقي دقته في وصف النباتات المحلية . أما عدد العقاقير والنباتات البربرية ، التي ورد ذكرها في كتاب مفردات ابن البيطار ، فكان قليلا لم يتجاوز العشر ، وكذلك عدد النباتات الاندلسية والمغربية لم يتجاوز العشرين .

ز ـ لقد أحسن ابن البيطار وصف بعض العقاقير الأجنبية المنشأ ، وتكلم عن كل منها بصورة مفصلة كبحث علمي ،نذكر منها العقاقير الآتية :

الكندس ـ الكبابة ـ الكافور ـ الراوند بنوعيه الصيني والزنجي ـ السيسبان ـ الصبر ـ الشونيز ـ السذاب ـ السقمونيا ـ السقنقور ـ السنا ـ الزباد ـ خصي الثعلب .

تدهور علم العقاقير بعد وفاة ابن البيطار في القرن الثالث عشر بسبب فقدان الادوية وارتفاع اثمانها وانتشار الفقر في البلاد العربية والاسلامية عقب الحروب الصليبية . وعاد الناس الى الاستعانة بالتمائم والرقى والتعاويذ الى جانب بعض العقاقير البسيطة المتوافرة في الاسواق .

الاوربيون يتعرفون على عقاقير العالم من خلال المؤلفات العربية :

بعد وفاة الطبيب جالينوس في القرن الثاني للميلاد انتهى عصر ازدهار علوم الطب والصيدلة في الدولة الرومانية . واصبح اطباء

وعلماء روما والبلاد الخاضعة لها يتكلمون اللغة اللاتينية . وبدأت تعاليم ابقراط وجالينوس تختفي ليحل محلها طب شعبي مملوء بالسحر والايمان بالمعجزات .

وفي اوائل القرن الثامن للميلاد انتبه العالم الغربي من غفوته على طرقات جنود العرب والمسلمين تدق ابوابه من الشرق والغرب ، والتي جاءت تحتل جنوب اسبانية متقدمة نحو قلب أوروبة . لذلك اخذت الدول الاوربية تجمع قواها وترص صفوفها تحت راية الكنيسة لكي تقف في وجه الخطر المحدق بها .

لقد لمس المفكرون من رجال الكنيسة التفوق العلمي والتقني الذي امتاز به العرب ، لذلك حاولوا تدارك هذا التخلف فسعوا الى الحصول على الكتب العربية وترجمتها لكي يستطيعوا اللحاق بركب الحضارة .

كان من اوائل الكتب العربية التي ترجمت الى اللغة اللاتينية (كامل الصناعة) لعلي بن العباس ، قام بترجمته الراهب قسطنطين الافريقي حوالي عام ١٠٥٩ م . وفي اوائل القرن الثاني عشر للميلاد ظهر راهب إيطالي آخر يدعى جيرار الكريموني (١١١٤ – ١١٨٧ م) تعلم اللغة العربية وقام بترجمة عدة مؤلفات ضخمة لاعظم الاطباء المسلمين ، منها كتاب المنصوري للرازي والقانون لابن سينا والتصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي .

ان جميع هـذه الموسوعات تضم جزءاً خاصاً بالادوية المفردة والمركبة لذلك فان ترجمتها الى اللغة اللاتينية جعل الاطباء الاوربيين يطلعون على اسماء وأوصاف عقاقير آسيوية أو افريقية لم يعرفها ديسقوريد ، بالاضافة الى العقاقير الأوربية التي حافظ العرب بصورة عامة على اسمائها اليونانية مع تحريف قليل باللفظ .

من الثابت حالياً انه لا يوجد لدينا في مكتبات العالم أي نسخة كاملة عن الاصل اليوناني لكتاب ديسقوريد كما ان هذا الكتاب لم يترجم الى اللغة اللاتينية قبـــل القرن الحادي عشر للميلاد ، لذلك يمكننا ان نؤكد بأن أوروبة اللاتينية قد اطلعت على عقاقير ونباتات العالم القديم عن طريق المؤلفات العربية ، وأن العرب قد اسهموا بصورة فعالة في وضع أسس علمي : العقاقير والنبات .

الحنظل واستعمالاته في الطب العربي

إعداد السيدين
سامح الحسن وعبد الرزاق القدور

يعتبر الحنظل من النباتات البارزة في الطب العربي القديم . فقد عرفه الاطباء العرب جيدا وتعمقوا في دراسة خواصه واستطباباته وطرق المعالجة به .

وقد ذكر اليونانيون الحنظل فكتب عنه ديسقوريدس وترجمت مؤلفاته للعربية في حوالي منتصف القرن التاسع الميلادي .

امــا العرب فقد عرفوا الحنظل قبل الاسلام ، فأوردوه في شعرهم فهذا امرؤ القيس الشاعر الجاهلي ، يقول في معلقته (البيت رقم ٤) :

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل (١)

وقال في المعلقة أيضا يصف فرسه (البيت رقم ٥٩) :

كأن على المتنين منه اذا انتحى مداك عروس أو صلاية حنظل (٢)

وقال حسان بن ثابت من قصيدة مدح بها جبلة بن الأيهم في العصر الجاهلي :

قددنــا الفصحُ فالولائــدُ يَنظمــ ن سراعاً أكِلــّةَ المَرْجان
لم يُعلّلْــنَ بالمغافــرِ والصمــ غ ولا شرىء حنظل الخطبان (٣)

وسمى العرب حنظلة في العصر الجاهلي ، وممن سمي بذلك : حنظلة

بن فهد القضاعي ، وهو من قضاة العرب في الجاهلية ، وحنظلة بن صفوان ، وهو من أنبياء العرب في الجاهلية ، وحنظلة بن أبي سفيان (أخو معاوية) وهو من المشركين الذين قتلوا في معركة بدر .

من الطريف أن نذكر أن بعض البدو يعصرون بذر الحنظل فيستخرجون زيته منه ، ثم يحمصون ما تبقى ويأكلونه كالخبز (٤) . ويذكر ابن البيطار (٥) أن بذره يطبخ باللبن والتمر أو الدقيق ليؤكل . كما أن البدو يحرقون البذر ويستعملون القطران الناجم عن ذلك في مداواة جرب الجمال (٦) .

ينمو الحنظل في المناطق الحارة من آسية وإفريقية . وهو موجود في سورية والبلاد العربية الاخرى- وتصدره اسبانيا وتركيا (٧) . وقد ذكر في احياء تذكرة ابن داود الانطاكي للدكتور رمزى المفتاح (٨) أنه يستهلك من الحنظل سنوياً في مصر نحو خمسة عشر طنا كما يصدر للخارج كميات كبيرة منه .

وصف الحنظل عند العرب :

يقول ابن سيده في المحكم : « الحنظل : ضرب من الشجر المر ، واحدته حنظلة ، وحنظلة : اسم رجل سمي بذلك ، وحنظلة : قبيلة »

وللحنظل أسماء عديدة يوردها البيروني (٩) في كتابه الصيدنة في الطب فهو بالعربية الشرى ، والعلقم ، والخطبانة الحنظلة اذا صار فيها خطوط تضرب الى السواد ولم يدخلها بياض ولا صفرة ، وهو بالفارسية : كبست ، وخيار تلخ . وبالسجزية : بِهِي ، وبالرومية : كافافلوس وأيضا غريوس ، وبالسريانيـــة : نباتا مريرا وأيضا عصار مرارت برا ، وبالزابلية : : خربزة تلخك . ويدعوه جالينوس : قولوا

قينتس (١٠) . (وهي أصل تسميته العلمية الحالية وهو نوعان ، ذكر وأنثى ، والذكر هو ليفي والانثى رخو أملس أبيض : (الرازى) (١١) والحنظل شديد الحرارة وهو يابس (ابن سينا) (١٢). وللحنظل ورق منبسط على الارض ، وثمرة مدورة كالكرة البيروني) (٩) .

وخيره البدوي الأبيض الشحم وينبت في الرمال والصحارى « والثابت في البر على المواضع المرتفعة لا يشرب الا مياه الامطار . فلذلك فهو أحر وأشد فعلا من بقرب » (البيروني) (٩) « واجتناؤه في آخر السنة عند طلوع الثريا ، في أول الليل ، عند ورود البرد » (البيروني) (٩)

استعمالات الحنظل :

كانت استعمالات الحنظل في المداواة في الطب العربي عديدة ومتنوعة ، فمنذ فجر العصور الذهبية العربية استعمله الطبري (١٣) (٧٨٠ م) كمسهل للأمعاء « اسهال البلغم » ولاحظ تأثيره المخرش على الجهاز الهضمي قائلا بانه : « يهيج مغصا في الامعاء » . كذلك استعمله في « قلع صفرة اليرقان من العين » اذا نقط من مائه في أنف المريض .

أما أبو بكر الرازي (١١) (٨٦٥ ـ ٩٢٥ م) فقد ذكر التأثير المقيء لشم الحنظل بالاضافة الى تأثيره المسهل للبطن ، وداوى به عرق النسا والفالج والقولنج بحقن شرجية تحتوي على مسحوق الثمرة المجففة ـ ومثل هذه الحقن اذا اعطيت عن طريق المهبل سببت الاجهاض . وداوى عرق النسا أيضا دلكا بأخضره ووجع الورك دلكا بطريه ، ولوجع الاسنان أخرج ما في جوف الثمرة وملأها خلا وطبخها على رماد حار ، فاذا تمضمض المريض بهذا الخل ذهب

وجعه ، ولمداواة لسع العقرب : ذكر الرازي « استعمال جذر الحنظل موضعيا أو عن طريق الفم » وخبرني غير واحد أن أصل الحنظل أعظم دواء للسع العقرب وأن الاعراب مشهور ذلك فيهم . وخبرت عن أعرابي أنه لسعت ابنه عقرب في أربعة مواضع فسقاه درهما من أصل الحنظل فسكن كل ما به على المكان . قال البصرى : انه متى سحق وطلي عليه سكن وجعه أيضا » .

وبمرور نصف قرن ونيف من الزمن من عهد أبي بكر الى عهد الشيخ الرئيس ابن سينا(١٢) (٩٨٠ – ١٠٣٦ م) . توسعت مجالات استعمال الحنظل بشكل واضح عند العرب فبالاضافة الى الاستطبابات السالفة الذكر ذكر الشيخ الرئيس استعمال ورق الحنظل « الغض » في وقت النزيف ومعالجة « الأورام » ودلك الحنظل في الجذام وداء الفيل علي موضع الآفة يبرئها ، وهو نافع لأوجاع العصب والمفاصل والنقرس « البارد جدا » . كما أن مطبوخه في الزيت علي شكل قطور ينفع في دوى الآذان وقلع الاسنان ، ويداوى به انتصاب التنفس والانصباب المفصلي « البلغم الغليظ في المفاصل » واليرقان والامراض البولية . أما جذره فينفع في الاستسقاء ولدغ الافاعي . هذا وقد ذكر ابن سينا أيضا التأثير السمي للحنظل الاخضر قائلا انه « يسهل بافراط ويقيء بافراط ويكرب حتى ربما قتل » .

لم يـــزد البيروني(٩) على استعمالات الحنظل شيئا جديدا وذكر بأن الفرس تأكله وأنه « اذا اطعمه الحمام أخذ في التفريخ » .

أما البغدادي(١٤) فقد زاد على استعمالات الحنظل مداواة التشنج والربو والساد . وفي عهد ابـــن البيطار(٥) توسع استعمال الحنظل ليشمل أمراضا عصبية عديدة أخرى مثل وجع الرأس والشقيقة

والصرع والوسواس واللقوة المزمنة ، وأمراضا تنفسية مثل عسرة التنفس والسعال المزمن ، ويستخدم الحنظل في الزينة فيسود الشعر ويمنع الشيب (دهن الزنبق المطبوخ في الثمرة المجوفة) .

كما أنه مفيد في كثير من الامراض الجلدية مثل الجذام حيث يسكن ألمه وداء الثعلبة وداء الفيل البثورة ، ويفيد أيضا في الاستسقاء والماليخوليا(١٦) كما يفيد في وجع الاسنان تبخراً بحبه ، ويستعمل في قتل البراغيث رشاً بطبيخه .

لدى مطالعتنا لمخطوطة نجيب الدين محمد علي بن عمر السمرقندى (الأقراباذين) المحفوظة في المكتبة الاحمدية في حلب ، وجدنا ذكر الحنظل في معالجة امراض لم تذكر سابقا ، فهو ينفع الرعشة وضعف البصر والعشا وثقل السمع وفقد الشم والبهق الابيض ، كما أنه يستعمل في تدبير لحفظ جثة الميت .

أمـــا أبو داود الانطاكي(١٧) فقد أضـــاف الى استعمالات الحنظل فائدته في أوجاع الظهر والورك اذا دلكت به القـــدمان ، ونفعه في الجنون وبعض الامراض النسائية « ينقي الأرحام والمقعدة من الامراض الرديئة » .

تحضير الحنظل وصفاته الدوائية :

أفضل أنواع الحنظل عند الأطباء العرب هو « الأبيض الشديد البياض اللين » ويجب عدم نزع شحمه من ثمرته الا غداة استعماله والا ضعف تأثيره ، كما يجب ألا يجنى حتى ينضج والا كان ضرره كبيراً (ابن سينا) (١٢) .

ولما كان الحنظل شديد الفعالية فقد ابتدع العرب طرقاً مختلفة لتعديل سميته كأن يخلط شحمه « يكسر » بالكثيرا (الطبرى) (١٣)

أو الصمغ العربي (ابــن البيطار) (٥) . ويمكن ان يستبدل بــدواء آخر كقثاء الحمار أوحب الخروع أو درهم ونصف من الراوند الطويل مع شراب العسل (الزهراوي) (١٥) . . اما اصلاح ورقه فيكون بتجفيفه في الظل « حتى لا يبقى فيه شيء من النداوة » (ابن البيطار) (٥) .

وقد استخدم الحنظل بأساليب عديدة وعن طريق مختلفة كتناول شحمه أو عصارة جذره ويدخل شحمه في صنع حب بعد خلطه بمواد مختلفة (الرازي) (١١) ، أو يحضر منه شراب يسقى :

« وربما أخرج جوفها من فوق ومليء من رب العنب أو شراب حلو عتيق ، وترك يوما وليلة وربما وضع علي رماد نار الى أن يسحق ناعما ويسقى » (ابن سينا) (١٢) ، وهناك نوع آخر من الشراب هو مطبوخ العسل في جوف الثمرة (ابن البيطار) (٥) . والمضمضة بمطبوخ الخل في الثمرة المجوفة تفيد وجع الاسنان كما ذكرنا . ويدخل في تركيب قطرة للاذن وأخرى للأنف . ويمكن استخدامه حقنا شرجية أو مهبلية بالقاء مسحوق الثمرة المجففة في أدوية الحقن ، كذلك يستعمل موضعيا بدلك أخضره أو طلي طريه . ويختلف ابن البيطار (٥) مع ابن سينا (١٢) حول مدى سحق الحنظل ، فالاخير يرى ضرورة المبالغة في سحقه لأنه اذا لم يسحق جيدا ، « وصادف الرطوبة يربو ويتشبث بنواحي المعدة وتعاريج الامعاء » بينما يرى الاول عكس ذلك قائلا : « ينبغي أن لا يسحق الحنظل ناعما فانه اذا كان ناعما لصق بالاحشاء فعقرها » .

تحليل نبات الحنظل :

تبين من تحليل نبات الحنظل حديثا انه يحوى عدة مواد كيماوية (١٩) اهمها الآتي :

1- Colocynthin (Citro lin)

وهي عبارة عن مادة سكريدية راتنجية تبين أنها ممزوجة مع Citrollol

2- a-elaterin .

وهي مادة راتنجية أيضا

3- Hentriacontane.

4- Phytosterol.

وهي عبارة عن مادة سكريدية ستيرولية Sterolglycoside

5- Fatty Acids.

تسبب مادة الكولوسنثين اسهالا مائعا كبير الكمية مع مغص ، وهي ذات تأثير مخرش في الامعاء الدقيقة ، والجرعة الزائدة منها تسبب وهطا ، أما الاستعمال المستمر فيسبب نقص البوتاسيوم Hypokalemia وضياع الصوديوم Na Depletion مع Dehydration (٢٠) .

وتستخدم مادة الكولوسنثين في الطب الحديث في صناعة الادوية المسهلة (١٩-٢١) ، وهناك من يحبــذ عدم استعمالها ، وفي المقابل يوجد متحمسون لها يذكرونها ضمن مجموعة النباتات الاقتصادية ، وتجرى أبحاث في نيو مكسيكو تهدف الى التوسع في استخدامها الطبي (٧) وللكولوسنثين تأثير مدر للبول أيضا (١٩) ولعل ذلك يسهم في تفسير بعض استعمالات الحنظل في الطب العربي مثل الاستسقاء ، أو عسرة التنفس فيما اذا كان سببها وذمة رئة .

ان استعمالات الحنظل في الطب العربي كثيرة ولا توجد أدلة في الوقت الحاضر تدعم كافة الاستعمالات ومع ذلك لا يمكننا أن ننفي أن للحنظل تأثيراً مفيداً في الامراض التي كانت تداوى به ، ولعله يأتي اليوم الذي نتمكن فيه من اجراء التجارب الكافية لسبر أغوار هذا السر الكبير .

١ – سمرات : ج سمرة : شجرة لها شوك – نقف الحنظل : استخراج حبه . وناقف الحنظل تدمع عيناه لحرارة الحنظل .

٢ – المداك : الحجر الذي يسحق به الطيب – الصلاية : الحجر الأملس الذي يسحق عليه حب الحنظل .

٣ – المغافير : نوع من صمغ الشجر ، مفرده : مغفور – الشرى : شجر الحنظل أو ورقه – الخطبان : الحنظل يصفر وتصير فيه خطوط خضر .

٤ – عازار ارمانيوس ، المجموعة النباتية الطبية الصغرى .

Encyclopeadia Britanica

٥ – ابن البيطار ، الجامع لمفردات الادوية والاغذية .

٦ – وليم نظير ، الثروة النباتية عند قدماء المصريين .

٧ – The Standard Cyclopeadia of Horticulture

٨ – الدكتور رمزي المفتاح ، احياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية .

٩ – ابو الريحان البيروني ، الصيدنة في الطب .

١٠ – هذه الاسماء نوردها كما جاءت في كتاب الصيدنة ولم نتحقق منها كما جاءت في لغاتها .

١١ – أبو بكر الرازي ، الحاوي في الطب .

١٢ – ابن سينا ، القانون في الطب .

١٣ – الطبري ، فردوس الحكمة في الطب .

١٤ – البغدادي ، كتاب المختارات في الطب .

١٥ – الزهراوي ، التصريف لمن عجز عن التأليف .

١٦ – الماليخوليا – السوداوية ، الميل الى الحزن والانقباض .

١٧ – أبو داوود الانطاكي : تذكرة أولي الالباب والجامع للعجب والعجاب .

١٨ – يتكلم عن الثمرة .

١٩ – Pharmacopeia of eastern medicine, Hakim Mohammed Said.

٢٠ – The pharmacological basis of theraputics, Goodman and Gilman.

٢١ – Encyclopeadia Britanica.

المراجع العربية

١) أبو الحسن علي بن سهل بن الطبرى ، فردوس الحكمة في الطب ص ٤١٤ طبع في مطبعة آفتات ببرلين سنة ١٩٢٨ .

٢) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب ، كتاب الحاوي في الطب ، الجزء ٢٠ صفحة ٣٤٠ = ٣٤٢ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ـ الهند .

٣) الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا ، القانون في الطب ، الكتاب الثاني صفحة (٣١٦ = ٣١٧) . مكتبة المثنى ببغداد ، طبعة جديدة بالاوفست عن طبعة بولاق .

٤) ابو القاسم الزهراوي ، التصريف لمن عجز عن التأليف ، مخطوطة يحققها الدكتور ميشيل الخوري عضو مجمع اللغة العربية في دمشق .

٥) أبو الحسن علي بن احمد بن علي بن هبل البغدادي ، كتاب المختارات في الطب الجزء الثاني ، صفحة ٨٦ .

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ـ الهند .

٦) ضياء الدين عبد الله بن احمد الاندلسي المالقي المعروف بابن البيطار ، الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، الجزء الثاني ، صفحة (٣٦ ـ ٣٨) مكتبة المثنى بغداد .

٧) داوود الانطاكي ، تذكرة اولي الالباب والجامع للعجب والعجاب الجزء الاول ، صفحة ١١٥ و ١١٦ ، المطبعة الميمنية بمصر لصاحبها احمد البابي الحلبي سنة ١٣٠٨ هـ .

٨) نجيب الدين محمد علي بن عمر السمرقندى ، الاقراباذين ، المكتبة الاحمدية في حلب رقم ١٢٦٩ .

٩) عازار ارماينوس ، المجموعة النباتية الطبية الصغرى .

١٠) الدكتور زهير البابا ، علم العقاقير ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٧١ .

١١) وليم نظير ، الثروة النباتية عند قدماء المصريين ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ .

١٢) الدكتور سلمان قطاية ، تاريخ الطب العربي في رسوم ، مطبعة الحرية ، حلب ١٩٧٦ .

١٣) الدكتور سلمان قطاية ، مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبات العامة بحلب ، منشورات معهد التراث بحلب ١٩٧٦ .

المراجع الأجنبية

1— Louis s. Goodman and Alfred Gilman,
The Pharmacological basis of Theraputics
Macmillan company.

2— Encyclopeadia Britanica.

3— *Hakim Mohammed said. Hambard pharmacopoeia of eastern medicine.*

4— Garrison, *History of Medicine.*
W. B. saunders company.

5— William Dymock,
Pharmacographia indilca,
Hamdard, Pakistan.

6— Sami K. Hamarneh,
Al-Biruni's book on pharmacy and Materia medica
Hamdard, Pakistan 1973.

7— Edward william Lane, Arabic-English Lexicon, Part 2 Librairie du Liban 1968.

الجديد حول الرازي في طب العيون *

الدكتور نشأت الحمارنة
كلية الطب – جامعة دمشق

بين يدي البحث

كتب الرازي في طب العيون ١ :– المادة الخاصة في المنصوري
٢ :– المادة التي جمعت في المجلد
الثاني من الحاوي

فهل كانت هذه هي كل ما كتبه الرازي في طب العيون ؟
لقد اشار بولص سباط الى وجود خمس رسائل للرازي في طب العيون (في فهرست مكتبات حلب الخاصة) ، كما أشار سيزكين الى مخطوطتين أخريين لم يعرفهما سباط وذكرهما البيروني وابن أبي أصيبعة (في صراف العين) (في معرفة تطريف الأجفان)
وثمة (كتاب في شروط النظر) أشار اليه ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة .

أما مخطوطات سباط فهي :

١) كتاب في فضل العين على سائر الحواس (في شرف العين) .
٢) رسالة في هيئة العين .
٣) كتاب في كيفية الابصار .

* ملخص البحث

٤) رسالة في علاج العين بالحديد .

٥) في أدوية العين وعلاجها .

وجميع هذه الاعمال ذكرها ابن أبي أصيبعة وأشار اليها سيزكين .
وثمة (مقالة في العلة التي من أجلها تضيق النواظر في النور وتتسع في الظل) .

أشار اليها ابن أبي أصيبعة .
وباستثناء مخطوط واحد (في صراف العين) فان نجم آبادي ذكرها جميعا .
فما كتبه الرازي اذاً لا يقتصر على الحاوي والمنصوري في طب العين .
ومن عنوان كل من هذه الاعمال يمكن أن ندرك أهميتها .

١) فمعظم هذه المادة لم يشر اليها المجوسي .

٢) وقسم كبير من هذه المادة لا نجدها في الحاوي .

٣) ولا نعرف أن حنينا تعرض لمثل هذه الأبحاث .

نستنتج من ذلك اننا اذا عثّرنا على هذه المخطوطات التسع ودرسناها فاننا سنكتشف في مجال طب العين أمورا لا نقدر على معرفتها من قراءتنا لكتابي الرازي الشهيرين . وقبل أن نتمكن من تحقيق هذه الاعمال فانه لا يمكن لنا أن نجيب على الأسئلة التالية :

١) ما هو موقع الرازي كمجدد في طب العين اذا اعتبرنا أن يوحنا بن ماسويه وحنينا بن اسحق كانا اغريقيي العلم .

٢) ما هي الأعمال التي أسهم الرازي في تجديدها فيما يتعلق بغرائز العين : (تضيق واتساع الحدقة) (تطريف الأجفان) (شروط النظر) (كيفية الابصار) .

ينقل ابن أبي أصيبعة أن الرازي في كتابه (الشكوك على جالينوس) بين (أن الابصار ليس يكون بشعاع يخرج من العين) وفي هذا نقد لنظرية اقليدس وقد تطور موقف الرازي هذا الى موقف أوضح عند ابن سينا ثم الى نظرية عند ابن الهيثم ولم ينتبه هيرشبرغ الى ذلك كما بين مايرهوف في مقالتين .

إلا أن هيرشبرغ لاحظ ملاحظة أخرى : أن الرازي تحدث عن تضيق واتساع الحدقة وهو ما لم يشر الاغريق إليه . فهل بقراءتنا لمخطوطات الرازي هذه نوفق الى معرفة صاحب الفضل في هذه الملاحظات الغريزية ؟

ولقد عرف في الحاوي أن الرازي كتب ملاحظاته وتجاربه الخاصة اضافة الى أنه اقتبس أجود ما كتبه الأقدمون وأحسن تصنيفه وكان امينا في اسناده . فقد نقل عن أبقراط وديوسقوريدس وجالينوس وبولص وأورِيباسيوس (وكتب هؤلاء معروفة لدينا) .

ونقل أيضا عن هيروفيـل وسورانوس والاسكندر (وكتب هؤلاء ليست معروفة لدينا الآن) الا أن الرازي نقل جل ما في الحاوي من مادة في طب العين عن حنين ، ومعروف أنه لولا الحاوي لما تمكن مايرهوف من تحقيق وترميم نص المقالات العشر وضمن ما نعرف عما كتبه الرازي في طب العين حتى الان يتبين لنا أنه لم يعرف كتاب ديموسثينس وقيمة الرازي لا تأتي من أنه مؤلف كبير في طب العين وحسب ، فان ملاحظاته كسريري وكأستاذ منتشرة في أعماله في طب العين شأنها شأن أعماله الطبية الأخرى .

ولا أريد هنا أن أعرض تقريرا عن الحاوي أو المنصوري فهذا معروف للمختصين ، وانما أود أن أشير الى أن الرازي عرف

اخطار استعمال المخدرات في طب العين دونما اصول كما كان سباقا الى وصف أدوية حاوية علي الزئبق لمعالجة الأجفان .

وفي الجراحة العينية وصف بشكل طليعي عمليات للسبل والظفرة والشعرة والشتر والتصاق الأجفان والغرب .

أما في وصفه لعملية الماء فقد تقيد بأسلوب أفثيلوس .

ونجد بين ملاحظات الرازي السريرية في الحاوي أعراض هجمة الزرق الحادة المتميزة بتكدر البصر ورؤية الضباب والاعراض المعدية وذلك في أكثر من موضع .

وأمراض القرنية يصنفها الرازي ثمانية بعد أن صنفها حنين خمسة . وابن سينا يذكر أربعة بينما يصل عدد هذه الامراض عند علي بن عيسى الى ثلاث عشرة .

ولكن الاطلاع علي مخطوط جديد للرازي (المشجرة) يصل بعدد أمراض القرنية عند الرازي عموما الى عشرة . والمشجرة هذه مخطوطة موجودة في مجموع في مكتبة المجلس في طهران ، مكونة من ثماني صفحات ، يختصر فيها الرازي كل طب العين ويقسمها الى أربعة أبواب ، وقد اطلعت على هذه المخطوطة وهي شديدة الأهمية لأنها تشير الى أنه ليس ما ورد في الحاوي والمنصوري هو كل ما عرفه الرازي في طب العين .
ومثل أمراض القرنية دليل على ذلك .

مطلع المخطوطة :

رسالته المسماة بالمشجرة في معرفة امراض العين أيضاً من مصنفات الفاضل الكامل محمد بن زكريا الرازي .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خير الانبياء والمرسلين . اما بعد فانك سألت سهل لك الله المطلوبات أن اختصر لك قولا في العين يسهل حفظه ويقرب مأخذه وقد جمعت لك قدر ما طلبته لك كافيا وبارادتك محيطا وجعلته أربعة أبواب .

الباب الاول : في ماهية حد العين و كيفية ترتيبها .

الباب الثاني : في العلل العارضة للعين .

الباب الثالث : في اسباب الامراض العارضة للعين .

الباب الرابع : في علاج الامراض العارضة للعين .

نهاية المخطوطة :

ويشيف ويستعمل بالبارد في الجفون والاماق والله أعلم بالصواب . تمت الرسالة في التاسع والعشرين مـــن شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٠٠٧ ببلدة يزد ونقلت من نسخة قديمة تحريرها بيد واحد من الأطباء الألباء في سنة اربع وتسعين وخمسمائة والحمد لله رب العالمين .

نماذج من المخطوطة :

١ ــ **الباب الاول :** في ماهية حد العين و كيفية تركيبها .

ان العين جسم مركب من صفاقات ورطوبات وأغشية ورباطات وأوردة وأعصاب وعضلات . وذلك أن العصبة المجوفة التي هي أول العصب الخارج من الدماغ وعليها غشاءان احدهما أصلب من الآخر . . . .

٢ ــ **الباب الثاني :** في العلل العارضة للعين .

الامراض العارضة الظاهرة الحادثة في العين اما أن تعرض في الاجفان واما في المآق ، واما في الملتحمة واما في القرنية ، واما

في العنبية والجليدية . فعدد الامراض العارضة للجفن اثنا عشر : الشرناق والجرب ، والبرد ، والتحجر ، والالتزاق ، والشعر المنقلب ، والشعر الزائد ، والشعيرة ، والشتّرة ، وانتشار الهدب ، والقمل ، والسعفة . وعدد الامراض العارضة للمآق ثلاثة . . . .

٣) أجناس الامراض العارضة للعضل جنسان اما تشنج واما استرخاء فاذا استرخت العضلة المحركة للعين من فوق مالت العين الى اسفل فان تشنجت مالت العين الى فوق واذا استرخت المحركة للعين الى أسفل مالت العين الى فوق ، فان تشنجت مالت العين إلى الأسفل .

٤ ـ **الباب الثالث :** في الامراض العارضة للعين ـ

ما سبب الجرب ؟

رطوبة بورقية تنصب الى باطن الجفن .

كم هي أصناف الجرب ؟

أربعة .

علامات كل صنف :

اما الصنف الاول منها فعلامته انك ترى في باطن الجفن . . . .

٥) ماسبب الطرفة وما علامتها :

اما سببها فدم ينصب الى الحجاب الملتحم من تمزيق الأوردة التي في الملتحم من سبب بارز ، وأما علامتها فأن يرى في الملتحمة شبه العلقة من دم .

٦) ما سبب الظفرة وما علامتها :

أما سببها فزيادة في الملتحمة ، وأما علامتها فأن يرى عند المآق الأنفي لحمة حمراء تتزايد قليلا قليلا حتى تغطي الناظر .

٧) ما سبب الأثر وما علامته :

اما سببه ففي انحلال الفرد العارض في القرنية وأما علامته فبياض سائر الحدقة .

هذه نماذج من المخطوطة تشير الى مدى التلخيص وتركيز المعلومات التي لجأ اليه الرازي حينما أحب أن يكتب لصديقه قولا مختصرا في العين ، وقد تكررت هذه الظاهرة في اختصار المعرفة الطبية للملوك والاصدقاء والتلاميذ .

فالرازي كطبيب للعيون لا يمكن لنا أن ندرسه دراسة نهائية قبل أن نعرف مخطوطاته الأخرى ، عندئذ يمكن لنا أن نحدد موقعه كأستاذ ومؤلف وجراح وسريرى في طب العين ومن هنا تأتي أهمية مخطوطات حلب ، ومن هنا تأتي أيضا أهمية مخطوطتي طهران وقد وصفت إحداهما وصفا أوليا سريعا وموجزا . وفي ايران مخطوطة أخرى في مكتبة سنا بطهران يذكر فيها الرازي كيفية تحضير بعض الادوية في طب العين .

بعض هذه الادوية معروف من الحاوي مثل : المرقشيثا والبسد وقليميا الفضة والذهب والسكبينج والصمغ والأفيون والمرزنجوش وبعضها لا نجد لها ذكر في الجزء الثاني من الحاوي ، ومن هنا تأتي أهمية هذه المخطوطة القصيرة ، ومن هذه الادوية التوتيا والدمنج والحلزون والزنجار وماء الحصرم وماء السماق وماء الرازيانج .

وهذه المخطوطة يذكر ناسخها أنه نقلها عن نسخة سقيمة في غاية السقم .

والناسخ هو محمد بن قطب .

مطلع المخطوطة :

بسم الله الرحمن الرحيم هذه رسالة في كيفية تدبير الادوية المستعملة في العين الشادنج والتوتيا والمرقشيثا وحجر الكحل ، هذه الادوية الاربعة وجميع الحجريات كاللؤلؤ والبسد والدمنج كما ذكره الطبري في المعالجات البقراطية ، اصلاحها وتدبيرها الغسل والتصويل حتى يتميز عنها الرمل ثم تجفف في الشمس محفوظة من الغبار وربما تحتاج الى تكرار الغسل والتصويل بعد تجفيفها ليتميز الرمل عن الدواء بالكلية والغسل عن الرمل هو أن يدق الدواء ويطرح في اناء فيه ماء عذب ويحرك حتى يرسب الرمل ويصب المائع في اناء آخر قبل أن يرسب الدواء بالكلية .

خاتمة المخطوطة :

اذا كان الوجع شديدا والضربان مفرطا لا يقرب الميل والذرور ولا الدواء الحاد اليهما لكن يقطر دواء ملين مسكن . ولواهب العقل الحمد بلا نهاية .

وعلى ذلك فان هذين المثلين يشيران الى مدى الأهمية التي نعلقها على اكتشاف المخطوطات المفقودة والتي وصفها سباط في حلب خاصة . وأننا نأمل أن يكشف في تاريخ علم الغرائز إسهام الرازي فيه بعض الشيء .

طرق معالجة الثآليل في الطب العربي

السيد أحمد حيدر

كلية الطب – جامعة حلب

عرف الثؤلول لغة بانه بثر صغير صلب مستدير يشبه حلمة الثدي وهو على صور شتى فمنه منكوس ومتشقق ذو شظايا ومتفلق ومسماري عظيم الرأس مستدق الاصل وطويل معقف ومنفخ .

والثآليل تظهر على سطح الجلد كاورام جلدية صغيرة الحجم وقلما تنفذ في طبقاته العميقه قاسية القوام ذات نتوءات تشبه الزغلبات لا يختلف لونها عن لون الجلد ، تتوضع في أكثر الحالات على الاصابع والاطراف وحواف الاظافر واخمصي القدمين وتسمى في التوضع الأخير بالثآليل الاخمصيه كما تشاهد الثآليل على الوجه والاعضاء التناسليه .

والثآليل عادة غير مؤلمه إلا ما توضع منها علي اخمصي القدمين فهي مؤلمه بشدة بالضغط ، ولقد وصفها العرب القدماء ووضعوا لها المعالجة منذ عهد قديم فمن يقف على المراجع العربية يجد ان أبا الحسين بن علي بن سينا (الذي عاش ما بين ٩٨٠ – ١٠٣٦ ميلادية تحدث عن الثآليل ومعالجتها في كتابة القانون في الطب تحت عنوان : « فصل في الثآليل والمسمارية منها والعقق القرنية ومـا يجري مجراها » وبعد أن يتحدث عن الثآليل واسبابها يتطرق الى الحديث عن معالجتها فاعتبر أن السبب الفاعل في اندفاع الثآليل خلط غليظ سوداوي ينجم عن استحالة سوداء للبلغم إذا كثر هذا الخلط في الدم قد يعرض

العروق الصغيرة للاحتقان وبالتالي يزداد الخلط فيها ويصيبها استحالة وتيبس وجفاف وبذلك يتشكل الثؤلول واعتبر أن هناك ثؤلولا أماً يفرخ فتظهر الثآليل في الأماكن المجاورة واذا زال الثؤلول الأم زالت الاخرى .

كما ميز بين أشكال الثآليل وفرقها عن القرون على الشكل التالي .

١ ـ ثآليل كبيرة سماها الرؤوس وهي الثآليل الشائعة وقد شبهها برؤوس المسامير .

ب ـ ثآليل طوال دعاها قروناً اعتبرها زوائد ليفيه تنبت على مفاصل الاطراف .

جـ ـ نوع ثالث دعاه الطرسوس .

وأما عن طرق المعالجة فلقد أحسن التحدث عنها وتمكين تقسيمها إلى طرق ثلاثة :

١ ـ المعالجة العامة : وذلك بالفصاده لتقليل الدم في البدن وبالتالي الخلط السوداوي .

٢ ـ معالجة موضعية : بتطبيق بعض المعاجين اي المراهم والسوائل موضعياً على سطح الثؤلول حيث تؤدي الى زواله ولقد وصف ابن سينا العديد من هذه المعاجين .

المعاجين والسوائل وكيفية تحضيرها والمقادير اللازمة لذلك ومن هذه الوصفات اذكر :

* لبن التين الفج بان ينقط على سطح الثؤلول .

* مرهم يصنع من عجين حب شجر البان (وهو حب اكبر من حب الحمص بقليل) يدهن به الثؤلول .

* عسل البلاذر بان يوضع بشكل ضماد فوق الثؤلول .

* ضماد من الشونيز بالملح .

* منقوع البصل بالملح يقطر منه علي سطح الثؤلول فيقتلعه .

ولقد وصف للثآليل القويه (اي المعندة على المعالجة السابقة) طلاء خاصاً فوصفه قائلا بانه طلاء يتخذ من النورة والزرنيج والقلى وخصوصاً مع الزئبق المقتول لا سيما برماد البلوط والزيت .

٣ - **معالجة جراحية :** وذلك بقلع الثؤلول او تجريفه ووضع الاستطباب لذلك وحصره في الثآليل المعنده علـى المعالجة الموضعيه ووصف الطريقة المتبعة والاداة المستخدمه وصفا رائعاً فقال : « ومن معالجات الثآليل قلعها وقد يكون ذلك بانابيب ريشيه او خضبه او حديديه تجويفها بقدر ما يلتقم الثؤلول بعسر ما وحرفها حاد قطاع فيلقم فيه الثؤلول التقاماً فيه عسر ما ويلف عليه ويغمز يسيراً عند أصله فيستأصله او يمدد بالصنانير حتى تتحدد اصولها ثم يؤخذ بآلة حادة حارة تغوص الى الاصل ويجعل عليها السمن بعد القطع » .

مما ذكر نجد ان ابن سينا عرف الكثير عن الثآليل وتحدث عنه ومن مطالعه المراجع العربيه نرى أن من جاء بعده من الاطباء العرب القدماء قد اهتدى بنصائحه واضاف عليها فالبغدادي (عبد اللطيف البغدادي) يتطرف في كتابه مختارات في الطب الى الثآليل ويعتبر ايضاً بان السبب الفاعل فيها خلط سوداوي في الدم ويتحدث عن معالجتها ويذكر في كتابه العديد من الوصفات التي ذكرها ابن سينا لكن يتطرق الى استخدام المواد الآكاله في معالجه الثآليل فقال متحدثاً عن ذلك :

« فاما الادويه القويه التي تأكلها (أي تأكل الثآليل) وتفنيها والدواء الحاد الآكال يشرط الثؤلول نفسه وحواليه ويترك عليه الدواء الحاد الآكال حتى يسود . . . . » .

وابو بكر الازرق يتحدث في كتابه تسهيل المنافع في الطب والحكمه ويؤكد ضرورة علاجها بالكي بالمواد الآكاله « الثؤلول الكبير منها يربط أصله بخيط متين ونموه ثم يبضع رأسه ويذر عليه زرنيج ونورة ونشادر أجزاء سويه مدقوقه ناعمه » . . . وهو يشير الى معالجه الثآليل .

الثآليل بالايحاء وذلك بالقراءة من القرآن الكريم مع لمس الثؤلول ويحدد الآيه الشريفه وهو قوله تعالى : ومثل كلمة خبيثه . . . الى آخر الآ يه » .

وفي القرن السادس عشر الطبيب العربي ميلاد جرجس منصور يتحدث عن الثآليل في كتابه « المنارة الطبيه في المداواة الاهليه » ويضع نظريه جديده في اسباب الثآليل دون ان يتطرق الى الخلط السوداوي . فيعتبر السبب فيها هو التهيج المستطيل على الجلد ويعتبر الثآليل معديه ويشير الى انذارها بانـه محمود لكن الشفاء يتأخر ويحدد علاجها بطريقتين :

ا ـ الاستئصال وذلك بالقلع او بالقطع او بالربط ثم القطع .

ب ـ الكي بالمواد الكيميائيه وحددها بالكي بجمر جهنم او بحمض الآزوت او حمض كلور الماء او حمض الكبريت او بنترات الزئبق الحمضي . كما اشار الى الكي بالنار .

وهو يفضل المشاركه بين الطريقتين اي القطع أولا ثم الكي .

مما ذكر نخلص الى ان العرب أسهموا بشكل كبير في وصف الثآليل وعلاجها وتفننوا في وصف المراهم التي تطبق على الثآليل موضعياً وبحثوا في اسبابها لكن السؤال الذي ينطرح امامنا الآن .

هل طرق المعالجه هذه ما زالت تطبق في عصرنا الحاضر ؟ وما هو رأي العلم والطب الحديث بمثل هذه الطرق من المعالجه وما هو العلاج الحديث ؟

ان التجوال في الاحياء الشعبيه والاتصال بمداوي الثآليل بالطرق الشعبيه يدعنا نطلع على بعض ما يتبع حالياً في هذه الاوساط من طرق للمعالجه ففي مدينة حلب وبعض القرى المحيطه بها تمكنا من الاطلاع على العديد من الطر ق والتجارب المتبعه في الطب الشعبي لعلاج الثآليل والتي يمكن ان نحصرها بالنقاط التاليه :

١ - **الايحاء :** وهو اكثر طرق المعالجه الشعبيه شيوعاً في الوقت الحاضر ، وكثيرون من يقومون به واغلبهم من المتدينين المتقدمين سنا والذين يحفظون كتاب الله وهناك بعض الأسر اشتهرت على مر السنين بالقيام بالايحـــاء حيث يسيطر الفاعل تماماً على الشخص المصاب بالثآليل ويتم الايحـــاء بالقراءة من كتاب الله مع مس الثؤلول ثم رمي بعض من الحبوب كحب العدس بعدد الثآليل في الفلاء او كسر سيقان سنابل القمح ثم دفنها في التراب او غير ذلك من التجارب العديده التي لا حصر لها واما عن الشفاء فهو ايجابي في بعض الحالات وهناك حالات لاشفاء لها واما عن الاشخاص الذين يذهبون الى هؤلاء المداوين فهم على درجات مختلفه من الثقافه وقد نجد بعض المثقفين يستسلمون الى مثـــل هذه الطرق وذلك للتخلص مـــن منظر الثآليل المشوه لجمال الجسم ونضارته حيث تتقزز النفس من مشاهدتها .

٢ ـ الطرق البلدية وتشمل :

آ ـ **التجريف او القلع** : ويطبقها بعض الختانين وبعضهم يحاول ادخال شيء من التعقيم حيث يقوم بتلهيب الاداه المستخدمه ومسح سطح الثؤلول بالكحول او اليود احياناً ثم يقوم بقطع الثؤلول على مستوى سطح الجلد ثم بواسطه المنقاش (الملقط) او المشرط يظل يحفر في الجلد ليجرف الثؤلول تماماً وكأنه يستأصل جذره والشفاء حليف هذه الطريقه في الاغلب لكن هناك مجال للنكس وقد تترك نتائج غير مرضيه احياناً كحدوث التقيح والانتان الموضعي .

ب ـ **المعالجة بالاعشاب والنباتات** : كثيراً ما يلجأ الى تقطير لبن التين الفج على سطح الثؤلول بعد دهن المنطقه المجاوره لـــه بالفازلين ، وهناك بعض الاشخاص يقومون بتطبيق الطريقه التاليه « خمج التفاح : حيث تؤخذ عدة شوكات صغيره وتؤخذ في تفاحه وتوضع الاخيره تحت اشعة الشمس ليصيبها الخمج ، عند ذلك تسحب الشوكات من التفاحه وتوخز في الثؤلول لعدة دقائق حتى يتم امتصاص المادة من عصير التفاح الذي اصابه الخمج ثم تسحب الشوكات من الثؤلول ويكرر العمل ثلاث مرات او أكثر وبعد عدة ايام يذبل الثؤلول ويزول بطريقه عجيبه .

جـ ـ **الكي بالمواد الآكاله واكثرها شيوعاً** : الكي بحمض الآزوت حيث يدهن سطح الثؤلول بالحمض ويعرف من قبل العوام بماء النار والخطر في الطريقة هو التهاب الجلد المجاور واحتراقه رغم التدابير المتخذة احياناً .

واما بالنسبة لشق السؤال الثاني ، فلقد عـــرف الآن تماماً بان الثآليل سببها حمى راشحه virus وصنفت مـــع امراض الحميات

الورميه وامكن مشاهدتها « الحمى » بواسطة المجهر الالكتروني وهذه الحمى تنتقل بالعدوى الذاتيه او الغيريه ، وهناك نظريه تقول بانه يتشكل في الجسم مناعه ضد الثآليل وقد تشكلت هذه المناعه تسقط الثآليل لوحدها وتشكل المناعه هذه يختلف مــن شخص لآخر فالبعض تتشكل لديهم مناعه خلال اشهر وآخرون قد تمتد حتى السنتين احياناً . وقد يفسر هذا حدوث الشفاء بالايحاء احياناً وعدم حدوثه احياناً اخرى .

ويفضل الاطباء حالياً ان يتلف الثؤلول بالتخثير الكهربائي بعد التخدير الموضعي وهناك عدة طرق للعلاج مثل التجميد بالثلج الفحمي او الكي بالآزوت السائل .

والثآليل الاخمصيه تزال بالتخثير الكهربائي بعد التخدير او بالاشعه المجهوله × التي يمكن ان تعتبر المعالجه المثلى لولا التهاب الجلد الشعاعي الذي قد ينجم عنها والنخره العظميه التي قد تحدث احياناً ولذلك لا ينصح بها .

وهكذا يبدو لمن يراجع المصادر العربيه الطبيه القديمه بان العرب كانوا على مقدار من الاطلاع وسعة الافق وبعض طرقهم في العلاج لا تزال تطبق في وقتنا الحاضر فالتجريف والاستئصال للثآليل كتب عنه ابن سينا قبل عشرة قرون وكذلك الكي بحجر جهنم والعدوى الذاتيه بالحمه الراشحة المسببه للتآليل يمكن مقارنتها مع التفريخ للثآليل كما ذكر ابن سينا .

المراجع :

القانون في الطب	ابن سينا
المختارات في الطب	عبد اللطيف البغدادي .
تسهيل المنافع في الطب والحكمه	ابو بكر الازرق .
تذكره اولي الالباب	الانطاكي .
كنوز الصحه	ترجمه محمد التونسي .
معجم المحيط	النيروز آبادي .
امراض الجلد	الدكتور حسين سياج .
محاضرات في امراض الجلد	الدكتور عبد الكريم شحاده .

Lecture Notes on Dermatogy B. Solomons.

الطبّ العربيّ ومكانة أبي بكر الرازي فيه

الأستاذ صلاح الدين الخالدي
وزارة التربية

تمهيد تاريخي للتفاعل الحضاري العالمي في سبيل تقدم العلوم .

كان اندفاع الفرس غربا – وهم من الشعوب الهندو – أوروبية – نحو شواطىء البحر المتوسط نذيرا بزوال سيادة الشعوب السامية ، تلك السيادة التي لم يستطع الساميون استردادها الى أن قام العرب المسلمون باستردادها وانتشار حضارتهم علي المنطقة كلها ، وكان خلال ذلك أن اللغة الآرامية ومن بعدها خليفتها السريانية قد حققتا انتشارا واسعا بأن أصبحتا لغة دولية عالمية في كل المناطق التي امتد اليهما النفوذ الفارسي مما أفسح التاريخ الحضاري لاول مرة للحضارتين السامية والهندو – ايرانية أن تتفاعلا وأن تندمجا وهذا ما سيتحقق في العصر الذي ابتدأ بفتوحات الاسكندر المكدوني والمعروف عصره وعصر خلفائه بالعصر الهلنسي والذي لعب به الساميون ولا سيما السوريون والمصريون دورهم الحضاري في إنطاكية والاسكندرية ومئات من المدن التي أسسها الاسكندر وخلفاؤه من الملوك السلوقيين والبطالمة في سورية ومصر وامتداد ذلك الى أواسط آسـيـة وسقوط الأسرة الاخمينية الفارسية على يد الاسكندر كان ذلك بداية لفترة تزيد عن خمسة قرون طبعت بلاد فارس بطابع غربي اغريقي سامي لأن غزوه الخاطف حتى حوض السند الذي كان فيما بعد مصحوباً

بانشاء دولة هيلينية يحميها مستعمرون من مكدونيا والذي رسخ أقدامه طيلة قرن من الزمان حكم « ملوك سورية » من السلوقيين الذين كانت عاصمتهم « أنطاكية » على العاصي ، وهكذا عمل الاسكندر وخلفاؤه السلوقيون والبطالمة على مزج الحضارتين الغربية والشرقية لتحطيم الحدود التي تفصل بينهما لكي توجد فكرة العالم الموحد « واكومنة Oikoumené » وهي فكرة نادى بها أرسطو « أستاذ » الاسكندر ومربيه وحملها من بعده الفيلسوف السوري « زينون » من صيدا . ومن ثم تتالت في صور شتى عن طريق المناداة بالمدن الفاضلة أو « أوتوبيا » . . . . وهكذا ازدهرت الحضارة الهلينستية والحضارة السورية السلوقية التي قامت في شمال الهند بعد انسحاب الاسكندر منها عرفت هذه المنطقة باسم « أمبراطورية الموريا » وعمرت ما يقرب القرن ونصف القرن والمهم من ذلك أن هذه الامبراطورية تبنت الكتابة المعروفة باسم « الخوشتية » ، وقد اشتقت من الكتابة الآرامية السورية ، وكذلك فان الكتابة الآرامية التي قلنا إنها غدت عالمية في العهد الفارسي فاننا نراها ـ كما يقول الاستاذ « ج . هـ . ايليف » إن اللغة الآرامية أصبحت لغة الامبراطورية الفارسية الرسمية في أجزائها الغربية بصورة رئيسية ، ويبدو أنها كانت تستخدم في الاجزاء الشرقية ما دامت تركت أثرا في الخطوط الهندية ، أما الكتابة المسمارية القديمة فقد أخذ يصعب فهمها تدريجيا حتى انقرضت بالفعل في القرن الرابع قبل الميلاد ، ولما ظهرت الآرامية أصبحت أرقى أداة لكتابة الحروف الأبجدية وكتب لها الدوام .

وفي العصر الساساني الايراني عادت الروح القومية الايرانية لتثبت وجودها تجاه « روما » التي خلفت دولتي السلوقيين في سورية ودولة البطالمة في مصر وأخذ الساسانيون في عهد « أردشير » بفتح الولايات الغربية أولا ثم الشرقية ثانيا مما جعل روما تتخذ الاحتياطات

اللازمة ولا سيما لما استولى على « أرمينيا » و « ما بين النهرين » الأولى حليفة روما والثانية جزءاً من الامبراطورية الرومانية اتخذت الحوادث فيما بعد شكل حروب متقطعة استمرت أربعة قرون تخلت روما في نهايتها عن مكانتها كبطلة للغرب وخلفتها القسطنطينية . . . وكانت سورية خلالها مسرحا للنزاع الدولي بين الفرس والروم فهي حينا في أيدي الفرس الساسانيين ، وطورا في أيدي الروم البيزنطيين ، فتخرب مرافقها ومدنها وفي السلم يتأثر السكان بكلتا الحضارتين ويؤثرون فيهما ولا سيما في النواحي العلمية ولا سيما أن لغة السكان الآرامية لها الغلبة – كما أوضحنا سابقاً – إضافة الى ذلك التراث العلمي والحضاري الذي ورثه السكان عن حضارات الشعوب السامية والآرية من آشورية وبابلية وفينيقية واغريقية وفارسية ولاتينية ، فكانوا يتأثرون خطا تلك الحضارات ويضيفون عليها نوعا من التطور ويقومون بمزج الحضارات ، ولا سيما بأن أداة تعبيرهم وكتابتهم غدت دولية .

لذا جاءت مراكزهم العلمية والثقافية خير دليل على ذلك ولعل أهم تلك المراكز هو مركز « جنديسابور » .

يعود سبب انشائه رغبة أكاسرة الفرس في نشر العلوم والمعارف ولا سيما علوم الطب ، ولكي يستفاد من أبناء الحضارات السابقة فقد حشد في هذا المركز أسرى الحروب من الرومان والسوريين السريان وهو الاسم الذي أطلقوه على أنفسهم أبناء سورية الآراميين بعد أن دخلوا في المسيحية وكرهوا اسمهم الوثني القديم . وكان معظم الاسرى من جيش « فاليريان » الامبراطور الروماني الذي هزمه الفرس شر هزيمة ووقع كثير من قواته أسرى لذا أراد الفرس الاستفادة من خبرة السوريين والرومانيين الفنية والعلمية وفضل الرومان في المنشآت المدنية والعسكرية لذا أنشأ « سابور » هذا المركز الذي حوى المهندسين والمعماريين

والمساحين والاطباء والفلاسفة والعلماء في مختلف العلوم والفنون ، وقد أسكن الاسرى في ثلاث مدن غدت مراكز أبحاث على أن أهمها هو المركز الآنف الذكر « جند سابور » وهو مركز بالقرب من مدينة « سوسا Susa » (شوشن) المذكورة في العهد القديم من التوراة وهي المقر الملكي الشتوي الذي بالقرب منه أنشيء مدينة العسكر الاسرى وأطلق عليها اسم « به از أنديو شافور » أي « شافور خير من أنطاكية » ـ كما يذكر الطبري ـ على أن الاسم الذي اشتهر به هو « جنديسابور » أي « معسكر سابور » ولكن السريان السوريين من الاسرى سموه « بيت لابات » أي « بيت الهزيمة » وهو الآن خرائب تسمى « شاه أباد » تشهد على موقع « جنديسابور » ذلك المركز العلمي الذي لعب دورا هاما في تقدم العلوم ومنها الطب في العهد الفارسي والروماني وقد أصبح هذا المركز في الوقت الذي ازدهرت فيه العروبة مستودعا للتراث الاغريقي وهو أثمن ما في يد الحضارة العالمية بعد انتقال الحضارة الاغريقية زمن سيادة الاغريق والرومان والبيزنطيين الى بلاد الشام والعراق ووادي النيل وامتزجت مع الديانة المسيحية اعتنى سكان قطرنا بتراث هذه الحضارة ، فترجموه في أديرتهم ، ليس ما يتعلق منها بالدين فحسب ، بل بكل ما يتناول الامور الدينوية ولا سيما الطب . وغدا من تقاليدهم العلمية أن يكرسوا اهتمامهم الخاص بأرسطو ، وأبقراط ، وجالينوس وغيرهم من كبار العلماء والاطباء في الحضارة الاغريقية ، ونظرا لاضطهاد الامبراطورية البيزنطية للنساطرة السريان الذين وجدوا مأوى وملجأ لهم ولأبحاثهم عند الفرس ، وقد عاش نصارى ايران في سلام واطمئنان ما كانت الدولة الرومانية الوثنية تتيحهما لرعاياها المسيحيين ، ولكن الموقف تغير حين اعتنق الامبراطور « قسطنطين » الدين المسيحي ، فكان حينئذ على نصارى ايران والمناطق المجاورة للدولة الرومانية

أن يتحملوا نتيجة جذب واستمالة دولة قوية لهم دينها الرسمي ، ولكن سرعان ما حصل انقسام كنيسي حول طبيعة السيد المسيح مما أدى بالكنيسة البيزنطية اليونانية الرسمية باضطهادبعض رعاياها أتباع الكنائس الاخرى المخالفة لها . ومنهم النساطرة السريان الذين وفدوا الى بلاد فارس ولا سيما الى مركز جنديسابور واشتركوا مع الاسرى الذين سبق أن حدثناكم عنهم مما جعل هذا المركز من أكبر التجمعات والمراكز العلمية وبدأ ينافس جامعة الاسكندرية ذات النشاط العلمي ومركزه المتحف الذي أسسه « بطليموس » والذي لم يكن متحفا بالمعنى الحديث أي دارا للآثار ، وانما كان مركزا علميا لكبار العلماء والادباء تحت رئاسة أحد الكهنة لأجل عبادة العرائس Muses وعبادتهم عبادة عقلية والمتحف هو بيت هذه العرائس Museon وأهم ما في المتحف المكتبة التي جعل فيها البطالمة نسخة من كل مؤلف يوناني فكان في المكتبة حوالي نصف مليون ملف بردى ، كذلك فيها مرصد فخـم عمـل بـه « ايراتوستنيس » الفلكي الشهير و « أسطرخوس » والعديد غيرهم . ومن الاطباء « هيروفيلوس الخلقدوني Herophilus » الذي اشتغل في الطب والتشريح وعرف الاعصاب وقال - بعكس أرسطو - إن الدماغ وليس القلب هو مركز الجملة العصبية ، وكان أول من وصف الاثنا عشري وشرح الجثث وعرف أن الدم يذهب الى مختلف أقسام الجسم ، على أنه لم يكتشف الدورة الدموية - التي اكتشفت على يد ابـن نفيس الدمشقي كما هو معلوم . هذا النشاط العلمي لجامعة الاسكندرية جعلت كسرى الفرس « أنو شروان يقوم بتأسيس مدرسـة « جنديشا بور » لدراسة الطب والفلك ، فأقام مرصدا على نسق مرصد الاسكندرية وحشد الاطباء والعلماء من السوريين النساطرة وأسرى الحروب منهم - كما مر معنا - وبالتالي كانت اللغة المستعملة في هذه المدرسة السريانية باعتبارها لغة الاساتذة من

جهة ، ولغة المراجع العلمية ، ولا سيما الطب والفلسفة بعد نقلها من اليونانية الى السريانية ، هذه المدرسة التي غدا لها باع طويل في نقل العلوم الى العرب لمّا قامت دولتهم مكان دولتي الفرس والرومان البيزنطيين ، ولا سيما أن وقوع مركز « جنديشا بور » مركز الابحاث العلمية فياقليم « خوزستان » (عربستان) القريب من الخليج العربي ومن المنطقة التي أنشأ فيها الخليفة العباسي « أبو جعفر المنصور » مدينته « المدورة » « دار السلام » (بغداد) عاصمة الخلافة العباسية ، لذا لم تكن من صعوبة حالت دون انتقال العلماء اليها من مركزهم السابق « جنديشابور » الى مركـــز أبحاثهم الجديد في مدينة المنصور ، وقبلهما كانوا في منطقة ما بين النهرين نهرى دجلة والفرات في منطقة الجزيرة السورية في مدينة « الرها » و « حران Haron » (حرانو) « ونصيبيين » و « رأس العين » ، لقد جذبهم الى العاصمة ما كان الخلفاء والامراء يغدقون عليهم من المال والمنح والجوائز مما حدا بالبقية الباقية من الاطباء والعلماء السوريين السريان من هجر « جنديشا بور » والقدوم الى العاصمة التي غدت قبلة العالم ، وإن أول خليفة استقدم طبيبا من ذلك المركز هو الخليفة « أبو جعفر المنصور » حيث دعا اليه « جرسيس بن بختيشوع رئيس مدرسة « جنديشا بور » ورئيس أطبائها لمداواته .

ولا بد من القول بأن بني أمية كانوا حكماء في تشجيعهم العلم والعلماء وهم في مشاغل الحروب والفتوحات ، وفي ابقائهم على المدارس الكبرى المسيحية (السريانية) في سورية في الرها ورأس العين ونصيبيين ، ومدارس الصابئة الوثنية في حران ، أو الفارسية في « جنديسابور » أو اليونانية الهلنستية في « بيروت » « وإنطاكية » في سورية و « جامعة الاسكندرية » في مصر ، إنهم تركوها ولم يمسوها بأذى مما يدل على تسامحهم وعلى ادراكهم العلمي وتقديرهم للعلم و

العلماء لذا كانت بداية تدوين العلوم ونقلها الى العرب كانت في عهدهم ولا سيما علوم الطب الاغريقية حيث أخذت من ترجماتها السريانية في بلاد الشام مركز الخلافة الاموية وممن اشتهر بتشجيع العلماء ومشاركتهم أبحاثهم الأمير الاموي « خالد بن يزيد » الذي تنسب إليه بدايات علم الكيمياء على أن أشهر من قام بعمل رائع في مجال الطب هو الخليفة « عمر بن عبد العزيز » الذي لما أفضت اليه الخلافة قام بنقل تدريس الطب من الاسكندرية الى « إنطاكية » و « حران » – حسب رواية ابن أبي أصيبعة – وهما من المدن السورية ويستفاد من نفس الرواية أيضا أن طبيبا من « الرها » السورية اسمه « عبد الملك بن أبجر الكناني » كان قد أسلم على يد عمر بن عبد العزيز وصحبه وهو لا يزال واليا في مصر ، ولما أصبح خليفة أصبح طبيبه ، يعتمد عليه في صناعة الطب . ولا سيما أن هذا الطبيب كان متولي التدريس في جامعة الاسكندرية بعد الفتح الاسلامي . مما يدل على التقاء مدرسي الطب في كل من سورية ومصر في جامعة واحدة وعلى التبادل العلمي والثقافي . . .

وقد شهد علم الطب وسائر العلوم الازدهار في العصر العباسي ولا سيما في عهد المأمون الذي أنشأ بيت الحكمة في بغداد ، وهي من ابرز مكتبات العالم في تلك الايام ، وقد اتخذ منها المأمون مقرا للترجمة من السريانية الى العربية ، وجعل على رأس المترجمين « يوحنا بن ماسويه » طبيبه السرياني من أطباء « جنديشا بور » فكان بذلك العالم العربي الاسلامي قد جمع بين المراكز العلمية الطبية في المشرق والمغرب في عاصمة الدولة العباسية بغداد التي زخرت بالعلوم والفنون فقصدها العلماء من الشام والعراق وفارس والهند ومن مصر ، فكان منهم نساطرة بلاد الشام ويعاقبة مصر قد قدموا من أديرة الشام ومصر يحملون

العلم ولا سيما الطب ومؤلفاته وكتبه وبذلك انثالت العلوم والمعارف الطبية على وجه الخصوص من هذه المراكز مجتمعة من ينابيعها الصافية الدافقة الى مستودعها وخزانها العلمي الكبير « بيت الحكمة » .

الطب العربي ومكانة ابن الرازي فيه

اهتم العرب بالطب (علم الشفاء) بدءا من حديث الرسول العربي « محمد » (ص) القائل :

(العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان) . وبذلك أوضح الرسول أن دراسة الطب ودراسة الدين هما الشقان الأساسيان للمعرفة الانسانية .

يبلغ عدد الاحاديث الطبية عن النبي حوالي ثلثمائة حديث جمعت على حدة في كتاب الحديث تحت عنوان « الطب النبوي » وكان أطباء العرب قبل الاسلام وفي صدره يستقون معارفهم الطبية من وحي بيئتهم المحلية في جزيرتهم ، ولكن لم تخل بلادهم من أطباء تعلموا الطب في بلاد فارس أو في بلاد الشام والعراق ثم رجعوا الى وطنهم يمارسون مهنة الطب ، ويتكسبون منها وإن معظم هؤلاء الاطباء عاشوا في أواخر العصر الجاهلي وبداية الاسلام ومنهم من امتد به العمر إلى زمن الأمويين . من هؤلاء الاطباء « الحارث بن كلده الثقفي وابنه « النضر بن الحارث بن كلدة » وهذا الاخير هو ابن خالة الرسول العربي وقد شجع الرسول الطب والاطباء اذ نهى عن التواكل واهمال المرض وأمر بعلاجه عند ذوي العلم في الطب . كان اعتماد الناس والخلفاء في العصرين الاموي والعباسي على أطباء غير عرب ، وغير مسلمين ، وكان أكثرهم من النصارى الذين بقوا على دينهم ولاقوا من احترام الخلفاء وعامة الناس كل رعاية واهتمام ، لذا وضع هؤلاء الاطباء بين أيدي تلاميذهم العرب خلاصة الأبحاث الطبية اليونانية

والسريانية السورية و الهندية والفارسية . . .   فنشأ من تفاعل الطب الاعجمي والطب العربي القديم ، وتجارب أبناء الجنس الآرى ، والجنس السامي فيما بعد طب عرف بالطب العربي الاسلامي الذي تمثل ونما وازدهر في الحضارة العربية التي نضج بها وترعرع طبيب العرب والمسلمين « أبو بكر الرازي » .

ذلك أن هذا الطبيب وغيره من أبناء جلدته ممن ظهروا على أثر عصر الترجمة رجال فارسيو القومية عربيو اللغة والبيان ، وقد برز اثنان منهما حازا شهرة ملأت الأسماع : هما الرازي وابن سينا ، وباسمهما تزدان القاعة الكبرى في مدرسة الطب في باريس . كما أن جامعة « برنستون في الولايات المتحدة الامريكية كانت قد خصصت أضخم ناحية وأجملها في أبنيتها لمآثر علم من أعلام الحضارة الخالدين فاختارت طبيبنا العربي « الرازي » .

هذا الطبيب الذي كان حجة الطب في أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادي ، والذي اعتبره ابن أبي أصيبعة بأنه « جالينوس العرب » ووصفه « ابن النديم » (أن الرازي أوحد دهره وفريد عصره . قد جمع المعرفة بعلوم القدماء سيما الطب) . وقال بعضهم « كان الطب معدوما ، فأحياه جالينوس ، وكان الطب متفرقا ، فجمعه الرازي » .

كان مولد ومنشأ « أبي بكر محمد بن زكريا الرازي » في مدينة الري في ايران . ولما شب سافر الى بغداد وأقام بها مدة يستقي ويلتقي بعلمائها وأطبائها . وإن صناعة الطب انما تعلمها بعد أن كبر على يد الطبيب « علي بن ربن الطبرى » صاحب الكتاب « فردوس الحكمة وهو كتاب في الطب والفلسفة الطبيعية . وإن هذا الطبيب واحد من الشيوخ الذين تلقى عنهم الرازي علمه وطبه وهو من أهم

الأطباء في ربيع العصر العباسي الذهبي ومشاركة في ذلك الربيع تلميذه الرازي الذي درس الى جانب الطب الكيمياء والسمياء وعرف عند الاوربيين في العصور الوسطى باسم « رازس » . لقد كان الرازي في شبابه شغوفاً بالموسيقى ويجيد العزف على العود ، ولكنه لم يبلغ مبلغ الفيلسوف الطبيب الفارابي في تمكنه من الموسيقا وعلومها وفنونها ، وكذلك فقد وقف نفسه على الفلسفة ، ولكنه كان طبيباً أكثر منه فيلسوفا وهذا على نقيض ما كان عليه « ابن سينا » لأن هذا كان فيلسوفاً خيراً منه طبيبا – كما يرى الدكتور ادوارد . ج . براون – بينما الرازي كان طبيبا أبرع منه فيلسوفا .

وإن لقصة دراسته الطب حكاية تبدأ عندما قام بزيارة للمستشفى المعروف بالميمارستان العضدى ليشاهده وقد طبقت شهرته الآفاق ، فاتفق أن ظفر برجل شيخ صيدلاني يعمل فيه ، فسأله عن الادوية ، ومن كان المظهر لها في البدء . مما يجعل الرازي في نهاية القصة كبير أطباء مستشفى مدينة الري . حيث كانت دروسه فيها مستمرة ، وكان يرى محوطا بتلاميذه وتلاميذ تلامذته ، فكان هؤلاء هم الذين يقومون أولا بفحص كل مريض يتقدم طالبا العلاج ، أي كان يفحصه أولا أطباء الامتياز كما نقول الآن ، فاذا كانت الحالة عسيرة عليهم ، عرضت على تلاميذ الاستاذ المباشر ، وأخيرا تعرض عليه هو اذا لزم الامر . ثم غدا الرازي كبير أطباء مستشفى بغداد الكبير .

الرازي رئيس مستشفى بغداد الكبير : (المستشفى العضدى) :

لقد بز الرازي أقرانه من الاطباء باعتباره ملاحظاً اكلينكيا ممتازاً أغنته عن كتابات سابقيه أو معاصريه من الاطباء مما أهله لأن يغدو كبير أطباء مستشفى بغداد الكبير الذي عرف فيما بعد بمارستان العضدي الذي بنى وأثث وأنفق عليه من جيب عضد الدولة بن بويه

الذي حكم من عام / ٩٤٩ / ٩٨٣ م / وكان يرعى العلوم والفنون . أما علاقة الرازي بهذا المستشفى فمشكوك فيه رغم قول « ابن أبي أصيبعة » : أن الرازي درس الطب بعد أن زار هذا المستشفى وإن عضد الدولة لما أراد أن يبني المستشفى كلف الرازي بانتقاء أحسن موقع له في بغداد وإنه اختاره عميدا للمستشفى من بين مائة مرشح فان ابن أبي أصيبعة نفسه يعترف بأن الرازي عاش قبل قيام « عضد الدولة » وأنه توفي سنة / ٩٣٢ هـ / ولربما كان الرازي يعمل في مستشفى تحول اسمه فيما بعد الى عضد الدولة بعد انفاقه عليه وتجديده .

بني مستشفى عضد الدولة عام / ٣٧١ هـ الموافق لعام ٩٨١ م / وكان فيه أربعة وعشرون طبيباً منهم المختصون بالامراض الداخلية أو الجراحية أو أمراض العيون آو التجبير ، وأشهر الاطباء الذين تولوا رئاسته كان جبرائيل بن بختيشوع السرياني وثابت بن قرة الحراني من مدينة حران حاضرة بني مضر من آرض الجزيرة السورية ، وهكذا السريان ظلوا الى عهود متأخرة من العصر العباسي فيهم رئاسة الطبابة قائمة في العاصمة بغداد .

لقد زار الرحالة المغربي الشهير « ابن جبير » بغداد عام /١١٨٤ م / ووصف المستشفى العضدي بأنه شهير وشبيه بالقصور يحتوى على عدة أجنحة وعدد كبير من الغرف والقاعات ، وفي كل قسم فراش من أجود الفرش وإن الراحة متوفرة فيه توفرها في القصور ، وفي كل قسم منه الماء جار من مياه دجلة . . . وحديثنا عن هذا المستشفى الكبير يقودنا الى الحديث عن تديه المستشفى النوري في دمشق والمستشفى المنصوري في القاهرة .

فالمستشفى النوري في دمشق فقد بناه وفرشه ووقف له الاموال اللازمة الملك العادل نور الدين زنكي عام / ١١٥٤ م / ويقال إن

المال الذي أنفق على بنائه كان فدية أحد الامراء أمراء الفرنج الصليبيين الذين أطلق « نور الدين زنكي » سراحهم . وقد اشترى « بدر الدين ابن قاضي بعلبك » الذي تولى ادارته سنوات بضعة بيوت مجاورة للمستشفى بعد انشائه وأضافها الى المستشفى لتوسيعه لكي يستوعب أعداد أكبر من المرضى والمصابين وزين قاعاته وجلب المياه الى أقسامه وقد جاء في وصف ابن جبير لهذا المستشفى وقد زاره عام / ١١٨٤ م / ما يأتي:

((في دمشق مستشفى يحفظ سجلا خاصا يدون فيه أسماء المرضى والمصروف على الطعام والدواء وبقية اللوازم)) .

وقد كتب عن هذا المستشفى مطولا « ابن أبي أصيبعة » صاحب كتاب : « عيون الانباء في طبقات الاطباء » وكان قد درس فيه الطب ، وكان من الرؤساء الذين تقلدوا ادارة هذا المستشفى وأنه عن طريقه وبفضل تأليفه كتابه الآنف الذكر الذي هو أحفل كتبنا التي أرخت للطب والاطباء ، قبل الاسلام وبعده ، وأجمعها لشتات ما تبعثر في الكتب الكثيرة عن حكماء العرب والاسلام ، وعن سير الطب في مختلف العصور ، واستند « ابن أبي أصيبعة أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة موفق الدين الخزرجي » الذي ولد في دمشق ودرس الطب على مشهورى أطبائها في أواسط القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، وأضحى – كما قلنا – من اطباء وعلماء مشفى النوري ، ولقد مارس طب العيون حينا في القاهرة ، ولكنه قضى معظم حياته في سورية متنقلا بين دمشق و « صلخد » من أعمال محافظة السويداء في القطر العربي السوري عند أميرها الوزير أمين الدولة وزير الملك الصالح بن الملك العادل الذي قدم اليه « ابن أبي أصيبعة » كتابه « عيون الانباء في طبقات الاطباء » استمد معلوماته من المؤرخين والاطباء ممن سبقه والى ما سمعه واختبره بنفسه ، على

أن القسم الاكبر من الكتاب مستمد من معلوماته الخاصة ، ومن معلوماته التي استمدها من والده وعمه اللذين كانا من الاطباء المعروفين ، ولهما أصدقاء عديدون من أطباء العراق ومصر وسورية . لقد وصف هذا الكتاب حياة ــ ٤٠٠ ــ طبيب ونيف ، وذكر تآليفهم ، وضمنه معلومات أخرى عن سائر العلوم والفنون . . . والذي يهمنا من كل ذلك أن هذا المؤلف الدمشقي السوري أفاض في ذكر « الرازي » موضوع احتفالنا هذا اليوم .

وممن كان من رؤساء المستشفى النوري وتولوا ادارته « ابن المطران » ، و « ابن قاضي بعلبك » و « عمران الاسرائيلي » و « ابن النقاش » و « ابن اللبودي » و « الداخوار » . . .

وكان هذا المستشفى المركز الرئيسي للعلاج خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، وقد أقبل عليه الزوار من الاندلس والمغرب ومصر والعراق ، ولا يزال بناؤه قائما الى الآن وقد اتخذ منه مدرسة لتعليم البنين أمداً طويلا ثم انتقلت منه المدرسة بناء على طلب « المديرية العامة للآثار والمتاحف » لتحويله الى متحف يمثل عهده القديم الذي كان فيه مستشفى . . . . فلها جزيل الشكر على ذلك . أما المستشفى المنصوري في القاهرة فقد بناه « الملك المنصور قــلاوون » وذلك أنه لما كان أميرا أصيب وهو في بلام الشام بقولنج عولج في المستشفى النوري . وقد أعجب ببناء المستشفى وترتيبه و بخدمة المرضى والمصابين فنذر أن يبني مثله في القاهرة عندما يتولى الملك ، وقد وفى نذره وبنى المستشفى عام / ١٢٨٢ م / . وأوقف لــه ما يكفيه من الاملاك وأطلق عليه اسمه . وقد جاء هذا المستشفى أفخم من سابقيه في الاناقة والاتقان ، ومن بين الاطباء المشهورين الذين خدموا فيه كان « ابن الصائغ » و « ابن النفيس » الطبيب الدمشقي الشهير الذي انتقل من

دمشق الى القاهرة ومن اعماله الطبية الباهرة ايجاده « الدورة الدموية الصغرى » وبما أنه عاش في القرن الثالث عشر الميلادي وهو العصر الذي امتاز به الغرب بظهور الجامعات فان لنظريته في الدورة الدموية بدء التسرب الى أوربة اذ في عام/١٥٤٧ م/نشر في البندقية طبيب ايطالي يدعى « ألباجو » ترجمة لاتينية لاجزاء كثيرة من شرح تشريح القانون لابن النفيس وبعد ذلك بست سنوات من ظهور ترجمة « ألباجو » ظهرت أول ثلاث مؤلفات لثلاثة من العلماء تحدثوا ـ الواحد تلو الآخر ـ عن دورة الدم في الرئة وأول هؤلاء العلماء في رأي ـ الدكتور بول غليونجي ـ هو ميجيل سرفتيوس الاسباني الاصل وأن ثانيهما هو « ريالدوا كولومبو » فقد درس بالبندقية وبادوا في ايطاليا وعين أستاذاً للجراحة في بادوا عام ١٥٤٠ م . وأن ثالثهم هو « أندريا سيزالبيتو » فكان أستاذاً في جامعة روما وإنه أول من استعمل لفظة الدورة . « Circulation » من بين من صنفوا في الطب في مؤلفه « مواضيع المشائين » وأن هارفي ظهر من بعده باحدى وخمسين سنة بنظريته في مؤلفه « دراسة تشريحية تحليلية لحركة القلب والدم في الحيوان » الذي ظهر عام ١٦٢٨ م واذا كان الطب التجريبي يحتل في العصر الحديث أهم مكانة في العلاج فان الرازي هو أول من قام به في العالم ، اذ أجرى تجاربه الطبية والعلاجية على الحيوان قبل تجربتها على الانسان واختار القرد لتجاربه ، وكذلك فعل من بعده « ابن نفيس » الذي قصر انتقاده لتعاليم « جالينوس » و « ابن سينا » على ما قاله في التشريح ، وقبوله أقوالهما في غير ذلك قبولا تاما ، ووضع هذا الانتقاد في مؤلف خاص هو « شرح تشريح القانون » وابتداعه ـ كما يقول الدكتور غليونجي ـ أول مرة في التاريخ بدعة تصنيف مؤلف خاص بالتشريح مما يدل على وضعه التشريح في موضع خاص وهام مما يوحي باجرائه الصفات التشريحية ، كقوله « والتشريح يكذب

هذا » وكذلك فافراده أبواباً كاملة لمنافع فن التشريح وللوصول الى علم التشريح عن طريقه ، وأبواب أخرى للآلات التي تستعمل من أجله ، وكذلك استحالة درايته بالاوعية الأكليلية دون معاينة القلوب ، وان كانت قلوبا اشتراها من اللحامين . . . وكذلك فقد استعمل الرازي في تنشيط الدورة الدموية في علاج ضربة الشمس على قدمي المصاب وفرك موضع القلب منه ، وبعد لحظات عادت الحياة الى المصاب الذي اعتقد ممن حوله بأنه فارق الحياة . وقد استدعاه الخليفة ليسأله عن مهنته و معجزته فيها ، فأجابه : « أنه المرض والتشخيص ثم العلاج . ان الرجل كان مريضا ، ومرضه ضربة شمس ، وعلاجها تنشيط الدورة الدموية » . واليه ينسب اختراع الفتيلة في الجراحة ، وقد بلغت مؤلفاته في الطب أكثر من مائتي كتاب لذا يعتبره « ادوارد براون » (أقدر الاطباء المسلمين وأكثرهم ابتكارا وأعظمهم انتاجا) ، ومن اشهر كتبه « كتاب المنصوري في عشرة أجزاء ، وكذلك كتاب « الحاوي » في عشرين جزءا وهو دائرة معارف ، وكان طويل الباع في علم كيمياء وكتابه فيه « كتاب الأسرار » على أن أشهر رسائله الطبية رسالته في « الجدري والحصبة » وهي أقدم ما كتب في هذا الموضوع ، وتعد تحفة في علم الطب العربي نشرها في بيروت عام ١٨٧٢ م الدكتور « فانديك » .

هذه لمحات من حياة الرازي ولقطات من تاريخ الطب العربي فالرازي كان يعالج الفقراء مجانا ، ويشتري لهم الدواء من ماله ، لذا مات فقيرا رغم شهرته الواسعة ، ولم يترك الا علما واسعا ، وخلقا كريما ، ومجدا تالدا رفيعا متجددا للعرب والمسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، لأننا نحن العرب نضع نصب أعيننا دائما الحقيقة التاريخية التي يعترف بها كل عالم منصف ، وهي أستاذيتنا للعلم

كله ، وإن حضارتنا العربية الاسلامية كانت بحق الأساس الثابت والقوي الذي بني عليه صرح الحضارة الحاضر عصر غزو الفضاء والتقدم التكنولوجي وإن على الشعوب الاوربية دينا في أعناقها لامتنا يجب الوفاء به وهذا ما تدركه المجموعة الاوربية في أيامنا هذه حيث يتركز مفهوم الحوار العربي الاوربي بآفاقه المستقبلية الى عودة التعاون العلمي والتقني بين العالم العربي والعالم الاوربي في عصر نهضتنا العلمية وتوسعنا في التعليم الجامعي كما حصل لاوربة في عصر نهضتها حيث التقى العالم المسيحي الأوربي بالعالم الاسلامي العربي في العلوم التي نقلت وترجمت من اللغة العربية الى اللاتينية ودرست في جامعات « سارنو » و « بادوا » و « بولونيا » و « باريس » و « روما » و « اكسفورد» وغيرها من الجامعات الاوربية . . .

واذا صح القياس بالاستنتاج على أحداث الماضي فسيتلو هذا الدور الذي يجتازه وطننا العربي اليوم دور ابداع وابتكار يقوم فيه أبناء العربية بقسطهم من خدمة المدنية والانسانية والسلام .

المراجع

طبقات الامم	صاعد الاندلسي
الفهرست	ابن النديم
عيون الانباء في طبقات الاطباء	ابن أبي أصيبعة
علوم اليونان وسبل نقلها الى العرب	د. لاسي أوليرى
تاريخ الحضارة الاسلامية	ف. بارتولد
تاريخ الفلسفة الاسلامية	د ى . بور
الاسلام والعرب	روم لاندو
تراث فارس	ا . ج . أوبرى
الطب العربي	ادوارد . ج براون
تاريخ سورية ولبنان وفلسطين	د. فيليب حتي
تاريخ الادب السرياني	د. مراد كامل وزميليه
العلوم عند العرب	قدري حافظ طوقان
قصة الحضارة ج ١٣	ول ديورانت
المدخل الى تاريخ الحضارة	د. جورج حداد
ماذا حدث في التاريخ	جوردن تشايلد

La Civilisation Arabe	**Jacques C. Risler**
Histoire de la Médecine que sais-je	**Par le Dr. R. Bouissou**
L'Islam	**Dominique Sourdel**

علم الطب البيطري عند العرب

الدكتور عبد الرزاق السمير

كلية الطب البيطري – جامعة حلب

لقد كتب العرب في عصر نهضتهم أبحاثا كثيرة ومتفرقة عن الحيوان . ويعتقد أن الجاحظ أول عربي وضع كتابا يبحث فيه عن الحيوان (د . الشطي ١٩٦٤) ولم يكتف العرب بالتأليف بل نقلوا الى لغتهم كتبا تبحث في طب الخيول وفي هذه الفترة عرف الطب البيطري عصره الذهبي وقد ذكرت أقوال كثيرة منها قول الرسول وأدباء عرب كثيرون حثوا على العناية بالحيوانات عامة وبالابل والخيل خاصة . وليس خافيا على أحد أن حب العرب للفروسية والخيل والابل حسب ما نقرؤه في الروايات الشعبية ، وكذلك فان العربي يرى الفرس اليفه الأمين وفي الابل عماده القويم .

ولقد وضع القزويني كتابا سماه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات يبحث فيه عن الحيوان وأيضا وضع الدميرى كتابا سماه حياة الحيوان حيث إنه ذكر فيه ما يزيد عن التسعمائة من الحيوان مع ذكر اسمائها والفصيلة التي تنتمي اليها وكذلك عن الطباع التي تتصف بها هذه الحيوانات وعن صفاتها العامة ويذكر شيئاً عن خواصها . كما أن محمد بن يعقوب سنة (٦٩٥ هـ) وضع كتبا مفصلة وكثيرة عن طب الخيول ، ونرى أن حنين بن اسحق الذي توفي (٨٧٣ م) ترجم الى اللغة العربية بعض الكتب عن الطب البيطري . كما أن قابوس

الذي كان في خدمة سلاطين العرب والاسلام وضع كتبا عديدة ومختلفة عن طب الخيول (حيث الغرب وجدها من الكتب الجيدة الممتازة) . ونرى بعض علماء العرب الذين اشتهروا في الكتابة بهذا الموضوع ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي ، وفي القرن الثامن عشر كتب أبو زكريا يحيى بن احمد بن العوام كتاب الفلاحة والذي أبرز فيه فن الطب البيطري وخص جزءاً كبيراً من هذا الكتاب لهذا الفن . وحيث إن الكتاب المذكور قد ترجم الى اللغتين الاسبانية والفرنسية ، وفيه بعض الفصول التي تبحث عن صحة الماشية والخيول وكيفية تربيتها ، وطبيعتها ، والعناية بهـا ، والادوية اللازمة . وذكر ما هي الطرق الحكيمة التي يجب استعمالها في المعالجة من تمسيد وتدليك وغسل وتفريك وتحريك .

ومن العلماء أيضا الحافظ شرف الدين الديمياطي الذي ألف كتاب الخيول في ثلاثة أجزاء وذكر فيه أمراض الخيول وكيفية معالجتها . وكذلك وصف الخيل وألوانها وذكر الحروق وكيفية علاجها . وذكر أيضا الادوية والامراض .

والأصمعي كتب في اختيار اوقات انتاج الخيول . ولسان الدين بن الخطيب الاندلسي من أهل القرن الثامن للهجرة كتب عن الطب البيطري عند الخيول وقد ألف أبو بكر بن بدر لمحمد بن الناصر ابن قلاوون كتابا في كل ما يتصل بالخيل سماه الناصري ويعتبر هذا المؤلف أفضل ما وضع في الطب البيطري في القرون الوسطى . ويوجد أيضا كتاب عن الخيل اسمه السراج الوقاد في طب الجياد . وهو كتاب نادر . وبعد كتاب الناصري وضع أحد المؤلفين كتاباً عن الخيل وسمي كتاب الاقوال . وذكر تاريخ المخطوط الذي عثر على هذا الكتاب (١٣٣٧ هـ) وقد ترجم الى الفرنسية ويذكر فيه عن الحيوانات

الداجنة ، وطبها ، وكيفية الحفاظ عليها ، وصحتها ولا سيما الخيل والفيلة . ويوجد في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق كتاب عن الخيل وصفاتها ، وفيه ثلاثة رسوم احدها للفرس الاصيل والثاني للفرس المشوه ولادياً والثالث للفرس الذي طرأت عليه العيوب .

ومن المعروف عن العرب انهم تمكنوا في الأزمنة الاولى من جمع كثير من العلوم ومنها الطب البيطري . حيث إنهم عرفوا كثيرا عن الامراض التي تصيب الحيوان ومنها الجرب والطاعون والزحار والكلب والرعام ومعظمها تصيب الابل وأيضا عرفوا بعض الامراض العصبية والعينية للابل والخيل .

وقد كتب داود الضرير الانطاكي الذي نشأ في القرن العاشر للهجرة في مؤلفه الكبير المسمى بالتذكرة عن البيطرة فصولا قال فيها :

البيطرة – علم بأحوال المواشي من جهة وما يصلحها ويحفظ عليها الصحة وهي من العلوم المحتاجة الى الطب قطعا وعلى ذلك يمكن الكتابة الشيء الكثير عن الفصول التي ذكرت في الكتاب هي أولا صنعة البيطار والثاني آليته والثالث في موضوع هذه الصناعة وميادينها والرابع كيفية اختيار الخيول والخامس عن صفاتها وطبائعها السيئة ، وخصالها المطلوبة .

ولكن المؤلف يستعمل بعض الكلمات الغربية مع قوته باللغة العربية مثل التبشيم .

وهناك مؤلفات كثيرة عن الطب البيطري ضاعت ولم يعرف كاتبها ولم يعثر على أثر لها .

أخلاقيات مُزاولة الطبّ في التراث الإسلاميّ وواقعه اليوم

الدكتور احمد شوكت الشطي

جامعة دمشق

اخلاقيات مزاولة الطب : تعبير جديد موفق يرجح في نظري على تعبير آداب الطب المصطلح عليه سابقاً(١) وذلك لقلة كلماته وبلاغة معانيها وشمولها(٢) .

كلمة تاريخية : لقد ولد بحث هذا الموضوع مع ولادة الطب وكانت قوانين حامورابي اولى ما وضع من اسس في اخلاقيات المهنة . وقد لخص قسم ابقراط الشهير اخلاقيات مزاولة الطب بكلمات تثبت ما زال مقبولا منها ومعمولا به حتى الآن :

اقسم برب الحياة والموت وواهب الصحة والشفاء على انني ارى المعلم في هذه الصناعة بمنزلة آبائي واقصد بقدر طاقتي منفعة المرضى واحفظ نفسي علي الزكاة والطهارة واحافظ على السر الطبي . وجاء الاسلام فاعطى هذا الامر ما يستحقه من اهتمام .

---

١ – Deointologie medicale يعني هذا التعبير العلم الباحث عن وظائف الاطباء مع انه في الواقع علم مبين ما للاطباء وعليهم لذلك اقترحنا تسميته في كتابنا المطبوع سنة١٣٨٦ – ١٩٦٧ بعلم سلوك الاطباء .

٢ – الواقع ان كلمة الخلق بضمتين تعني السجية والطبع والمرؤة والدين وكل ذلك ذو صلة بالطب .

وقد وضع العرب في انظمتهم تشريعا عرفوا به ما للاطباء وما عليهم وجعلوا الاشراف على ذلك من واجبات المحتسب في ديوان الحسبة وهو قانون مدني أنيط تنفيذه بالمحتسب فعهد اليه بأمور عديدة ومنها مراقبة الصحة العامة وسلوك الاطباء .

كان على المحتسب ان يشرف على اخذ العهد من الاطباء ، وهو عهد يشبه قسم ابقراط في بعض نواحيه ، يستحلف به استاذ الطب العربي الطبيب الجديد مخاطبا اياه : برئت من قابض انفس الحكماء وفياض عقول العقلاء ، ورافع اوج السماء ، مزكي النفوس الكلية ، وفاطر الحركات العلوية ان خبأت نصحا ، او بذلت ضرا او تلبست بما يغم النفوس وقعه ، او قدمت ما يقل عمله ، اذا عرفت ما يعظم نفعه وعليك بحسن الخلق بحيث تسع الناس على نفعك ، واستفرغ لمن القي اليك زمامه ما في وسعك فان ضيعته فانت ضائع ، وكل منكما مشتر وبائع ، والله الشاهد علي وعليك في المحسوس والمعقول ، والناظر الي واليك والسامع لما نقول ، فمن نكث عهده ، فقد استهدف لقضائه ، الا ان يخرج عن ارضه وسمائه ، وذلك من أمحل المحال .

المشاكل المعقدة في اخلاقيات مزاولة المهنة الطبية : انها كثيرة فضلنا البحث عن اكثرها تعقيدا وتطورا وما دارت حوله مناقشات عديدة وقيلت فيه آراء متباينة ، منها :

السر الطبي

السر في اللغة ما يكتمه الانسان في نفسه وفي الطب كتمان ما اطلع عليه الطبيب من احوال مريضه الذي يفصح بها للطبيب ولا يجوز افشاؤها ويعزى الى ابقراط قوله في هذا الشأن : ان كل ما رأيته او سمعته في مهنتي او خارجها ، ما يجب ان لا ينشر بين الناس سأحتفظ به احتفاظي بالسر .

يقصد المريض الطبيب مستعدا للاجابة عن جميع الاسئلة التي يوجهها اليه فيذكر له من اسرار حياته ما لا يفضي به الا اليه . لقد اكسبته اجازة الطب الطبيب حق الاطلاع على ما يخفى عن الصديق الصدوق ، وعن المحامي في دفاعه عن الحقوق ، حتى عن الراهب الورع واذا كان على اولئك جميعا ان يمسحوا من ذاكرتهم ما علموا به فان على الطبيب ان لا ينسى السر وان يسترد ذكراه كلما دعت حاجة المريض الى ذلك في سني حياته المقبلة ولذلك جاء في القوانين مواد تتعلق بالسر الطبي وبالتشديد على كتمانه ، ولكن التطور الاجتماعي الحاضر ، وطراز الحياة الحالي ، وتبدل ظروف المعيشة وتقدم العلم ، كل ذلك أدى لا الى تقليص قيود السر الطبي فحسب بل اوجب إفشاءه في بعض الحالات ضمانا لمصلحة المحتمع كما في الاخبار الامراض السارية والاعلان عن الاعتداءات وعن الولادة السرية .

ونستميح لانفسنا ان نطرح في ذلك بعض التساؤلات :

ترى ما يجب ان يكون موقف الطبيب عند مريض شك في تسممه ! ان الرأي المرجح في هذه الحالة يطلب من الطبيب اخبار المدعى العام بالأمر ، وعليه في هذه الحالة ان يكون زائد الروية ، شديد الحذر قبل الاخبار ، فقد تكون علائم التسمم مسببة عن حالة مرضية معوية تشبه اعراضها اعراض التسمم ، فاذا وقع الطبيب في مثل هذا الخطأ القى بنفسه في مأزق حرج جدا وعرض نفسه لا للملاحقة المسلكية من قبل الاطباء والملاحقة الجزائية القانونية فحسب بل الملاحقة الحقوقية الشخصية اذ يحق للمريض المخبر عنه اقامة الدعوى على الطبيب ومطالبته بتعويض كبير جدا تقره عادة المحاكم .

ترى ما الذي يجب على الطبيب في حال تأكده من تسمم مريضه على ايدي ذويه ونجاته على يديه مع الحاح المجنى عليه ، بل

إصراره على عد م الاخبار وتامينه الطبيب على ذلك لاسباب جوهرية تتعلق بسمعة العائلة ومستقبل افرادها ؟

هذا سؤال نطرحه للمناقشة لانه جوهري ولأن وقوعه محتمل وغير نادر ، وفي رأينا ان هنالك مبررات تدعو الى كتم السر ترضى الضمير والوجدان وان خالفت القانون .

ترى ماذا يجب على الطبيب حين اطلاعه على ولادة سرية لم يعلن فيها اسم الوالد في بلد توجب قوانينه على الطبيب او القابلة او كل شخص مهني شهد ولادة ان يصرح بها للسلطات في الايام الثلاثة التي تلي وقوعها ؟

سؤال آخر جدير بمناقشة أجوبته : والجواب في نظرنا أن إعلام الطبيب الدوائر المختصة واستلامها زمام الامور للتحقيق فيها افشى للسر وادعى للفضيحة من اي عمل كان ولذلك فاننا لا نناصر ذلك الرأي ونرى ان يناقش الموضوع للتعرف على حل أنسب كأن يناط الاخبار باشخاص آخرين كمختار المحلة .

السر الطبي في المحاكم

ترى ماذا يجب على الطبيب ان يفعله اذا استشهد امام المحاكم للكشف عن سر اطلع عليه اثناء قيامه بمهنته ؟ انه في هذه الحالة ملزم بالحضور الى المحكمة وله ان يصرح بعد اليمين بانه يعتبر الحوادث التي يسأل عنها من اسرار المهنة ذلك ما نرتئيه .

ولكن ماذا يكون موقفه اذا طلب منه القضاء ان يفضي بالسر امام المحاكم ؟

درس ريست(١) هذه المواضيع وخرج منها بان التطور الحالي في العالم يدعو الى تيسير التحلل من قيد السر بحذر .

ويفرق الاستاذ غالوا(٢) بين المريض وطبيبه الخاص والمريض والطبيب الموظف ويرى ان السر الطبي اتفاق مقدس بين الطبيب ومريضه ، ثم يقول اذا طلب مني مريض ان اكتم سره فانا مرتبط به على انه اذا كانت مصلحة المريض تقضي بافشاء السر عن حالته المرضية وسمح لي بذلك فليس لي الا الاذعان .

اما اذا كلفتني الحكومة او شركة من الشركات بمراقبة عامة على صحة مواظفيها او مستخدميها او لفحصهم مخافة وجود امراض معدية بينهم فان المتفق معي هو الحكومة او الشركة لا المريض وواجبي يحتم على ان ادافع عن حقوقهما وان اكشف السر لان المرضى الذين اطلعت على حالتهم ليسوا في مثل هذه الحالات مرضاى وليس لي ارتباط بهم لان ارتباطي هو مع السلطة او الشركة التي وظفتني وبالتالي فأني ملزم بالكشف لها عما اطلع عليه حين طلبها . وهذا ما يوجب تمييز الطبيب الموظف من الطبيب المعالج . فاذا جمع بين الصنفين في آن واحد كان وضعه غير صحيح لان واجبه في حالته الاولى يحتم عليه السير بتعاليم الوظيفة التي ارتبط معها طائعاً مختاراً ، بينما يجب عليه في الحالة الثانية ان يكون امينا على سر مرضاه ، وكثيرا ما تتباين خطة السير الواجبة الاتباع في كل من الحالتين المذكورتين .

---

١ – Rist ولد في ستراسبورغ سنة ١٨٧٦ توفي سنة ١٩٥٦ كان كثير التجوال عمل في مصر وغيرها من البلاد العربية ، أشرفت مرة السفينة التي ركبها على الغرق في البحر الاحمر فانقذها عرب شجعان وكان ريست ممن انقذوا . عرف بدفاعه عن مهنة الطب وبأرائه الخاصة في السر الطبي وبالدعوة الى احترامه من جهة والتحرر منه في ظروف خاصة من حياتنا الاجتماعية ، له مؤلفات كثيرة في هذا الشأن (٢) Gallois

ولا يجوز في نظرنا ان يكون البوح بالسر في مهنة الطب عرضة للعقاب الا اذا كان المقصود منه ايذاء المريض في سمعته وكرامته او مكانته او ضرر ذويه ومن يلوذ به فاذا كشف الطبيب عن السر معتقدا ان كتمانه ضار فقد انتفى بذلك محذور اضرار المريض ، فاذا اخطأ تقدير الطبيب كان عدم تعمده الضرر او الاساءة مبررا لنفي العتاب وكم بالحرى الخلاص من العقاب .

وفي كل حال تبقى قضية السر في الطب عرضة للمناقشة وتبقى الحكمة القائلة باحترام السر جديرة بالامعان واليك نصها :

لا طبابة بدون ثقة ولا ثقة بدون ائتمان ولا ائتمان بدون سر .

المسؤولية الطبية

هي المسؤولية التي تلحق بالطبيب من جراء مزاولته صناعته ، ان الطبيب مطالب بتقديم العناية اللازمة لمريضه حسبما يقتضيه الفن والوجدان ولا يسأل الا اذا اهمل ذلك .

ولا بد لكي تقع هذه المسؤولية من تحقق شرطين : أحدهما وجود الاذى والضرر والثاني وجود صلة بين الضرر الحاصل والخطأ الطبي الواقع ، ولا تصح المطالبة بتعويض عن الضرر الحاصل الا اذا قام الفاعل بعمله دون ان يكون له حق بذلك او يكون قد انتهك حرمة القوانين المرعية بهذا الشأن او تجاهل الالتزامات التي قيد نفسه بها .

المسؤولية الطبية في الاسلام

لقد عالج العلامة الامام جلال الدين السيوطي في مؤلفه الطب النبوي الذي جمع فيه الاحاديث الشريفة المتعلقة بالطب المسؤولية الطبية في الاسلام ففرق بين المتطبب والطبيب ومسؤولية كل منهما .

قال عن المتطبب إنه المتكلف بالطب غير المأذون فيه ، وقال عن الطبيب انه العالم بالطب المجاز في تعاطيه .

١ ـ **مسؤولية المتطبب :** روى في صدد المتطبب الحديث الشريف : من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن ويعتبر مسؤولا من ناحيتين ؛ ناحية جهله من جهة وتغريره بالناس من جهة ثانية ، لذلك يضمن التلف ـ العطل والضرر ـ .

٢ ـ **مسؤولية الطبيب :** تختلف في نظر الاسلام مسؤولية الطبيب ، ويلحق بها افتراض امور عديدة تعتريها احكام عدة :

اولها : طبيب حاذق اعطى الصنعة حقها ولم يرتكب خطأ فتولد من فعله تلف العضو او التنفس او الوظيفة فهذا لاضمان عليه اتفاقا .

اما اذا كان الاذن بالفعل مشروطاً بالسلامة وقبل الطبيب بهذا الشرط' كان ضامنا في نظر بعض الأئمة وغير ضامن في نظر الآخرين لانهم عدوا الاذن مسقطا لشرط السلامة .

ثانيها : طبيب حاذق أذن له واعطى الصنعة حقها لكنه اخطأ في يده فانه ضامن لأن عمله يعتبر جناية خطأ .

ثالثها : طبيب حاذق اجتهد فوصف للمريض دواء خطأ فادى ذلك الى تلف النفس او ذهاب صفة من الصفات . يوجب الاسلام في هذه الحالة دفع التعويض او الدية وقد اختلف فيمن يجب عليه ذلك فقال بعضهم الطبيب وقال آخرون بيت المال .

رابعها : طبيب حاذق اعطى الصنعة حقها فاجرى عملية وادى ذلك الى تلف او الى ذهاب صفة من الصفات فانه اي الطبيب غير ضامن .

خامسها : طبيب حاذق اعطى الصنعة حقها فاجرى عملية لرجل بغير إذنه ، أو لمجنون لم يستشر المسؤول عنه أو صبي بغير اذن وليه وادى ذلك الى تلف او ذهاب صفة من الصفات فانه يضمن لأن التلف تولد من فعل غير مأذون فيه .

سادسها : طبيب حاذق اعطى الصنعة حقها فاجرى لرجل أو مجنون او صبي عملية بعد الاذن ووقع تلف أو ادى ذلك الى ذهاب صفة من الصفات فانه لا يضمن التلف مطلقا .

قد يتصور القارىء أنه ليس لهذا البحث الا قيمة تاريخية وهذا خطأ لأن الامثلة التي اوردناها يصح أن تتخذ أساساً صالحا لتقدير المسئولية الطبية ، يفوق بصلاحه الاساس الذي اتخذه الغربيون عن التشريع الروماني في تقدير مسؤولية الطبيب وارتكابه الخطأ الفادح ، كما انه يمكن بالقياس تطبيق الامثلة المذكورة وانواع الاختصاص المشار اليها على انواع الاختصاص المعروفة اليوم .

يتعرض الطبيب من الوجهة الفنية الى انتقادات متباينة تفسح المجال الى مناقشة مسؤوليته من ذلك مثلا اتّهامه بالتقصير لعدم لجوئه الى أساليب حديثة كما قد يتّهم بالتهور للجوئه اليها اذ لم يثبت بعد القول الفصل فيها .

ويتساءلون عما اذا كان يحق للجراح اجراء عملية جراحية تنقذ حياة المريض ولكنه يمانع من اجرائها . يدين التشريع الطبيب في هذه الحالة ويضمنه اذا لم تنجح المداخلة الجراحية الا اذا كان المصاب فاقد الوعي او مخدرا من اجل عملية مقررة ، وقد تبين اثناء المعالجة الجراحية أن الواجب يحتّم اجراء عملية اخرى ذات شأن في المعالجة .

المسؤولية في جراحة التجميل

تقدم الاختصاص بالتجميل تقدماً كبيراً ، والواقع أن فن التجميل سار في مضمار النجاح شوطاً بعيداً وخدم الانسانية خدمة جلى ، غير أن هذه المداخلات الدقيقة قد لا تعطي نتائج حسنة وقد تزيد في التشويه ويحدث منها ضرر بليغ .

لقد كان موقف القضاة في جراحة التجميل صارما خلاقا لموقفهم في الجراحة العامة ، ذلك لان في الجراحة العامة خطر الموت اذا لم تجر العملية وليس الامر كذلك في جراحة التجميل .

المسؤولية الناتجة عن عمل الآخرين

لا يخفى أنه يساعد اطباء المشافي من جراحين ومولدين وداخليين عدد من الأطباء المقيمين والمعاودين والممرضين والممرضات وإن نتيجة المعالجة مرتبطة الى حد بعيد بحسن عمل هؤلاء ، فاذا أساؤوا التصرف ونتج عن ذلك حادث ما للمريض هل يكون الطبيب مسؤولا عن ذلك أم لا ؟

قضى العرف ان يحمل كل انسان وزره وعلى هذا تكون المسؤولية واقعة على المقصر أو المخطىء او المهمل الا اذا كان الشخص الذي نسب اليه الاهمال مرتبطا مباشرة بالطبيب ومروءسا منه ، على ان الامر يختلف بين مؤسسة خاصة ومؤسسة حكومية . يكون طبيب في المؤسسة الخاصة مسؤولا عن جميع العاملين معه من مساعدين وممرضات وخدم لأنه رئيس لهم وليس الامر كذلك في المؤسسات الحكومية حيث يرتبط الاشخاص المساعدون بادارة رسمية حكومية تعد هي المسؤولة عنهم .

الصراحة في الطب

يقصد بهذا التعبير الافصاح عن مرض المريض وانذار المرض اذا كان هذا وذاك مشؤومين .

يتساءل البحاثون عما اذا كان من الجائز اخفاء الحقيقة في مثل هذه الحالات .

اقامت ادارة التلفزيون في باريز ندوة عن اخفاء حقيقة المرض وانذاره المشؤومين واستفتي في موضوعها اناس كثيرون ودارت مناقشات حوليه اشترك فيها نخبة من المفكرين الاختصاصيين ونخبة من كبار اساتذة الطب والفلسفة ورجال الدين في باريز .

لقد اظهر استفتاء الصحف تناقضا كبيرا فقد بلغت نسبة المرجحين للافصاح ٧٢٪ في بعض الصحف بينما لم تتجاوز في استفتاءات صحف اخرى ٩ ـ ١٩٪ ، وقد عزى هذا التباين الى البيئة التي تم الاستفتاء فيها اذ جاءت النسبة العالية من اناس سالمين ، بينما جاءت النسبة منخفضة من اناس مرضى او ذوي صلة بالمرضى .

تدعو اخلاقيات المهنة الطبية الى كتم الانذار الخطر عن المريض بينما تسمح باعلانه الى ذويه ، ولكن ما العمل اذا منع المريض الطبيب من افشاء سر حالته الى ذويه .

ان الفلاسفة يقولون باخفاء الحقيقة عن المريض لأن إعلامه بها يزيد في بؤسه واضطراب نفسه . وفي رأينا يجب في مثل هذه الحالات الحذر الشديد لأن اختلاف المرض وحالة المريض ونفسية ذويه وظروفهم وظروفه وضمان خدمته واستمرارها وغير ذلك من أمور يجب أن يحسب لها الطبيب ألف حساب ، يضاف الى ذلك ايضاً محيط المريض وبيئته الخاصة به بل قطره واقليمه .

وتروى في هذا الصدد قصة شيخ مريض في أرذل العمر أهمله ذووه حينما أعلن لهم الطبيب طول مدة عيشه مع عدم إمكان شفائه ، فما كان من المريض بعد أن حل به من الاهمال ما حل إلا أن سر لكل من القائمين بخدمته على انفراد ان تحت سريره كنزا ادخره من الذهب الرنان لأيام محنته ، وانه اباح به لمن سلمه السر دون غيره لاخلاصه في خدمته ، فانقلب الاهمال عند الجميع الى عناية ودلال وتبدل الضجر والملل ، إلى أناة وتعقل حتى إذا جاءت المنية تبين احتيال المريض على ذويه بعد أن رأى من بوادر اهمالهم ما تألم منه وشق عليه .

التلميح بمفاجآت غير متوقعة في مداخلات جراحية بسيطة

لا بد من الجهر بامكان وجود الخطر في اي عملية جراحية يقوم بها الطبيب مهما كانت سليمة ، فاذا سئل الطبيب عن خطر العملية كان عليه ان يتلطف في الاخبار . يقول ب . ل . شيكو(١) جراح مستشفى تروسو في باريز اذا سألتني والدة طفل معد لعملية جراحية عن خطر العملية ، اجبتها عن ذلك سائلا اياها كيف قدمت الى المستشفى ؟ فتجيب بالسيارة ، فاكرر السؤال هل فكرت وانت قادمة لاجراء العملية لطفلك باخطار ركوب السيارات عليك وعليه ، فتجيب كلا ، حينئذ اقول ان خطر العملية الجراحية المنوي اجراؤها اقل بكثير من المخاطر التي تعرضت لها انت وطفلك حينما ركبتما السيارة ، فهو ينصح بعدم نفي الخطر شريطة التلطف بالتلميح إليه ، ولا يخفى أن كثيراً من العمليات البسيطة السليمة العاقبة يعقبها موت غير ملحوظ عبر الجراحون عنه بانه ينزل عليهم نزول الصاعقة في يوم ربيع زاهر فاتن الصحو .

---

١ - Chico

ويرى غابريل ريشه(١) أحد الاساتذة في كلية الطب بباريز ان رسم خطة المعالجة يجب ان يوجه الى الصراحة او تعميتها ويتخذ مثالا على ذلك حالة مصاب بالتهاب الصفاق الزائدي(٢) التي تستدعي حالته جراحة عاجلة ، ان التصريح بالعاقبة وهـي الموت اذا لم تتم المداخلة الجراحية في الوقت المناسب امر واجب في هذه الحالة .

ويبدى جان روبر دوبره(٣) رايه في اقوال ريشه مثنيا عليها ويأتي بمثال تدعو فيه الحالة الى التمويه بل التعمية وذلك عند اكتشاف الطبيب عقم احد الزوجين لان التصريح في هذه الحالة ينغص الحياة العائلية وقد يؤدى الى انفصال الزوجين .

الصراحة في مرضى القلب والعروق

قد يراجعنا مريض من اجل مرض لا صلة له بالقلب او العروق فتكتشف فيه صدفة آفة قلبية كان يجهلها ولم يسبق له ان شكا منها . ان على الطبيب ان يكون حذرا في هذا الشأن وعليه ان يسبر غور نفسية مريضه حتى اذا رأى استعداده للهلع احجم عن الاخبار . وكثيرا مـاشاهدنا مصابين بامراض قلبية معاوضة كانوا يجهلونها وكانوا يعيشون كغيرهم من الناس الى ان فوجئوا بالحقيقة ، فاذا بهم يصبحون مهووسين ومهروعين لا بل شبه مجانين .

متساءل كلود مارسس(٤) عـن الخطة الواجب اتباعها عنـد مرضى القلوب والعروق حيث يخالف الواقع في حالات كثيرة

---

١ – G. Richet

٢ – Peribonite

٣ – عضو مؤسسة غوستاف روسي للسرطان J. R. Dubre

٤ – استاذ في كلية الطب في باريز ورئيس ندوة الكذب في الطب Claude Mars

الرأي العلمي الصريح وحيث يؤدي إعلان الرأي الصريح الى هلع نفسي مزعج وقد يختلط امر الصراحة مع السر الطبي كأن يشرح لنا المريض أو غيره ما عنده من مسؤوليات تحتّم عليه اتخاذ الحيطة في حالة الخطر على حياته من جراء مرضه ، فماذا يكون موقفنا منه ؟

لا شك ان موقفنا يجب ان يستوحي من المشاهدات التي خبرناها وفيها فسحة من الأجل يخالف الرأي العلمي لذلك كان علينا في هذه الحالة ان لا نعتد بالرأي العلمي بل نحترم الرأي الفعلي التطبيقي وقد يكون المريض ذا حساسية كبيرة . ربما ادت مصارحته الى ما يشبه الوسواس فيه . كثيراً ما شاهدنا مصابين بامراض قلبية كانوا يجهلونها الى ان فوجئوا بالحقيقة فاذا بهم يصبحون مهووسين ومهروعين وهلعين .

الافصاح عن الاصابات بالزهرى

نذكر منها ما تؤدي المصارحة فيه الى فصم عرى العائلة حيث يشذ الزوج او الزوجة فيصاب هو أو هي بمرض زهري يحتّم الاعتزال الجنسي بينهما ، فماذا يجب أن يكون موقفنا في مثل هذه الاحوال ؟

يقع الطبيب في هذه الحالة بيـــن مطرقة الزوج وسندان المرأة فلا يستطيع أن يصرح بالحقيقة ، بينما يجب عليه ان يمنع العشرة الزوجية ويبين خطرها دون أي تفصيل .

الافصاح عن السرطان

لا شك ان هذا البحث معقد جدا وهو الذي دفع بعض الاجتماعيين الى المناداة بمبدأ تهوين الموت . ويلفت النظر في هـــذا الشأن بياردونو(١)

١ – استاذ في كلية الطب بباريز Pirre Denou

الى ان عددا لا بأس به من مراجعي مؤسسة السرطان تبلغ نسبتهم ٤٠ ٪ يفدون اليها من انفسهم مستفسرين ، فهل نجهر بالقول ام نكتمه اذا كان المراجع مصابا بالسرطان .

يقول بياردولو كـــان يختلف موقفنا من هؤلاء باختلاف نوع السرطان فاذا كان السرطان جلديا سليم العاقبة وسهل المعالجة وفرنا على المريض تخديش اذنيه بكلمة السرطان واكتفينا بالقول انها علة جلدية نسبة الشفاء فيها عالية جدا تصل الى ٩٠ ٪ .

ويساند موريس غينيو هـــذا الـرأي(١) ويروى القصة الآتية : اصيب احد انسبائي بثؤلول استؤصل استئصالا واسعا وقد تبين من الفحص النسيجي ان الثؤلول كان سرطانا من النوع المشوك الخلايا ولم يطلع احد المريض على هذه الحقيقة الى ان ذكرتها له عرضا بعد عدد من السنين ، فقال لي نسيبي نعم ما عملت في اخفاء الحقيقة عني وانك لو جهرت بها لجعلت عيشي منغصا ولتركتني في هلع دائم .

ويتساءل روبر لا بلان(٢) عن آراء الانغلوساقسونيين في هذا الشأن قائلا : ان لهـــم امزجة مختلفة عنا ، ويذكر أن السيد دالاس السياسي الاميركي أصيب بسرطان معوي عرفه الناس وكان هو أول العارفين به ولم يمنعه ذلك عن متابعة اعماله في بقاع الأرض المختلفة مدة تقرب من سنتين .

يقـول جـــان روبر دوبرى(٣) إن العقلية اللاتينية شديـــدة الاختلاف عن العقلية الاميركية في هذا الموضوع ، فالانغلوساكسيون

١ – استاذ كلية في كلية الطب بباريز

٢ – استاذ كلية الطب في باريز .

٣ – عضو مؤسسة السرطان في باريز .

ميالون للمجابهة بالواقع بينما تميل نحن اللاتينيين الى التلطيف ، ويتساءل الباحث نفسه عن الخطة الواجب اتباعها اذا كان المريض طبيبا ، فيقول : ان الاطباء المرضى حتّى اولئك الذين يميلون للصراحة لا يرضون عنها في حالة مرضهم وينتظرون تلطيف اصابتهم وزرع الامل في نفوسهم ، ويذكر في هذا الصدد بفرويد الذي اعلن له احد معالجيه ان اصابته سرطان في الكبد ، فرد عليه فرويد منفعلا وما هو حقك في اخباري عن ذلك ، ويرى جان كليفش ان الطبيب المصاب بالسرطان السيء الانذار يرغب في قرارة نفسه ان يموه عليه ، لذلك يرجح اكثر الأطباء كتمان الحقيقة عن زميلهم لان ذلك لا يقدم في الانذار ولا يؤخر بل إن الصراحة في هذا الشأن تطفىء شعلة الامل الباهتة التي يعيش المريض حالماً بها وربما كان يكرر الكذب على نفسه حالما بشفائه ، ويروى عن تروسو أنه أصابه سرطان وكان عارفا به ومتأكدا منه وكان يتحاشى ان يجابه بالحقيقة حتّى اذا بينها له احد تلاميذه ، لعن اول دقيقة تعرف بها عليه ونعته بقلة الأدب وفقدان الذوق .

مصارحة الأهل في حالات التشوه الذي لا يتلاءم مع حياة الطفل

يتساءل احد المناقشين عن الولدان المشوهين ، هل نجابههم او نجابه ذويهم بالحقيقة المرة ؟ ام نلطف امرا سوف تتضح حقيقته ؟ . . .

لا شك انه يجب ان توجد ملاجىء لامثال هؤلاء الاطفال حتّى يستطاع انتزاعهم من بيئة سوف يكونون السبب في تنغيص عيشها ، فاذا وجدت مثل هذه الملاجىء وكان ادخال الاطفال المشوهين اليها ميسورا وجبت علينا في هذه الحالة الصراحة التامة والا فالتمويه افضل .

تلك خلاصة بعض المناقشات التي دارت حول موضوع الصراحة في الطب كما أعلنت عنه مجلة الطب الفرنسي في عددها السابع والسبعين بعد المائة ، ويحلو لنا أن نبين آداب الحضارة العربية الاسلامية في هذا الموضوع : تدعو أخلاقية المهنة الطبية في الحضارة الاسلامية إلى عدم التصريح ، كمـــا تحبب اظهار التفاؤل(١) امام المريض فيما يسره .

روى ابن ماجه قول الرسول : اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل فان ذلك لا يرد شيئا وهو تطمين لنفس المريض ، كما ان في الاقوال الماثورة عن النبي الكريم : لكل داء دواء ، ما انزل الله داء الا انزل له شفاء ، تداووا فان الله عز وجل لم يضع داء الا وضع له شفاء ، مما يقوى نفس المريض ويحثه على طلب الدواء والتفتيش عنه فيعلق قلبه بروح الرجاء ويتفاءل بالخير وقد يجده والفأل كلمات يسمعها العليل فتقوى بها عزائمه ، وكان من بين الكلمات التي جاءت في قسم الاطباء العرب دعوتهم الى اجتناب ما يغم المريض وقعه من الكلام .

ان التصريح بسوء عاقبة المرض يزعج المريض وينغصه ويخيب أمله ، لذلك يجب أن يبقى الفأل خيط الرحمة الذي يتعلق به المريض .

وقد روى عن الرسول الكريم قوله : الأمل رحمة من الله ، وقال الشاعر في هذا المعنى :

وللنفوس وإن كانت على وجل   مـــن المنية آمال تقويهـــا

اما رأينا في هذا الموضوع كله فهو التصريح ، حيث يكون الأمل بالشفاء اكيداً وأمره معروفا ومشهودا والتمويه فيما عدا ذلك ،

---

١ - من معاني التفاؤل ان يكون رجل مريض فيتفاءل مما يسمع من كلام فيقع في ظنه ان يبرأ من مرضه وفي الحديث : يعجبني الفأل الصالح وهي الكلمة الحسنة ، باعثة الأمل .

وهذا وذاك تابعان لعوامل عديدة منها : القناعة بالشفاء واشتهار ذلك وتوفر وسائله . فالسل مثلا كان مرضا يغم المصاب التصريح به اذ لم تكن وسائل شفائه اكيدة ، وكان التصريح به مخدشاً للآذان لا يقدم ولا يؤخر في استعمال سبل الوقاية او المعالجة ، اما وقد اصبح أمر شفائه معروفاً بين الناس وفعالية أدويته مشهورة في المجتمع وكثرت وسائل مكافحته وتوفرت سبل الوقاية منه عاد التصريح خيرا من التمويه والتلميح .

ان هنالك انواعا من السل اصبح شفاؤها معهوداً مع انه منذ سنوات معدودات كان الموت فيها محتوما واكيدا ، واقصد بذلك التهاب السل السحائي ، كذلك الامر في بعض امراض القلب وعروقه ، فبعد ان كانت المؤلفات تحدد عمر المصاب بالاحتشاء تحديدا يقرب من الجزم اصبحت اليوم تؤكد بشفاء المصاب وامكان عودته الى حياة طبيعية ، وهذا ما يحول موقف الطبيب في هذه الحالة وأمثالها من التلطيف والتلميح الى التصريح .

اما السرطان فيبقى مخيفا وما رأيت او سمعت مصابا به ورغب حقا في الافصاح عنه حتى المصاب شبه الواثق من اصابته يسأل الطبيب لا ليثبت له المرض بل لينفيه له احتفاظا ببقية من الأمل ومحاولة لتنميته في النفس الهلوع .

وصفوة القول : ان لكل حالة مرضية عقام لبوسها الخاص بها الداعي الى اتخاذ موقف مختلف في كل منها يعتمد فيه على مزاج المريض ، عناية ذويه به ، سعة مداركه العقلية وانذار حالته وصلتها

بخطة معالجته ، على أن واجب الطبيب في كل حال زرع الأمل حتى ولو كان خائباً ، والتفريج عن المريض مهما كان مكروباً ففي ذلك رحمة واحسان وشفقة وحنان ، وهذه الصفات من أطيب الصفات التي يجب أن يتحلى بها كل انسان ولا سيما الطبيب ، فاذا اضطر الى المجاهرة بالحقيقة كان عليه أن يغلف الاخبار باللباقة الكافية والسلام .

الخلاف بين طبيبين عربيين

المختار بن بطلان وعلي بن رضوان

الدكتور سلمان قطاية
كلية الطب – جامعة حلب

حدثت مشادة بين هذين الطبيبين اللذين عاشا خلال القرن الحادي عشر ميلادي – وبقيت لنا منها خمسة رسائل متبادلة بينهما .

الطبيب الاول هو : ابو الحسن المعروف بابن بطلان طبيب منطقي نصراني من بغداد . سافر كثيراً ثم دخل سالك الرهبنة وتوفي في دير في انطاكية عام ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م .

تعلم الطب عن أبي الفرج عبد الله بن الطيب كاتب الجاثليق . وألف عدة كتب ورسائل منها : دعوة الاطباء .

أما الطبيب الثاني : فهو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي ابن جعفر المصري . درس الطب دون أستاذ بعد أن جاوز الثلاثين من العمر وأصبح رئيساً للاطباء في مصر . وكان يتميز بسفاهة في الرأي وحب للمناقشة والمناظرة . توفي في القاهرة عام ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م وترك عدة كتب .

---

* نشر البحث في مجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة (عدد أيار ١٩٧٨) .

وموضوع الخلاف : هو أن أحد الاطباء ، وهو أبو الفرج جورجس بن يوحنا بن سهل بن ابراهيم اليبرودي (كان من نصارى اليعاقبة) ، كتب مقالة في أن الفرخ (أي صغير الحمام) أحر من الفروج (وهو صغير الدجاج) . على عكس ما كل ورد عن السلف أمثال الرازي وابن ماسوية وابن البيطار . . وكان صديقاً لابن بطلان وزميلا له لأنه درس على الاستاذ نفسه في بغداد .

وعندما وصل ابن بطلان الى مصر اتفق أنه كان في دار الوزارة بالقاهرة فادعى أحد الاطباء بأن اليبرودي أفحم أطباء مصر بمقالته تلك . وكان من بين الحضور أحد تلاميذ ابن رضوان فرد على المدعي بالعكس . وهنا ناظره وناقشه ابن بطلان بتعال وتفاخر بل وبوقاحة . . . اذ كتب كلامه في رسالة ارسلها الى ابن رضوان كأنما يستدرجه الى مبارزة . فرد عليه ابن رضوان برسالة شرح فيها وجهة نظره المخالفة وسرد معلومات طبية قوية ، ولكنه لم يتورع عن الرد على خصمه بعنف تهمةً بتهمة وشتيمةً بشتيمة .

وسرعان ما جاءه رد ابن بطلان لكنه في رسالته الثانية هذه نجده يتراجع عن أسلوبه الهجومي الأول ويفضل الغمز واللمز والدفاع عن نفسه ، ثم محاولة جر ابن رضوان الى ميدان الادب والمنطق والفلسفة وهي ميادين لا يبرع فيها ابن رضوان، ويبتعد كثيراً، وعن قصد عن الميدان الطبي اذ لمس في ابن رضوان مقدرة وبراعة . ويهاجم آراء ابن رضوان في الطب وفي التعليم الطبي الخ . . . ويتعمد اسلوباً ادبياً شيقاً وسلساً ليبدي موهبته الادبية الشيء الذي ينقص ابن رضوان . فيرد عليه ابن رضوان برسالة ثانية بأسلوبه الهجومي اللاذع ويعود الى الميدان الطبي ولا يعـــرج الى الفلسفة إلا قليلا ليدعم آراءه في

التعليم الطبي . وتوجد رسالة خامسة يوجهها ابـــن رضوان الى اطباء مصر ليشهر به وليدعوهم الي نبذه . . . الشيء الذي يضطر ابن بطلان الى الرحيل عن مصر بعد أن مكث فيها ثلاث سنوات .

والواقع ان الطب الحديث لا يقر مفاهيم الطب القديم من حيث تقسيم المواد الى اركان أربعة بل ان المواد الثلاثة : الدهنية ، البروتيئية ، والسكرية ، واللحوم كلها تقريباً متساوية من حيث توليد الحرارة في الجسم.

ولقد ورد في كتاب أبن أبي أصيبعة ، وكتاب جمال الدين القفطي ترجمات لكل من الطبيبين الا أن القفطي كان متحيزاً لابن بطلان ، وكارهاً لابن رضوان فكرس للأول وفي صدر كتابه صفحات كثيرة ونشر رسالتيه بكاملهما ، بينما لم يذكر ابن رضوان الا في الصفحة الاخيرة من كتابه ، ولم يذكر شيئاً عن رسائله الثلاث ، ولم ينصفه بل ألصق به تهماً هو منها براء .

أما ابن أبي أصيبعة فلقد كان أكثر موضوعية ، اذ قال إن ابن بطلان أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفاً وأميز في الادب وما يتعلق به . بينما كان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها .

والواقع : أن هذه الرسائل الخمس التي نشرها ماكس مايرهوف في الثلاثينات ، ذات أهمية لأنها تلقي ضوءاً على مفهوم الطب والتعليم الطبي في ذلك الحين ، الى جانب كشف واقع الطب ومفاهيم أدب الطب وفن المناظرة العلمية .

المعالجة بالكي في عهد الرسول

الدكتور محمود ناظم النسيمي
باحث

تحرق الكاويات الانسجة حيث تفقدها ماءها وتفكك الخلايا العضوية المركبة لها . والكاويات صنفان : كاويات فيزيائية وكاويات كيميائية .

فمن الكاويات الفيزيائية النار ، والمعادن المحماة فيها كا لحديد المحمى حتى درجة الاحمرار ، والكاوي الحروري (Thermocautère) ، والكاوي الكهربائي أو الغلفاني (Galvanocautère) .

ومن الكاويات الكيميائية أو الأدوية الكاوية (Caustiques) حمض الخل القابل للتبلر ، وحمض الآزوت ، وحمض الكروم ، وحمض الصفصاف ، وقلم نترات الفضة (حجر جهنم) . . .

ان بحثي هذا لا يشمل الكي بالأدوية الكاوية ولا بالأدوية المنفطة (Vesicants) كالثوم الذي استعمل مهروس لبه موضعيا في النقطة المراد كيها تمهيدا لتطبيق حمص الكي المشهور عند العامة والذي يقر الطب بعض فوائده في بعض أنواع عرق النسا وبعض العصابات القطنية(١) . . .

---

١ – علم الادوية للاستاذ الدكتور عزة مريدن .

وأما الكي بالبرودة بواسطة حمض الفحم الثلجي فهو طريقة حديثة نسبيا تستخدم في الامراض الجلدية ولا تدخل في نطاق بحثي .

وانما أعني الكي بالنار أو الحرارة (Cautérisation) ، ولقد كان الاقدمون يجرون الكي بقضبان حديدية مجهزة بقبضة خشبية (أو غير مجهزة) ومنتهية بأشكال مختلفة . وبعد أن تحمى هذه القضبان على النار حتى تصير بلون أحمر مبيض أو أحمر قاتم تكوى بها النواحي المختلفة .

وتختلف تأثيرات الكي بالنسبة لنوع المكواة ودرجة حرارتها ، فالمكواة التي تكون بلون أحمر مبيض يكون فعلها سريعا وعميقا فلا تلتصق بالنسج التي تكويها بل تقطعها بسرعة ولا تقطع النزف ، والألم المحدث بها أخف من المكواة وهي في درجة الاحمرار القاتم ، أما المكواة التي تكون بلون أحمر قاتم (Rouge Sombre) ففعلها أقل عمقا وتلتصق بالنسج التي تكويها وتخثر الآحينات وتقطع النزف ويكون الألم بها أشد(١) .

وتختلف المكاوي في أشكال نهاياتها الكاوية وفي أحجامها بحسب مكان الكي والغاية منه ، فمن رام الاطلاع على أشكال المياسم القديمة المستعملة ابان حضارتنا فهي مرسومة في باب الكي من كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) للزهراوي ذلك الجراح العربي الاندلسي المشهور . وفي كتابه هذا فضل الكي بالنار على الكي بالأدوية المحرقة (أي الكاوية) .

ولقد تطورت المكاوي في عصرنا الحديث فاستنبطت المكواة الحرورية لـ باكلان(٢) ولها نماذج مختلفة ، ثم اخترعت المكواة

---

١ – مباحث في الجراحة الصغرى (لسنة ١٩٥٠ – ١٩٥١) للاستاذ الدكتور نظمي القباني .

٢ – والقاعدة التي تستند اليها هذه المكواة هي ان البلاتين متى احمر بعد تسخينه يبقى متألقا اذا لامسه مزيج من الهواء والابخرة بعض الاجسام الملتهبة كالبنزين .

الكهربائية(١) ، وهذه اكثر تحكماً فيها وأسهل استعمالا ولا سيما في الاماكن العميقة .

هذا وان الكي بالنار قد استعمل حتى يومنا هذا في باديتنا وريفنا وان قلت حوادثه . إما صرفاً وإما متبوعاً بوضع شيء على الكية لتأخير برئها بقصد استمرار سيلان اللنف منها حتى يتخلص الجسم من أخلاطه السيئة – كما يظنون – وتنبه في العضوية وسائل الدفاع كما يقصد ذلك من استعمال حمصة الكي .

ويجدر بنا في هذه المقدمة أن نستعرض بعض المعلومات اللغوية عن الكي قبل الخوض في صلب الموضوع .

قال في القاموس المحيط : كواه يكويه كيا : أحرق جلده بحديدة ونحوها ، وهي المكواة ، والكية موضع الكي . والكاوياء ميسم . واكتوى استعمل الكي في بدنه ، وتمدح بماليس فيه . واستكوى طلب الكي .

وقال : الوسم أثر الكي جمعه وسوم . وسمه يسمه وسما وسمة فاتسم . والميسم بكسر الميم المكواة جمعه مواسم ومياسم .

وفي المختار : يقال آخر الدواء الكي ، ولا يقال آخر الداء الكي :

مغالاة الأعراب في المداواة بالكي :

لقد أكثر العرب قبل الاسلام من استعمال الكي كواسطة علاجية ، ولا سيما من قبل الأعراب سكان البادية حيث تندر الأطباء

---

١ – وتتركب هذه المكواة من خيط من البلاتين معقوف كالعروة يسخن لدرجة الاحمرار بامرار تيار كهربي منه .

والأدوية . ومن المتوقع عندما تفشل الادوية المجربة أو يفقد الدواء الناجع أن يسعى المريض هو أو ذووه للتخلص من مرضه ، وان يتقبلوا أي وسيلة ولو كانت مشكوكة النتائج ولو كانت مؤلمة كالكي بالنار . ويزيدهم تقبلا للكي انهم يرون ويسمعون عن بعض فوائده ، ولو كانت بعض تلك الفوائد المشاهدة حادثة بطريقة الصدفة أو نتيجة الايحاء الغيري أو الذاتي بالاعتقاد . ولهذا وردت الحكمة الشعبية العربية القائلة (آخر الدواء الكي) .

وبما أن الكي فيه ألم وشدة على مطبقه فقد جرت تلك الحكمة مجرى المثل عندما يبت في أمر ما ويحسم بالشدة بعد أن جرب فيه الرفق واللين فيقال لدى تطبيق الأمر الأشد (آخر الدواء الكي) (١) .

ولقد تخطى العامة في تطبيق حكمة الكي حدود المعقولية ، وغلوا في استعماله وتوسعوا فيه شعبيا ، وأصبح الكي يجرى بتوسع من قبل غير الاطباء والخبراء ، ولمجرد رغبة المريض أو ذويه بذلك أو وصف المتطبب الجاهل له ، وأضحى الكي ينفذ وقاية من مرض أو لتوهم أنه يحسم العلة ويمنع تفاقمها ، أو لاعتقاد أن الشفاء به يمنع النكس .

لقد توارث العامة ولا سيما أهل البداوة هذه المغالاة في استعمال الكي مع الأخطاء في الاستطباب والتطبيق عبر العهود والعصور الغابرة حتى يومنا هذا . ولقد أشار الى تلك المغالاة الجراح الزهراوى المتوفى سنة ٤٠٠ هـ فقال في كتابه التصريف : ولا يقع ببالكم يا بني ما توهمه العامة وجهال الاطباء أن الكي الذي يبرىء من مرض ما لا يكون لذلك عودة أبدا وتجعلوه لزاما وليس الأمر كما ظنوا . وقال : واما قول

---

١ - قال ابن حجر في الفتح : كانت العرب تقول في أمثالها : (آخر الدواء الكي) . وينسب أهل الأخبار المثل المذكور إلى لقمان بن عاد وفي نسبتهم هذه دلالة على قدم هذه المعالجة عند العرب .

العامة ايضا : ان الكي آخر الطب فهو قول صواب ، لا الى ما يذهبون هم لأنهم يعتقدون ان لا علاج ينفع بدواء ولا بغيره بعد وقوع الكي ، والأمر بخلاف ذلك ، وانما معنى أن الكي آخر الطب إنما هو أننا متى استعملنا ضروب العلاج في مرض من الامراض ولم تنجع تلك الأدوية ثم استعملنا آخر شيء الكي فينجع(١) ، فمن هاهنا وقع ان الكي آخر الطب لا الى المعنى الذي ذهب اليه العامة وكثير من جهال الاطباء ١٠ ه .

وما زلنا معشر الأطباء نرى في زماننا أناسا من القبائل البدوية وممن جاورهم من سكان الارياف قد اكتوى فلم يشف ولم يخفّ ألمه ، بل ضم اليه ألماً جديداً ، وشوه بالكي جمال اعضائه الخلقي . وان منهم من اصيب بالكزاز نتيجة تشغيله الكية بورقة قذرة قاصدا ما يبتغى من حمصة الكي .

موقف الرسول العربي من تلك المغالاة :

جاء الاسلام والمغالاة في استعمال الكي شائعة ، يعرضون به اجسامهم لآلام النار وتشويهها فيما لا جدوى منه ، وما جاء من رسول الا وكانت له القيادتان الدينية والدنيوية ، ومن مهام الدولة نشر مناهج الطب الوقائي وتقنين ممارسة المهن الطبية ومكافحة الشعوذة والدجل في الطب وفي غيره . فأبى رسول الرحمة والانسانية أن يعذبوا أنفسهم بأوهام لا تنفع ، فنهاهم عن الكي وعن الأدوية الوهمية ، ووضح لهم أن استعماله مشروط بموافقته للداء أي بوجود استطاب له .

ورغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن تعيد أمته النظر في استعمال ادويتهم الشعبية التي يمارسون تطبيقها دون استشارة طبيب ،

١ — أقول ولعل العبارة في الاصل (فقد ينجع) لا الجزم بالفائدة .

وأن يبعدوا عنها المغالاة ، وان يقتصروا في تطبيقها على مجالات معينة حيث تفيد ، فنبههم الى أن الدواء انما يشفي باذن الله تعالى اذا وافق الداء ، أي لا بد من تشخيص ولا بد من اختيار دواء ملائم يستعمل بمقدار وبطريقة موافقين ، فقال عليه السلام : « لكل داء دواء ، فاذا أصيب دواء الداء بريء باذن الله عز وجل »(١) .

وأورد عليه السلام ذكر الادوية الشعبية الشائعة في زمانه وهي الحجامة المدماة والكي والعسل فاعترف بأنها ادوية لها فوائدها ، ولكنه نبه الى أن استعمالها طبيا يجب أن يكون موافقا للداء أي تابعا لوجود استطباب ، وكرر النهي عن الكي والرقى – وهي المعالجة الروحية بالقراءات – وذلك لشدة الشطط في استعمالهما دون مبرر علمي .

١ – روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ان كان في شيء من أدويتكم ، أو يكون في شيء من أدويتكم ، خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء ، وما أحبّ أن اكتوى » قال الحافظ ابن حجر في شرحه (توافق الداء) : فيه اشارة الى أن الكي انما يشرع عندما يتعين طريقا الى ازالة الداء ، وأنه لا ينبغي التجربة لذلك ولا استعماله الا بعد التحقق ا هـ أقول : ان الضمير المستتر في كلمة توافق يجوز رجوعه الى (لذعة بنار) أقرب مذكور ويجوز رجوعه الى الثلاثة (شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار) . وهذه الرواية للبخاري هي أدق تعبيرا من الروايات الأخرى التي رواها هو أو غيره في هذا الباب .

---

١ – رواه الامام أحمد والامام مسلم عن جابر رضي الله عنه .

٢ - وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار ، وأنهى أمتي عن الكي » قال ابن حجر : ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم الحصر في الثلاثة فان الشفاء قد يكون في غيرها ا هـ أي لم يرد النبي عليه السلام الحصر الحقيقي وانما قصد حصرا نسبيا أو اضافيا يقصده المتكلم ويستعمله في بيانه كاسلوب من أساليب البلاغة لجذب الانتباه الى ما يقصده ويتكلم عنه ويتعلق به غرضه من ذلك البيان(١) .

٣ - وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي وكان يكره شرب الحميم »(٢) يعني الماء الحار .

٤ - وعن سعد الطفرى (أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الكي وقال : اكره شرب الحميم) (٣) .

٥ - وعن عمران بن حصين رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الكي (قال : فابتلينا فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا(٤) . وفي رواية : (نهينا عن الكي) .

---

١ - ان تقسيم الحصر الى حقيقي واضافي (أو نسبي) بحث أصولي ولقد أشار اليه الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني المتوفى سنة ١٣٦٩ هـ في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن عند شرحه لقول أنس رضي الله عنه : (لم يجمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم سوى اربعة . . .) .

٢ - وتمام الحديث " وكان اذا اكتحل اكتحل وترا واذا استجمر استجمر وترا " رواه الامام احمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح خلا ابن لهيعة وحديثه حسن كما في مجمع الزوائد للهيثمي - كتاب الطب - باب ما جاء في الكي .

٣ - رواه الطبراني في الكبير والاوسط ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد .

٤ - رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح . كما اخرجه ابو داود وابن ماجة . وفي رواية للترمذي (نهينا عن الكي) وقال : وهذا حديث حسن صحيح .

قال الخطابي : قيل انما نهي عمران خاصة عن الكي لانه كان به ناصور ، وكان موضعه خطرا فنهاه عن كيه فيشبه ان يكون النهي منصرفا الى الموضع المخوف منه والله أعلم(١) وبهذه المناسبة أذكر ان الزهراوي ذكر في كتابه (التصريف) معالجة بعض نواسير المقعدة بالكي مع احتمال عدم الاستفادة .

ان النهي عن الكي في الاحاديث السابقة ليس على عمومه واطلاقه فقد وردت أحاديث نبوية سنراها تفيد استعمال النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه للكي فالنهى منصب على الاستعمال الشعبي المغالى في تطبيقاته دون وجود استطباب ولذا قال ابن حجر في فتح البارى : ويؤخذ من الجمع بين كراهته صلى الله عليه وسلم للكي وبين استعماله انه لا يترك مطلقا ولا يستعمل مطلقا ، بل يستعمل عند تعينه طريقا الى الشفاء مع مصاحبة اعتقاد ان الشفاء بأذن الله تعالى وعلى هذا التفسير يحمل حديث المغيرة رفعه « من اكتوى او استرقى فقد برىء من التوكل » . ا هـ

وفي التعقيب على عنوان عقده البخارى بقوله : (باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو) . قال ابن حجر :كأنه اراد ان الكي جائز للحاجة وان الاولى تركه اذا لم يتعين(٢) وانه اذا جاز كان أعم من أن يباشر الشخص ذلك بنفسه أو بغيره لنفسه أولغيره، وعموم الجواز مأخوذ من نسبة الشفاء اليه في أول حديثي الباب ، وفضل تركه من قوله عليه السلام : « وما أحب أن أكتوى » ا هـ .

---

١ - كما في الاحكام النبوية في الصناعة الطبية .

والخطابي : محدث فقيه لغوي توفي سنة ٣٨٨ هـ أهم كتبه شرح سنن أبي داود .

٢ - أي لدى عدم وجود دواء آخر ينوب مقامه .

وقال المازرى(١) : وقوله عليه السلام : « وأنا أنهى أمتي عن الكي » وفي الحديث الآخر : « وما أحب أن اكتوى » اشارة الى أن يؤخر العلاج به حتّى تدفع الضرورة اليه ولا يوجد الشفاء الا فيه ، لما فيه من استعمال الألم الشديد في دفــع ألم قــد يكون أضعف من ألم الكي . ا هـ .

هذا وان الاكتواء من دون استطباب علمي يعد تعلقا بالاوهام والتعلق بالاوهام مناف للتوكل على الله تعالى كما سنرى في الحديثين التاليين .

٦ – قال رسول الله عليه وسلم : « من اكتوى أو استرقى فقد برىء من التوكل »(٢)

٧ – وروى الامام مســلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمتي سبعون الفا بغير حساب ، قال : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : هم الذين لا يكتوون ، ولا يسترقون ، وعلى ربهم يتوكلون . . . » . وفي رواية نحوه ، وزاد فيها « ولا يتطيرون » .

وفي رواية للبخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل عن الذين يدخلون الجنة بغير حساب . . . فقال : « هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولايسترقون ، وعلى ربهم يتوكلون . . . » .

---

١ – كما في الاحكام النبوية في الصناعة الطبية في شرحه الحديث الثالث عشر من الجزء الاول .
المازرى : امام في الحديث والاصول والفقه المالكي من كتبه شرح على صحيح مسلم (٤٥٣ – ٥٣٦) هـ .

٢ – رواه الترمذى عن عفان بن المغيرة بن شعبة عن ابيه المغيرة ، وقال هذا الحديث حسن صحيح . وأخرجه ابن ماجه ايضا في الطب – باب الكي .

ولدى مطالعتي هذا الحديث ، خلال تجميعي لمعلومات عن مفهوم التوكل في الاسلام ، قلت في نفسي ان رسولنا عليه السلام لم يقل : (هم الذين لا يتداوون وعلى ربهم يتوكلون) بل قال : «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون » وقال في حديث آخر : « . . . نعم يا عباد الله تداووا ، فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء ، أو قال دواء ، الا داء واحدا ، قالوا : يا رسول الله وما هو ؟ قال : الهرم »(١) . وبمـا أن الأخذ بالاسباب اليقينية والعلمية لا يتنافى في الاسلام مع مفهوم التوكل كما هو واضح لكل من له المام بتعاليم الاسلام ، وبما ان الاعراب والعامة تجاوزوا في استعمالهم الكي والرقى حدود الطب والعلم تمشيا مع الشائعات والشك والأوهام ، فتبادر الى ذهني ان الأخذ بالاسباب الوهمية كما يفعل الاعراب في معظم حوادث الكي هو الذي يتنافى مع التوكل . ثم وجدت أن الامام الغزالي رحمه الله تعالى قد سبقني الى هذا المعنى في كتابه (احياء علوم الدين) ، وذلك في بحثه القيم المستفيض عن التوكل ، فقال تحت عنوان (الفن الرابع في السعي في ازالة الضرر كمداواة المرضى وأمثاله) : اعلم ان الاسباب المزيلة للمرض تنقسم الى مقطوع به ومظنون وموهوم . والموهوم كالكي والرقية ، أما المقطوع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت . وأما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين . وأقواها(٢) الكي ويليه الـرقية ، والطيرة آخـر درجاتها . والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق في ملاحظة السبب . وأما

---

١ – رواه الترمذي عن اسامه بن شريك وقال : هذا حديث حسن صحيح . كما أخرجه ابو داود والنسائي وابن ماجة .

٢ – اي اقوى الاسباب الموهومة .

الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم ، وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع . ويدل على ان التداوى غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأمره به . . . ا هـ . ثم اورد الامام الغزالي شواهد حديثية على ذلك .

ان الكي الذي تكلم عنه الغزالي هو الكي الذي شاعت المغالاة فيه عند العامة يستعملونه دون استطباب جازم او وصف طبيب خبير ، ولذا جعله مثالا للاسباب الموهومة التي يتنافى الأخذ بها مع التوكل . ان ذلك الكي المغالى فيه هو الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا الكي المنفذ بناء على وصفة طبيب واستطباب علمي كما أوضحت وكما سيأتي بيانه من فعل الرسول وصحابته له لدى وجود استطباب

قال ابن حجر في شرحه لحديث البخارى الوارد آنفا في التوكل : والحق أن من وثق بالله وأيقن أن قضاءه عليه ماض لم يقدح في توكله تعاطيه الاسباب اتباعا لسنته وسنة رسوله فقد ظاهر صلى الله عليه وسلم في الحرب بين درعين ، ولبس على رأسه المغفر ، وأقعد الرماة على فم الشعب ، وخندق حول المدينة ، وأذن في الهجرة الى الحبشة والى المدينة ، وهاجر هو وأصحابه ، وتعاطى أسباب الاكل والشرب ، وادخر لاهله قوتهم ، ولم ينتظر ان ينزل من السماء وهو كان أحق الخلق ان يحصل له ذلك ، وقال للذي سأله : أعقل ناقتي أو أدعها ؟ قال : اعقلها وتوكل ، فاشار الى ان الاحتراز لا يدفع التوكل والله اعلم ا هـ .

التكميد مكان الكي :

لقد لاحظ محمد عليه السلام أن العرب يكثرون من استعمال الكي ولا سيما في معالجة الآلام ، ولا شك انه يفيد في بعض انواعها كما سنرى وكما اشار الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : « ان كان في شيء شفاء ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار تصيب ألماً ولا أحب أن أكتوى »(١) فأشار إلى أن الكي بالنار الموافق والمصيب لنوع من الآلام هو دواء ، ولكنه غير محبوب عنده .

وكما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي الذي يجرى من دون استطباب صحيح فانه اشار الى بديل عنه . والبديل واسطة علاجية فيزيائية مسكنة للألم تفيد في كثير من المجالات التي يستعمل فيها الكي عند قومه ولكن دون أن تضيف الى المريض ألما جديدا ، كما يمكن استعمالها قبل الكي فلعلها تغنى عنه . تلك الواسطة هي التكميد . وتكميد العضو كما في مختار الصحاح : تسخينه بخرق ونحوها وكذا الكماد بالكسر .

وفي القاموس المحيط في الكمدة . . . والاسم الكماد ككتاب وهي ايضا خرقة وسخة تسخن وتوضع على الموجوع يشتفي بها من الريح ووجع البطن كالكمادة ، وتكميد العضو تسخينه بها .

---

١ – رواه الامام احمد والطبراني في الكبير والاوسط عن معاوية بن خديج رضي الله عنه مرفوعا كما في مجمع الزوائد . وقال الهيثمي ورجال احمد رجال الصحيح خلا سويد بن قيس وهو ثقة .

١ – فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مكان الكي التكميد . . . »(١) .

٢ – وعن عبد الله بن مسعود أن ناساً أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن صاحبا لنا اشتكى أفنكويه ؟ فسكت ساعة ثم قال : ان شئتم فاكووه ، وان شئتم فارضفوه »(٢) قال ابن الأثير في النهاية أي كمدوه بالرضف ، والرضف الحجارة المحماة على النار واحدتها رضفة . ا هـ .

أقول ولا يزال الطب الشعبي حتى زماننا يعالج مغص البطن وبعض الآلام ولا سيما البردية بالتكميد بخرقة مسخنة أو بحجرة أو فخارة مسخنة بعد لفها بخرقة تحاشيا من حدوث حرق .

أما الطب في زمـاننا فانه يستعمل التكميد (**Fomentation**) لمكافحة الألم أو لغرض آخر ويستعمل لذلك القماش المبلول بالماء الحار في حرارة محتملة وقد يضاف اليه بعض الأدوية (٣) .

واقعات من المداواة بالكي في العهد النبوي :

لقد بينت أن الرسول عليه السلام اعترف بالكي كدواء عندما يوافق الداء أي عندما يكون له استطباب علمي . ولقد سجلت كتب

---

١ – وتتمة الحديث " . . . ، ومكان العلاقة السعوط ، ومكان النفخ اللدود " قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح الا أن ابراهيم لم يسمع من عائشة ا هـ . قال الاستاذ محمد عوامة استاذ مصطلح الحديث في مدرسة التعليم الشرعي بحلب ابراهيم هو النخعي وعدم سماعه من عائشة لا يضر فان مراسيله صحيحة عند أهل الحديث .

٢ – قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله ثقات الا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه ا هـ قال الاستاذ عوامة : لقد اختلف في سماع أبي عبيدة من أبيه عبد الله ابن مسعود ولكن البخارى نقل في (كتاب الكنى) ما يفيد سماعه من أبيه .

٣ – انظر (فن التمريض) للاستاذ الدكتور مرشد الخاطر .

الاحاديث النبوية اضافة الى ما أوردت خبارا عن معالجات بالكي جرت في العهد النبوي من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ومن قبل صحابته الكرام . أما الاستطبابات الداعية الى الكي في تلك الحوادث المروية فهي :

آ ـ قطع النزيف الدموي .

ب ـ معالجة الألم الجنبي .

ج ـ معالجة اللقوة (أي شلل العصب الوجهي) .

آ ـ الكي لقطع النزيف :

لقد استعمل الكي بالنار لقطع النزيف منذ القديم واستعملت لذلك المكواة التي تكون بلون أحمر قاتم ، ولا يزال يستعمل الكي لذلك الغرض في عصرنا الحديث وان تطورت الأداة الى استعمال المكواة الكهربائية .

ولقد ورد في السنة استعمال الكي لقطع النزيف في حادثتين : الأولى لقطع نزيف جرح حربي ، والثانية لقطع نزيف الوريد المفصود .

أما الحادثة الأولى فقد كانت في غزوة الخندق (أي الاحزاب) عندما تراشق المؤمنون والكافرون بالنبال عبر الخندق فأصاب سهم من سهام العدو سعد بن معاذ فقطع أكحله (أي عرقا في وسط ساعده) فنزف فاسعفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكوى مكان النزيف بنصل سهم محمى على النار بغية ايقاف النزيف ، ثم أخلاه من ارض المعركة الى مستشفى عسكري أقيم لجرحى الحرب في خيمة ضربها عليه السلام في المدينة المنورة في مسجده الشريف وجعل فيه الممرضتين الصحابيتين رفيدة الانصارية أو الأسلمية (نسبة الى قبيلتها أسلم) وكعيبة الأسلمية رضي الله عنهما .

روى الامام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (رمى سعد بن معاذ في أكحله فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص(١) ، ثم ورمت فحسمه الثانية) .

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت : (أصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد خيمة يعوده من قريب) .

قال الخطابي : انما كوى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ليرقأ الدم عن جرحه وخاف عليه أن ينزف فيهلك ، والكي يستعمل في هذا الباب كما يكوى من تقطع يده أو رجله(٢) .

أما الحادثة الثانية فقد رواها الامام مسلم ايضا عن جابر ايضا قال : (بعث رسول الله الى أبي بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه عليه) . والكي في موضع الفصادة انما هو لايقاف النزيف بعد سيلان مقدار معين من الدم .

ب ـ معالجة الألم الجنبي بالكي :

ينشأ الوجع المستقر في الصدر عن آفة في غشاء الجنب او في الرئة ، وقد ينشأ عن علة في الجلد أو العضلات والاعصاب الوربية أو عظام القوصرة الصدرية . وعلى ذلك فقد ينشأ ألم الجنب عن علة رثوية في العضلات فيدعى (الوجع الجنبي Pleurodynie) أو عن ألم

---

١ ـ المشقص بكسر الميم : سهم له نصل طويل ، وقيل عريض ، وقيل هو النصل نفسه .

الأكحل : عرق في وسط الساعد يكثر فصده .

حسمت الجرح : اذا قطعت الدم الجاري منه بالكي . كما في جامع الاصول .

٢ ـ كما في الاحكام النبوية في الصناعة الطبية .

عصبي وربي (Nevralgie Intercostale) أو عن التهاب عظم . ويغلب ان يكون الوجع الناخس (Point de côté) دليل علة في غشاء الجنب او الرئة(١) وبحسب اختلاف السبب يختلف شكل الوجع الناخس .

ويبدو الألم العصبي الوربي في غصن واحد او عدة غصون قدامية من الازواج الصدرية وهو اما محيطي واما جذرى ، ولكل منهما اسباب عديدة ، ومن اسباب المحيطي آفات الجنب .(٢)

ان ذات الجنب في لغة العرب كانت تطلق على كل ألم في الجنب أي على كل علة صاحبت ألما في الجنب ، فان معنى ذات الجنب صاحبة الجنب . أما بعد ترجمة الطب اليوناني فان اطباء العرب أضحوا يطلقونها على المراد عند اليونان أي على التهاب غشاء الجنب (Pleurésie) وقد يسمون غيرها بذات ، الجنب غير الحقيقية(٣) .

وهاكم حادثة عن ذات الجنب في العهد النبوي عولجت بالكي :

روى البخارى عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : « . . . كويت من ذات الجنب ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي ، وشهدني أبو طلحة وأنس بن النضر وزيد بن ثابت ، وأبو طلحة كواني »(٤)

---

١ – انظر كتاب موجز مبحث الاعراض والتشخيص للاستاذ الدكتور حسني سبح .

٢ – انظر موجز الامراض العصبية للاستاذ الدكتور حسني سبح .

٣ – انظر الاحكام النبوية .

٤ – اخرجه البخارى معلقاً في الطب – باب ذات الجنب .

ابو طلحة هو زيد بن سهل زوج ام سليم والدة انس بن مالك . وانس بن النضر هو عم انس بن مالك .

وبما ان ذات الجنب في لغة العرب تشمل انواعا مختلفة من امراض تسبب ألما جنبيا فعلينا ان نفكر بالانواع التي تستفيد من الكي . ولدينا الاحتمالان التاليان : الاول ان تكون الاصابة رثية عضلية في عضلات الصدر ناتجة عن البرد ، الثاني أن تكون الاصابة ألما عصبيا وربيا ولهذا اسباب مختلفة . ولم ينقل لنا التاريخ ما يمكننا من تمييز السبب المؤدي إلى ألم الجنب عند ذلك الصحابي .

١ – إذا كانت إصابة أنس رضي الله عنه وجعا جنبيا أي رثية عضلية فان التكميد والمحمرات والمراهم والطلاءات المسكنة كثيرا ما تغني عن الكي . ولقد روينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مكان الكي التكميد » ليبدأ به الطبيب والمريض قبل استعمال الكي فلعله يغني ، واضافة الى ذلك فقد أوصى عليه السلام في مناسبة أخرى أن يطلى مكان الألم الجنبي بالقسط والزيت .

روى الترمذى عن ميمون ابي عبد الله قال : سمعت زيد بن أرقم قال : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتداوى من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت »(١) . قال ابن طرخان : القسط البحرى ، وهو العود الهندي على ما جاء مفسرا في احاديث أخرى ، هو صنف من القسط اذا دق ناعما وخلط بالزيت المسخن ودلك من مكان الريح المذكور أو لعق كان موافقا لذلك نافعا له . ا هـ(٢)

---

١ – وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه الا من حديث ميمون عن زيد بن ارقم . وقد روى عن ميمون غير واحد من اهل العلم هذا الحديث ا هـ ، كما أخرجه ابن ماجة في الطب – باب دواء ذات الجنب . وقال الاستاذ عبد القادر الارناؤوط في تعليقه على جامع الاصول : وفي سنده ميمون ابو عبد الله البصرى الكندى ، وهو ضعيف ، ولكن له شواهد بمعناه يقوى بها ولذا قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

٢ – الاحكام النبوية .

لقد اختلف وتبدل المراد من القسط باختلاف الاقطار والحضارات عبر العصور(١) حتى إنــه ليعسر علينا اليوم تحديد النوع المشار اليه في الحديث النبوي . ولكن يبقى الفهم بان الطلاءات المسكنة يمكن استعمالها في الوجع الجنبي البردي، وفي زماننا مراهم وبلاسم كثيرةلهذا الغرض .

٢ ـ وان كان الألم الجنبي عند ذلك الصحابي ألما عصبيا وربيا فان الطب الحديث ظل حتى اواسط القرن العشرين يلجأ الى الكي ولا سيما النقطي(٢) في تسكين هذا الألم اذا لم تفد فيه الادوية الاخرى .

قال المرحوم الشيخ محمد انور شاه الشكميرى في كتابه (فيضى البارى بشرح) البخارى :

٣ ـ السقط الهندى يحصل من كشميرو المراد (كست) والعود الهندى (أسمر) وليس بمراد هنا فليتنبه فإنه مضر .

تكلم الاستاذ الدكتور حسني سبح في كتابه (موجز الامراض العصبية) عن الألم العصبي الوربي ، وقال في معالجته : يكافح السبب اولا ، ويعالج الألم العصبي معالجة بقية الآلام العصبية ، وقد ينجع فيه الكي أو حقن الغول بحذاء الغصون الثاقبة .

ولقد أشار الى استطباب الكي النقطي في معالجة الألم العصبي الوربي كل من الاساتذة الدكتورعزة مريدنفي كتابه (علم الادوية) في بحث(الكاوى الحرورى) والدكتور نظمي القباني في كتابه (الجراحة الصغرى) في بحث

---

١ ـ كما يفهم من الكلام الطويل الذي تكلم به الدكتور أحمد بن حسن بن علي الرشيدي عن القسط في كتابه عمدة المحتاج في علمي الادوية والعلاج . والدكتور الرشيدي كما في الاعلام طبيب مصري كان من طلبة الازهر . ارسلته الحكومة الى باريس . . . انصرف الى التطبيب والتصنيف . توفى ١٢٨٢ هـ ١٨٦٥ م .

٢ ـ الكي النقطي او المنقط : هو ان يكوى الجلد بالمكواة الحرورية كيا سطحيا نقطة فنقطة على ان تترك بينها اقسام سليمة ثم يذر على الناحية مسحوق النشا أو الطلق وفي الالم العصبي الوربي تكون النقط واقعة على مسير العصب المتألم ولا سيما عند تفرعه وخروجه الى السطح أي قرب الفقار وفي الورب نفسه وقرب القص . ا هـ عن كتاب فن التمريض . وتقع النقطة الجانبية الموافقة للغصن الثاقب الجانبي في منتصف الورب بقرب الخط الابطي .

(الكي بالنار)والدكتور مرشد الخاطر في كتابه(فن التمريض)في بحث(الكي).

وكلهم اساتذة في كلية الطب بجامعة دمشق درسوا كتبهم تلك حتّى ما بعد منتصف القرن العشرين .

ولا شك أن تقدم الطب الحديث ووسائل التشخيص التفريقي وعلم الادوية وفن المداواة ألغى كثيرا من استعمالات الكي في مداواة الألم.

جـ ـ معالجة اللقوة بالكي :

اللقوة هي شلل العصب الوجهي (Paralysie Faciale) والبرد هو السبب الغالب في احداثها ، فتنسب اليه حينئذ وتعرف باللقوة الرثوية أو البردية (à Frigore) . وكان يعلل تأثير البرد بالتهاب العصب أو احتقانه وتورمه وانضغاطه في القناة العظمية الّتي يخترقها اعني قناة فاللوب حتّى خروجه منها من الثقبة الابرية الخشائية . وفي السنين الأخيرة علل حدوث اللقوة البردية بتشنج الاوعية الدموية المغذية للعصب ، ولذا أضحت الادوية الموسعة للاوعية الدموية تعطى في اللقوة البردية .

واعتقد ان اللقوة الّتي استفادت من الكي في العصور الغابرة هي اللقوة الشائعة أي اللقوة البردية . وهاكم حادثتان وقعتا في عهد الرسول العربي وعولجتا بالكي ، ونقلهما لنا التاريخ باختصار .

أخرج الامام مالك في موطئة عن نافع مولى بن عمر رحمه الله : « ان ابن عمر اكتوى من اللقوة ورقي من العقرب »(١) .

---

١ – الموطأ ٢ / ٩٤٤ في العين – باب تعالج المريض واسناده صحيح كما في تعليق الاستاذ عبد القادر الارناؤوط على جامع الاصول .

وعن ابي الزبير المكي قال : رأيت عبد الله بن عمر بن الخطاب وقد اكتوى في وجهه من اللقوة(١) .

وروى ابن سعد في طبقاته باسناد صحيح عن انس بن مالك رضي الله عنه : أن أبا طلحة اكتوى وكوى أنسا من اللقوة . (٢)

وبما أن الزميل الدكتور سلمان قطاية المتخصص بأمراض الاذن والانف والحنجرة له اهتمام خاص باللقوة وبالعمل الجراحي المناسب اذا اقتضى الأمر ، وله اهتمام بتاريخ الطب العربي فقد اخبرته عن الحادثة الأولى وسألته : هل رأيت في مطالعاتك في الطب العربي ما يشير الى مداواة اللقوة بالكي فأجاب : نعم في القانون لابن سينا ، ولي تعليق على ذلك في مقال نشرته ، ثم اطلعني عليه . ثم نشر الزميل ذلك المقال بعنوان : « امراض الاذن والانف والحنجرة عند ابن سينا »(٣) فعلل الزميل اولا فائدة محمرات الجلد التي وصفها ابن سينا في معالجة اللقوة فقال : وكلنا يعلم ان المعالجة الحديثة مبنية على النظرية الوعائية القائلة بأن سبب اللقوة هو تشنج الاوعية المروية للعصب تشنج يسبب فقر دم موضعي ووذمه والعلاج هو الادوية الموسعة للاوعية ، والادوية المحمرة في اجتهادي ليست سوى ضرب من ضروب الادوية الموسعة للاوعية ا هـ .

ثم علل الزميل فائدة الكي في معالجة اللقوة كما وصفها ابن سينا فقال : هذا ويشير (اي ابن سينا) الى ضرورة « كي العرق الذي

---

١ – الاحكام النبوية . وابو الزبير هو محمد بن مسلم بن تدروس المكي اشتهر بالرواية عن جابر بن عبد الله الصحابي المشهور ، فهو تابعي توفي سنة ١٢٦ هـ .

٢ – الطبقات الكبرى لا بن سعد في ترجمة ابي طلحة " زوج ام انس رضي الله عنه " .

٣ – في المجلة الطبية العربية التي تصدرها نقابة الاطباء في الجمهورية العربية السورية العدد / ٥١ / حزيران ١٩٧٦ .

خلف الاذن » تلك المنطقة التي يخرج منها العصب الوجهي من الثقب الابرى الخشائي ، وربما كان للكي تأثير موسع للاوعية عن طريق المنعكسات . ومن يستغرب ذلك بعد ان برهن العلماء الصينيون عن فائدة الوخز بالابر المسخنة . ا هـ .

أوافق الدكتور قطاية على تعليله هذا ، وأضيف تعليلا آخر وهو امكانية انطلاق مواد تتولد في الانسجة المحترقة وما جاورها نتيجة للكي لها فعل موسع وعائي أيضا . ويحتاج اثبات ذلك أو نفيه الى دراسات عليا وتجارب من قبل الاخصائيين في مراكز الابحاث العلمية .

ثم اني استعرت من الزميل الكريم كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) فوجدت ان الزهراوي يشير في اللقوة باجراء الكي في ثلاث نقاط توافق غصون شعب العصب الوجهي المعصبة لعضلات القحف والعضلة المدارية الجفنية ولعضلات الشفتين . واليكم نص عبارته :

قال رحمه الله تعالى : اللقوة التي تعالج بالكي انما تكون من النوع الذي يحدث من البلغم(١) على ما ذكرت في تقاسيم الامراض ، ويجتنب كي النوع الذي يحدث من جفوف وتشنج العصب . متى عالجت هذا النوع من اللقوة بالارياجات والسعوطات والغراغر فلم ينجع علاجك فينبغي ان تكوى العليل ثلاث كيات : واحدة عند اصل الاذن ، والثانية اسفل قليلا من صدغه ، والثالثة عند مجتمع الشفتين . واجعل كيك من ضد الجهة المريضة لأن الاسترخاء انما يحدث في الجهة التي تظهر صحيحة . وصورة الكي أن تكويه كية بازاء طرف الاذن الاعلى تحت قرن الرأس قليلا ، واخرى في الصدغ

---

١ – يقابل هذا النوع اللقوة البردية في الطب الحديث .

ويكون طولها على قدر طول الابهام ، تنزل بالكي يدك حتى تحرق قدر نصف ثخن الجلد ، وهذه صورة المكواة وهي نوع من السكينة التي تقدمت صورتها الا انها الطف قليلا كما ترى .

ورسم جراحنا العربي المكواة ثم قال : وينبغي ان يكون السكين فيه فضل غلظ قليلا ثم تعالج الموضع بما تقدم ذكره حتى يبرأ ان شاء الله . ا هـ ولقد ذكر سابقا في بحث كي الشقيقة ان تشرب قطنة في ماء الملح وتوضع على الكية وتترك ثلاثة ايام ، ثم تحمل القطنة بالسمن ثم تعالج بالمرهم الى ان يبرأ .

وأخيرا في أواخر عام ١٩٧٦ فوجئت برسالة أتتني من الجمهورية العربية اليمنية من مستشفى الشهيد العلفي في الحديدة من اليمن الشمالية كتبها أحد زبائني المصاب من سنين عديدة بربو قصبي ، فقص لي أنه دخل هذا المستشفى بنوبة ربوية فأجريت لـه عملية زرع الغدة تحت المخ (يعني الغدة النخامية) لأرنب ذبح حديثا وذلك تحت الجلد بين الثديين بتخدير موضعي وعلى سريره فتحسن ، ثم قال : لفت انتباهي معالجة الشلل الوجهي النصفي بجهاز الوخز الكهربائي بالأبر الذهبية ولقد استفاد الكثير من المواطنين في الحديدة من هذا الجهاز ، وحبذ في رسالته استعمال هذا الجهاز الصيني في قطرنا وبلدتنا . . .

مما سبق يتبين لنا أن معالجة الجروح النازفة والألم الجنبي واللقوة البردية بالكي لها وقائع في عهد الرسول العربي أي قبل ترجمة الطب اليوناني والفارسي والهندي وقبل اشارة ابن سينا والزهراوي وغيرهما الى تلك المعالجة . وهذا يدل على أن للعرب طبا في جاهليتهم وبعد الاسلام قبل عصر الترجمة ، وان انشغال المسلمين السابقين بالجهاد واهتمامهم برواية تعاليم الدين الجديد زهدهم في نقل الكثير من

أخبار الطب ، ولعلي باذن الله أستطيع أن اجمع باقات من تلك الاخبار أقدمها في مناسبات أخرى في سلسلة أبحاثي عن الطب النبوي والطب في عهد الرسول العربي .

القديم النافع يطور ولا يهمل بالكلية :

كثر وشاع استعمال الكي في العصور القديمة والمتوسطة لضعف وسائل التشخيص التفريقي وقلة الادوية النوعية ، ولا يعني وصفه بالقدم ان ذكراه أمر تاريخي بحت . فلقد أوضحت في واقعات جرت في العهد النبوي تمت فيها المعالجة بالكي ، وبقي استطباب الكي في بعضها حتى اليوم وان تطورت الآلة الكاوية من حديد محمي بالنار الى مكواة حرورية ثم الى مكواة كهربائية يسهل استعمالها ، ويمكن استخدامها في كي الاماكن العميقة أو الدقيقة من الجسم .

وأحب أن أذكر أمثلة أخرى من استطباب الكي القديمة الباقية حتى عصرنا هذا ولكن الآلة الكاوية تطورت وأصبح الفن في استعمالها أرقى .

١ ــ لقد استعمل الكي قديما في مداواة الجروح السامة المختلفة الناجمة عن عض الكلاب الكلبة والأفاعي السامة بقصد تخريب مكان الاصابة بالنار فيتلف فيه العامل الممرض أو السام كليا أو جزئيا ، وتلك وسيلة لها قيمتها في زمن لم يعرف المصل المضاد لسم الأفاعي ولم يكتشف فيه اللقاح الباستورى المضاد للكلب ، ولم تجهز فيه مراكز لمعالجة الكلب ومكافحته . ولا يزال الكي وسيلة اسعاف أولية في ذلك ولا سيما عندما يكون المصاب في مكان ناء عن المراكز الصحية .

٢ – واستعمل الكي لتخريب الانسجة المريضة واستئصال بعض الأورام كالأورام الباسورية والثآليل والتنبتات والاورام الحليمية(١) وغيرها . حتى إن الزهراوي ذكر معالجة الثآليل بكيها بمكواة تشبه الميل تدخل في نفس الثؤلول مرة أو مرتين . أما في عصرنا الحديث فقد حل الكاوى الحرورى محل الكي بالميل الحديدي ، ثم حل الكاوي الكهربائي الدقيق محل السابقين في معالجة الثآليل(٢) .

٣ – ولقد أشرت الى أن العلماء الصينيين طوروا طريقتهم في المعالجة بالوخز بالابر المسخنة بواسطة حشائش تربط في عقبها ثم تحرق والتي يعود تاريخ استعمالها الى آلاف من السنين خلت ، طوروها الى جهاز كهربائي يستعمل فيه التيار لتسخين الابر الذهبية وهزها بلطف .

يلتزم الاطباء الصينيون التقليديون منهم بالنقاط المحددة في الكتابات القديمة بينما يحاول الاطباء الشباب « وبينهم عدد كبير ممن درسوا في الجامعات الغربية » تطبيق وتجربة هذه الوسيلة في نقاط جديدة ، وقد استعاضوا منذ عدة سنوات عن تحريك الابر باليد بوصلها بتيار كهربي وقد لاحظوا أن النتائج أصبحت أفضل مما كانت عليه(٣) .

فيجدر بكل أمة أن تستفيد من تراثها العلمي فتعيد النظر فيه وفي الطرق الشعبية المبنية عليه ، ثم تطور النافع منه لصالح الانسانية

---

١ – هي الاورام السليمة التي تنشأ من الطبقة الملبيغية .

٢ – اشار الى معالجة الثآليل بالميسم الكهربائي كتاب امراض الجلد للاستاذ الدكتور حنين سياج وكتاب الامراض الجراحية للاستاذ الدكتور منير شورى والاستاذ الدكتور مرشد الخاطر .

٣ – المجلة الطبية العربية . العدد السادس والاربعون كانون الاول ١٩٧٣ – البحث العلمي ووخز الابر – .

وصالح نموها واثبات شخصيتها ودعم اقتصادها . فكم من جواهر ثمينة في تراثنا أهملناها ونحن في جو من عواطف الشغف بكل جديد ، وكم أضرت ادوية جديدة تحمس لجدتها العالم ثم تبين له بعد سنين أن لها آثارا مسرطنة أو مشوهة للجنين أو ضارة بأحد أعضاء أو اجهزة الجسم ، فالعلم لا يفرق بين قديم وجديد وله وزيران هما التجارب والاستنتاج الفكري للعالم الخبير النزيه .

وانا لنأمل من معهد التراث العلمي العربي أن يشكل لجنة يتعهد بنفقاتها لمتابعة ما في قطرنا من طب شعبي مفيد ، فتقوم بالرحلات العلمية لتلتقي بالمهرة من متعاطي الطب الشعبي ، ثم تحيل الى لجان البحث العلمي والمخبر والتجارب ما تتوسم الفائدة من دراسته .

وهذا ما نأمله من كافة المسؤولين عن الابحاث العلمية في جميع الاقطار العربية والى اللقاء في مناسبة أخرى ان شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله

مصادر البحث

١ – صحيح الامام البخارى لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى (١٩٤ – ٢٥٦) هـ .

٢ – صحيح الامام مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى (٢٠٦ – ٢٦١) هـ .

٣ – سنن الترمذى لأبي عيسى محمد الترمذى (٢٠٩ – ٢٧٩) هـ .

٤ – جامع الاصول في احاديث الرسول لأبي السعادات المبارك ابن محمد بن الاثير الجزرى (٥٤٤ – ٦٠٦) هـ .

٥ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي (٧٣٥ – ٨٠٧)هـ.

٦ – فتح الباري بشرح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢) هـ .

٧ – الاحكام النبوية في الصناعة الطبية لأبي الحسين علي الكحال (٦٥٠ – ٧٢٠) هـ .

٨ – التصريف لمن عجز عن التأليف للجراح العربي الاندلسي ابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي المتوفى سنة ٥٠٠ هـ ١٠١٣ م .

٩ – مباحث في الجراحة الصغرى للاستاذ الدكتور نظمي القباني .

١٠ – علم الادوية للاستاذ الد كتور عزة مريدن .

١١ – موجز الامراض العصبية للاستاذ الدكتور حسني سبح .

١٢ – فن التمريض للاستاذ الدكتور مرشد الخاطر .

١٣ – المجلة الطبية العربية التي تصدرها نقابة الاطباء في الجمهورية العربية السورية .

الطب الروحاني عند الرازي

الدكتور محمد يحيى الهاشمي

باحث

مقدمة عن الرازي :

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي هو من المفكرين الاسلاميين الذي عاش في القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي وهو من الأدمغة الواقعيين ، كان مهتما في الطب الجسمي والكيمياء والطب الروحاني أيضا ، ينتقل من البسيط الى المركب ، ففي التداوى أن أمكن استخدام الآطعمة فيلزم عدم استعمال الأدوية ، واذا كان من الممكن استعمال الأدوية البسيطة يلزم عدم اللجوء الى المركبة وهكذا من البسيط الى المركب(١) وفي الكيمياء كان أيضا واقعيا ، ففي كتابه سر الأسرار الذي قام على دراسته وأخراجه وترجمته الى اللغة الالمانية المستشرق والبحاثة في العلوم العربية يوليوس روسكا عام ١٩٣٧ . عندما بلغ هذا البحاثة السبعين من العمر(٢) . ولعل الرازي أول من يقوم بالتصنيف المنظم حول هذا الموضوع ، ورغم أن الرازي يقر بانقلاب العناصر وامكان استحصال الذهب من معدن وضيع(٣) ، فان جميع العمليات التي يقوم بها من تقطير و تصعيد وتكليس هي عمليات كيميائية محضة بالنظر القديم ، وكذلك المواد التي كان يستعملها من الاحجار كالمرقشيثا واللازورد والدهنج والكحل والطلق ، والارواح

كالزيبق والنشادر والكبريت والأجساد كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والقصدير والخارصين ، والبوارق ، والزاجات كالزاج الأخضر والأحمر والابيض وغيرها ، والأملاح كالقلي والنطرون ، والبوارق ، والمركبات كالرسختج ـ النحاس المحرق والدوص (أكسيد الحديد) والأسرونج (أكسيد الرصاص) والزنجفر (كبريت الزئبق) والخلائط المعدنية وغير ذلك ، وبجانب المواد غير العضوية فهناك مواد عضوية أيضا من نبات وحيوان(٤) وبصورة واضحة أستحصل الرازي على حمض الكبريت (زيت الزاج) ـ من تقطير الزاج (كبريتات الحديد) بجانب الشب(٥) .

السباقون بالطب الروحاني في الحضارة العربية قبل الرازي :

ليس الرازي هو أول من اعتنى بالطب الروحاني بل يعود ذلك الى اليونانيين وأشهرهم أبقراط (هبوقراطيس)(٦) الذي يعطي أهمية عظمية لنظرية الأنسجام (هرموني) الذي اقتبسها منه الفلاسفة الاسلاميون(٧) . وقد أعطى القرآن للطب الروحاني نبضات جديدة(٨) ، أما الكندي فيلسوف العرب الذي عاش في القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي(٩) ، فقد عقد بحثا عن النوم والرؤيا فالنوم في رأيه ترك استعمال النفس للحواس جميعا ، واذا كان النوم عبارة عن انصراف النفس عن مباشرة الحواس ، فهو درجة من درجات التفكير إلا أنه نوع من التفكير العميق فاذا استغرف الفكر مفكرا حتى لا يستعمل شيء من الحواس بتة فقد أنتهى الى النوم أما الرؤيا فكلما زاد استغراق الانسان في الفكر وزاد أنصرافه عن استعمال الحواس اتيحت الفرصة للقوة المصورة لتعمل عملها وتزداد الصور وضوحا في النفس حتى تكون مشاهدة فتلك هي الرؤيا(١٠) . ويستخدم الكندي الموسيقى في التداوي(١١) . ويشير المعرى بأنه

يعالج النفس كما كان يعالجها حارث بن كلده وابني علاج ، فالحارث ابن كلدة ــ الطبيب العربي الشهير الذي درس في جندى شابور وعاصر النبي وبقي حيا الى عهد معاوية(١٢) . وأبنا علاج هما كما أوضح المعري نفسه رجلان من ثقيف كان الحارث بن كلده يذم مودتهما ويشكو قطيعتهما للقرابة(١٣) .

الطب الروحاني عند الرازي :

أما الطب الروحاني عند الرازي فقد ورد ذكره في اكثر مصادر سيرة الرازي مثل تاريخ الحكماء لابن القفطي(١٤) ورسالة في فهرس كتب الرازي للبيروني(١٥) . وقد ذكره ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء(١٦) . وقد نشر ديبور الهولندي مقالة موجزة بحث فيها عن المصادر اليونانية لهذا الكتاب ونشر بضع فقرات منه أما الكتاب بتمامه فقد نشره باول كراوس(١٧) .

لا يعرف تاريخ تأليف الكتاب بدقة ، الا أن الرازي يقول في المقدمة انه ألفه بعد مغادرته لبغداد ، والراجح أن الأمير الذي قدم اليه الرازي كتابه الطب الروحاني لم يكن غير الذي قدم اليه كناشه الطبي المعروف بالمنصوري ، وهو منصوربن اسحاق بن أحمد بن أسد حاكم الري الذي تولى من سنة ٢٩٠ الى ٢٩٦ هـ(١٨) .

كان لهذا الكتاب بعض الأثر في الآدب العربي فقد نقضه معاصر للرازي يسمى ابن اليمان والأرجح ابن التمار وقد رد عليه الرازي أيضا . ويوجد في الأدب العربي كتب أخرى لغير الرازي مثل الرد على الرازي لحميد الدين الكرماني وكتاب الطب الروحاني للفيروز آبادي المتوفى سنة ٤٩٦ م ــ وللجوزي ٥٩٧ م وغيرهما ، وكلها لم تأت بشيء جديد على الرازي .

أما المخطوطات التي اعتمد الناشر عليها فهي كما يلي :

ل : نسخة المتحف البريطاني رقم (٢٥٧٥٨) .

ف : نسخة الفاتيكان في روما رقم (١٨٢) من المخطوطات العربية .

ق : نسخة دار الكتب المصرية رقم(٢٢٤١) من قسم التصوف والاخلاق .

ك : النبذ التي وردت في كتابه الأقوال الذهبية لحميد الدين الكرماني .

أما فصول الكتاب فهي كما يلي :

١ ـ في العقل ومدحه .

٢ ـ في قمع الهوى وردعه وجملة من رأى أفلاطون الحكيم .

٣ ـ جملة قدمت قبل ذكر عوارض النفس الردية على انفرادها .

٤ ـ في تعرف الرجل عيوب نفسه .

٥ ـ في دفع العشق والالف وجملة من الكلام في اللذة .

٦ ـ في دفع العجب .

٧ ـ في دفع الحسد .

٨ ـ في دفع المفرط الضار من الغضب .

٩ ـ اطراح الكذب .

١٠ ـ في أطراح البخل .

١١ ـ في دفع الضار من الفكر والهم .

١٢ ـ في صرف الغم .

١٣ ـ في دفع الشره .

١٤ ــ في دفع الأنهماك في الشراب .
١٥ ــ في دفع الاستهتار بالجماع .
١٦ ــ في دفع الولع والعبث والمذهب .
١٧ ــ في مقدار الاكتساب والاقتناء والانفاق .
١٨ ــ في دفع المجاهدة والمكادحة على طلب الرتب والمنازل الدنيائية ، والفرق بين ما يرى الهوى وبين ما يرى العقل .
١٩ ــ في السيرة الفاضلة .
٢٠ ــ الخوف من الموت .

كان علم النفس مربوطاً دائما فيالدين (يا أيتها النفس المطمئنة أرجعيالى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى وأدخلي جنتي) . ثم بعد ذلك أصبحت النفس مرتبطة بالغيبيات (ميتا فيزيك) ولا نعلم الحدود بين الدين والغيبيات وعند الرازي أصبحت النفس بقدر الامكان متحررة ولكنها مرتبطة بالأخلاق .

ومعظم هذه الأمور حتى الفصل الثاني عشر يذكرنا بحياة اللاوعي التي أثارها كل من فرويد ويونغ فان الأول يعول على الدافع الجنسي أهمية كبرى ويعزى جميع الدوافع الباطينة للنفس في عمقها على دافع جنسي(١٩) اذا كنا نقارن بين الرازي وفرويد بحياة اللا شعور ولكن المقارنة أشد بين فرويد والغزالي ، لأن الغزالي يتكلم عن الجنس صراحة ودوافعه في الحياة النفسية(٢٠) . أما يونغ فهو يعطي ــ لحياة اللاوعي من حيث هي أهمية كبرى وذلك في شكلها الجماعي بدورها الأقدم فالدوافع كائنة في حياة النفس اللاواعية وكان السابق لمثل هذه الأمور العلماء الأسلاميين ومن جملتهم أيضا الرازي والغاية تحويل الأمور اللاواعية الخفية الى بؤرة الوعي والشعور

الواضح وألقاء الأنوار الكشافة عليها وأيجاد ـ الاعتدال النفسي وذلك بطريق الأدراك العقلي والانسجام التي ترجع الى ابقراط كما بينا في مطلع بحثنا . ومن هذه الأمور أيضا الخوف من الموت(٢١) . آما الأمور الباقية كالشره والسكر والاستهتار في الجماع وفي دفع الولع والعبث فهي أمور تتعلق بالادمان وقد علق على ذلك العالم النفسي هوف مدير معهد الطب النفسي في جامعة فينا أهمية كبرى وهو وضع يكون فيه الأنسان لا يقف عند حد أبدا بل يطلب المزيد ويحدث من جراء ذلك آلام جسمية ونفسية(٢٢) . أما الهوى الذي عالجه الرازي في الفصل الثاني بعد أن قام في وصف العقل ومدحه في الفصل الثامن عشر فالهوى هو الميل الشديد وان الأهتمام بتصاعد الميل والغلو في الاهتمام قد يفضي الي الهوى ويعمل هذا ما يعمله الهيجان في الأنسان وهو مربوط دائما بالألم ، وهذا الهوى كما يرى شتيرن العالم النفسي الهولندي لا يسبب فعالية منتظمة ولا غاية معينة بل عناد غير منتظم وعاطفة جياشه قد تنتهي بالطغيان . ويعزو نفس البحاثة أيضا إلى أن سبب الخوف جهل المصير(٢٣) .

ان في كتاب الطب الروحاني للرازي قضايا عديدة تذكرنا بعلم النفس الحديث وبالتحليل النفسي لكل من فرويد ويونغ والعلماء النفسيين الحديثين مثل هوف وشتيرن ، ويسرني أن أكون في هذا المجتمع قد آثرتها ومن الضروري متابعة التفصيل في مثل هذا الكتاب لمعرفة الكنوز الدفينة وتبيان أسبقيتنا في هذه النظريات الحديثة . وان السيرة الفاضلة هي التي سار عليها فيما مضى أفاضل الفلاسفة وبالقول المجمل معاملة الناس بالعدل والأخذ عليهم من بعد ذلك بالفضل واستشعار العفة والرحمة والنصح للكل والاجتهاد في نفع الكل الا من بدأ منهم بالجور والظلم وسعى في أفساد السياسة وأباح ما منعته وحذرته الشريعة من الهرج والعبث والفساد(٢٤) .

ان الرازي وان لم يكن عربيا من حيث الأصل ولكنه تابع لحضارتنا ان الحضارة العربية الاسلامية بعيدة عن التعصب ، كما أنها في الوقت نفسه بعيدة عن العنصرية الذميمة ، وشتان بين التعصب الممقوت والتمسك الجدي الذي يجمع الشمل ولا يقف حائلا دون التشتت .

١ – راجع شمس الله على الغرب ، فضل العرب على أوربة تأليف سيغريد هونكة ترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي ، القاهرة دون تاريخ النشر صحيفة ١٦٢ .

٢ – سر الاسرار للرازي نشر وترجمة يوليوس رسكا برلين .

Razi's Geheimnis der Geheimisse Edition und deutsche Uebersetzung von *Julius Ruska, Berlin* 1937.

٣ – حول انقلاب العناصر راجع بحثي المقدم الى المؤتمر العاشر الدولي لتاريخ العلوم حول التبادل الايوني في الكيمياء العربية اتيكا ١٩٦٢ .

M. Y. Haschmi, Ion Exchange in Arabic Alchemy, Xth International Congress for History of Sciences, Ithaca, USA, 1962.

٤ – حول قيمة هذه المواضيع راجع اريك جون هولميارد ، صانعوا الكيمياء ، ص ٦٥ .

Eric John Holmyard, Makers of Chemistry, Oxford 1931, p. 65.

٥ – راجع مساهمات في تاريخ العلوم الطبيعية ، الكيمياء عند العرب ايرلانغن ج ٤٣ ص ٩١ .

E. Wiedemann, Beiträge, z. Geschichte der Naturwissenschaften, XXIV. Zur Chemie bei den Arabern, Erlangen 1911, Bd. 43, p. 91.

٦ – كورت هونيوس عفاريت ، أطباء سيميائيون ص ٣٨ الطبيب اليوناني الشهير الذي عاش بين ٤٦٠ – ٣٧٧ ق . ب .

Curt Hunnius, Dämonen, Aerzte, Alchemisten, Stuttgart 1962, p. 38.

٧ – سالم عمار ، الطب النفسي عند العرب الموضوع المقدم الى المؤتمر الدولي العشرين لتاريخ الطب برلين ٦٦ صحيفة ٣١٥ .

S. Ammar, Verhandlungen des XX. Interantionalen Kongresses f. Geschichte der Medizin, Hildesheim 1968, La médicine de l'âme chez les Arabes, p. 315.

٨ – الصحة والطب في القرآن باللغة الالمانية تأليف الدكتور مير حسين نبوى شتوتغارت ١٩٦٧ المقدمة .

Dr Mir Hussein Nabawi, Hygiene und Medizin im Koran, Stuttgart, 1967, Vorwort.

٩ – راجع بحثي عن الكندي فيلسوف العرب والعالم الطبيعي الكبير المقدم الى الندوة العالمية لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في جامعة حلب ، نيسان ١٩٧٦ .

١٠ – رسائل الكندي الفلسفية نشر أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٠ ماهية النوم والرؤيا ص ٢٨٣ وما بعدها .

١١ – الكندي يداوي بالالحان العرفان ، صيدا لبنان ك ١ ، ١٩٤٨ .

١٢ – دورجندي شابور في الثقافة العربية ، الدراسات الادبية صيف ١٩٦٠ بيروت ص ١٩٠ وما بعدها .

١٣ – راجع موضوعي الانسان والطب من بحث المعارف الطبيعية عند أبي العلاء من كتابي لغز أبي العلاء حلب ١٩٦٨ ، تأملات طبية عند المعري الموضوع المقدم الى المؤتمر الثاني والعشرين لتاريخ الطب الدولي بكاريست رومانيا عام ١٩٧٠ .

١٤ ـ طبعة لايبزيك ١٩٠٢ ص ٢٧٢ .

١٥ ـ راجع كتاب الطب الروحاني مصر ١٩٣٩ ص ١ ملاحظة ٢ بند ١٧ .

١٦ ـ طبعة مصر ج ١ ص ٣١٥ .

١٧ ـ بول كراوس الطب الروحاني ، المصدر المتقدم .

١٨ ـ نفس المصدر ص ٢ .

١٩ ـ ترجمة حياة يونغ نشر يافه .

Aniela Jaffé, Erinnerungen, Träume, Gedächtnisse von C. G. Jung, Zürich-Stuttgart 1967, p. 151, 174.

٢٠ ـ راجع احياء علوم الدين للغزالي ج ٣ الربع الثالث ص ٣٧ ، القول في شهوة الفرج .

٢١ ـ الطب الروحاني للرازي المصدر المتقدم صحيفة ١ ـ ٩٦ .

٢٢ ـ هوف الطب النفسي ج ١ ص ٣٥٦ وما بعدها .

Hans Hof, Lehrbuch der Psychiatrie, Basel-Stuttgart, 1956, I. p. 350.

٢٣ ـ و . شتيرن علم النفس العام ها غ ١٩٣٥ ص ٧٧٦ ـ ٧٩٤ .

W. Stern, Psychologie, Haag 1935, p. 776 und 794.

٢٤ ـ الطب الروحاني للرازي بحث السيرة الفاضلة .

٢٥ ـ راجع موضوعي عن الجماهر في معرفة الجواهر المقدم الى أسبوع العلم الرابع عشر من المجلس الأعلى للعلوم دمشق ١٩٧٤

محتويات الكتاب



الابحاث العامة **الصفحة**

الصفحة

تاريخ الطب

الصفحة